العراق في العهد العثماني

دراسة في العلاقات السياسية

١٧٠٠ - ١٨٠٠ م

الدكتور

علاء موسى كاظم نورس

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

IRAQ IN THE OTTOMAN ERA

Study In Political Relations

1700-1800

BY

Dr. ALA' M.K. NAWRAS

College of Arts

Uneversity of Baghdad

المقدمة

لعلنا لا نعدو جانب الحقيقة اذا قلنا ان تاريخ العراق في العهد العثماني، لا يزال يكتنفه الغموض ، ولم ينل حظه من الدراسات التاريخية المتخصصة مثلما نالت عهوده الاسلامية • ولعل مرد ذلك الى وعورة البحث فيه بسبب ندرة وثائقه وتعدد لغات مصادره الاولية •

ومن هنا كانت الحقبة العثمانية جديرة بالبحث والدراسة ، وبحثنا هذا هو دراسة للصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق في القرن الثامن عشر، اذ كان العراق ميدانا لهذا الصراع ، الذى ما تزال آثاره قائمة حتى الان ، بما خلفه من مشاكل حدودية عانى منها العراق الكثير •

والواقع أن التصدى لمثل هذا الموضوع ليس بالامر السهل ، وذلك لما تكتنفه من صعوبات ، ومن أبرز ما واجهت منها قلة المصادر العربية الاولية التي تناولت تاريخ العراق في العهد العثمانى ، وتعدد أماكن توفر المصادر الاولية الاخرى المدونة باللغات الاجنبية ، فأضطررت الى أن أمضى فترة من بعثتي الدراسية في بغداد وفى اسطنبول ، للرجوع الى المصادر الاصلية المنشورة وغير المنشورة ، علاوة على ما رجعت اليه من مصادر في المكتبات المصرية •

ان اختيار القرن الثامن عشر ، كفترة تاريخية لموضوع البحث ، يرجع الى ما شهده هذا القرن من تطورات خطيرة كان لها تأثير كبير على العلاقات العثمانية الفارسية ، تلك التطورات التي تمثلت في انهيار السلالة الصفوية

الحاكمة في بلاد فارس ، وقيام العثمانيين بغزو البلاد الفارسية واحتلال أجزاء منها ، ومن ثم انبعاث القوة الفارسية الهائلة على يد نادر شاه ، وما أعقبها من صراع حاد بين الدولتين العثمانية والفارسية ، وتجدد المحاولات الفارسية للاستيلاء على العراق •

وكان العراق – وهو ذو الثروة الكامنة والموقع الجغرافي المهم – محط آمال وأطماع حكام بلاد فارس طيلة العصور التاريخية ، وقد استطاع الصفويون في سنة ١٥٠٨ م أن يستولوا عليه ، غير أن العثمانيين تمكنوا من فتح العراق وانتزاعه من سلطانها سنة ١٥٣٤م • ومنذ ذلك الحين والعراق ميدان للصراع بين الفرس والعثمانيين ، اذ ظلت الدولة الفارسية لمدة تزيد على ثلاثة قرون تتطلع نحو العراق محاولة الاستيلاء عليه ، الامر الذى جعل مشاكله بعيدة الغور لكل من يتولى الحكم فيه •

والواقع أن تاريخ العراق في القرن الثامن عشر ، لا يعدو أن يكون سلسلة من الحروب المتصلة مع فارس ، فقد بدأ الفرس – بعد أن أستعادوا كافة الاقاليم الفارسية المحتلة من قبل العثمانيين – بمهاجمة العراق للاستيلاء عليه ، واجتاحت القوات الفارسية خلال الفترة (١٧٣٢–١٧٤٣) العراق عدة مرات وضربت الحصار على بغداد والموصل ، تحت قيادة نادر شاه الذى استعادت الدولة الفارسية قوتها على يده • ولولا المقاومة العنيفة التي كان يجابه بها وظروف بلاده الداخلية ، لاستطاع فرض سيطرته على العراق • كما شن الفرس أول هجوم بحرى على البصرة سنة ١٧٣٥ م ، غير أن حاكمها العثماني أرغم سفينتين حربيتين من السفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية كانتا راسيتين في البصرة ، على المشاركة في التصدى للفرس ، وتمكنتا من صد الهجوم •

ولم يصبح العراق في مأمن من الخطر الفارسى ، الا خلال فترة الفوضى التي أعقبت مصرع نادر شاه سنة ١٧٤٧ م ، اذ تنافس على العرش خصوم عديدون • ثم ألقت الدولة الفارسية بثقلها على العراق مرة أخرى ، خلال

عهد كريم خان الزند ، الذى كانت له الغلبة في نهاية الصراع ، اذ تجدد الغزو الفارسي للعراق • فقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، احتلال الفرس للبصرة (١٧٧٦ – ١٧٧٩) مستغلين أضطراب أوضاع العراق السياسية في تلك الفترة ، وانشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الخارجية ، وذلك لضرب تجارة البصرة والقضاء على منافستها للموانىء الفارسية ، بعد أن ازدادت الاهمية التجارية للبصرة على أثر نقل البريطانيين لنشاطهم التجارى من بندر عباس وبوشهر اليها ، بعد أن توترت علاقتهم مع كريم خان الزند • وبذلك فان الدولة الفارسية كانت كلما أحست بقوتها تطلعت الى فتح العراق لضمه اليها ، الامر الذى جعل العراق يتعرض الى العدوان الفارسي باستمرار ، مما كان سببا في عدم استقراره •

وقد قسمت البحث الى خمسة فصول ، تناولت في الفصل الأول التطور التاريخي للصراع بين الدولتين العثمانية والفارسية حول العراق ، والحروب التي خاضتها الدولتان من أجل الاستحواذ عليه ، وكيف كانت بغداد تتأرجح تارة بيد الفرس وتارة بيد العثمانيين ، باعتبار أن هذا الصراع لم يكن وليد الفترة موضع الدراسة، وانما هو قديم قدم الدولتين العثمانية والفارسية، وذلك عندما أخذت كل منهما تحاول التوسع والاستيلاء على حساب الاخرى • كما تطرقت الى سلسلة المعاهدات التي عقدت بين الدولتين ، مبينا كيف أن هذه المعاهدات لم يكن لها أى تأثير في انهاء صراعهما •

وفي الفصل الثاني، تطرقت الى التطورات الخطيرة التي شهدتها بلاد فارس في الربع الأول من القرن الثامن عشر ، والتي تمثلت في انحلال السلالة الصفوية ثم سقوطها على أثر الغزو الافغاني للبلاد • وذلك نظرا لما ترتب على هذه التطورات من تمزق للبلاد الفارسية ، اذ أغرت الاوضاع المتداعية فيها كلا من الروس والعثمانيين للقيام بعمليات غزو لها • فاستولى الروس على الاقاليم القزوينية ، بينما استولى العثمانيون على الاقاليم الغربية والشمالية الغربية • كما عرضت في هذا الفصل للحرب التي دارت في بلاد فارس بين العثمانيين والافغان ، لما ترتب عنها من نتائج •

وتناولت في الفصل الثالث الصراع العنيف الذى نشب بين الفرس والعثمانيين على أثر ظهور نادر شاه على مسرح الحوادث في بلاد فارس ، موضحا كيف تمكنت هذه الشخصية من استعادة كل الممتلكات الفارسية المحتلة • ومن ثم ، بحثت أثر هذا الصراع على العراق ، اذ تجددت المحاولات الفارسية للاستيلاء عليه ، فشهد سلسلة من الحروب بسبب هجمات نادر شاه المتكررة على بغداد ، وكذلك مهاجمته للموصل والبصرة • كما تطرقت الى محاولة نادر شاه للتقريب بين المسلمين • والمؤتمر الذى عقد بخصوص ذلك في مدينة النجف ، وذلك لاهمية هذه المحاولة وما كان لها من أثر على العلاقات العثمانية الفارسية •

وفي الفصل الرابع ، درست العلاقات العثمانية الفارسية خلال الفترة (١٧٤٧-١٧٧٤) ، مبينا الاوضاع المضطربة التي سادت بلاد فارس عقب مصرع نادر شاه في سنة ١٧٤٧ م ، وموقف الدولة العثمانية من هذه الاوضاع التي امتدت لمدة عشر سنوات ، موضحا أثرها على السياسة الفارسية تجاه العراق • ومن ثم تناولت سياسة كريم خان الزند الذى تولى الحكم في بلاد فارس سنة ١٧٥٧ م تجاه العراق ، والظروف التي جعلته يتبع ـ حتى السنوات الاخيرة من عهده ـ سياسة ودية معه • ونظرا لاهمية الدور الذى لعبته عشيرة بنى كعب في الصراع العثمانى الفارسي خلال هذه الفترة ، فقد تناولت بالبحث نمو هذه العشيرة والنفوذ الذى كانت تتمتع به ، ومدى تأثيره على العلاقات العثمانية الفارسية •

أما الفصل الخامس ، فقد خصصته لدراسة غزو الفرس للبصرة ، واحتلالهم اياها ، وما خلفه هذا الاحتلال من آثار سيئة على الحياة الاقتصادية فيها ، موضحا الاسباب التي دفعت الدولة الفارسية الى القيام بهذا الغزو • وتطرقت في هذا الفصل الى موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفارسى للبصرة ، كما بحثت الظروف التي حملت الفرس على الانسحاب منها بعد احتلال دام مدة ثلاث سنوات •

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث ، على المصادر الاولية ـ عربية وأجنبية ـ وبشكل خاص على المصادر المعاصرة للفترة موضع الدراسة ، وفي مقدمة المصادر العربية التي اعتمد عليها هذا البحث : مخطوط « حديقة الزوراء في سيرة الوزراء » لمؤلفه عبدالرحمن السويدى . وتكمن أهمية هذا المخطوط في أنه أقدم مصدر محلى عن تاريخ العراق في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، اذ تناول الفترة (١٧٠٤ ـ ١٧٤٧ م) ، كما أن مؤلفه ـ وهو من أسرة بغدادية ـ كان معاصرا لتلك الفترة المهمة . وقد رجعت اليه فيما يتعلق بهجمات نادر شاه على بغداد .

وهناك مخطوط مهم آخر بعنوان « مطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود » لعثمان بن سند البصرى ، الذى ألفه بتكليف من داود باشا والى بغداد سنة ١٨٢٥ م . وهو يتضمن أخبارا تاريخية هامة تتعلق بأحداث العراق السياسية خلال الفترة (١٧٧٤–١٨٢٦) . وقد استفدت منه عند الحديث عن حصار الفرس للبصرة واستيلائهم عليها ، أي الفترة ما بين ١٧٧٥ و١٧٧٩ .

كما اعتمدت على مؤلفات ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى ، التي تعتبر من المصادر المحلية المهمة ، لما احتوته من معلومات عن أحوال العراق في القرن الثامن عشر ، خاصة فيما يتعلق بحملة نادر شاه على مدينة الموصل سنة ١٧٤٣ م ، اذ كان العمرى موصليا ، ويعتبر خير من ألف في أخبارها في هذه الفترة لمعاصرته بعض أحداثها . ويأتي في مقدمة مؤلفاته كتاب « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » وكتاب « منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء » وكتاب « الآثار الجلية في الحوادث الارضية » .

ورجعت الى كتاب أخيه محمد أمين بعنوان « منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء » الذى يعد من المصادر الاولية عن تاريخ الموصل في النصف الاخير من القرن الثامن عشر ، وقد ضمنه معلومات عن كثير من الحوادث المتعلقة بالجبهة العراقية ـ الفارسية ، لا سيما الحصار الفارسى للموصل سنة ١٧٤٣ .

أما فيما يتعلق بالمؤلفات العربية الحديثة ، فان ما اعتمدت عليها قليل جدا ، ومنها كتاب « تاريخ ايران » لشاهين مكاريوس ، الذى انتفعت منه عند الحديث عن الغزو الافغاني لبلاد فارس ، وكذلك بخصوص الصراع الذى دار بين نادر شاه والعثمانيين •

كما رجعت الى مؤلفات عباس العزاوى وفي مقدمتها « تاريخ العراق بين احتلالين » الذى يعتبر من المراجع المهمة عن تاريخ العراق في العهد العثماني• وتكمن أهمية هذا الكتاب ، الذى يقع في ثمانية أجزاء ، في أن مؤلفه اعتمد على مصادر أساسية في تدوينه للمادة التاريخية ، ولكن يؤخذ عليه عدم تحليلها التحليل العلمي الدقيق •

واستعنت كذلك بكتاب « العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران » لمؤلفه شاكر صابر الضابط ، لما احتواه من مادة وثائقية ، اذ تضمن نصوص المعاهدات المعقودة بين الدولتين العثمانية والفارسية •

أما المصادر الاجنبية التي اعتمدت عليها ، فان معظمها يشكل المادة الوثائقية لموضوع البحث ، وخصوصا تلك المصادر التي عاصرت أحداث الفترة موضع الدراسة ، وهي تشمل المصادر التركية والفارسية والاوربية •

وفيما يخص المصادر التركية ، فان سجلات الدولة العثمانية المعنونة Mühimme defteri تأتي في مقدمتها ، وهى تتضمن معلومات على جانب من الاهمية فيما يتعلق بالعلاقات العثمانية الفارسية في القرن الثامن عشر ، ولا سيما عن الغزو العثمانى لبلاد فارس والصراع الذى دار بين نادر شاه والعثمانيين •

ومن بين أبرز المصادر التركية التي اعتمدت عليها بشأن التطور التاريخي للصراع العثماني ـ الفارسى حول العراق ، كتاب مصطفى عبدالله كاتب جلبى بعنوان « فذلكة كاتب جلبى » • اذ أن المؤلف ، وهو يعد من أكابر أصحاب الموسوعات ، اشترك في الحملات العسكرية العثمانية التي سيقت نحو

العراق خلال الفترة (١٦٢٥ - ١٦٣٠ م) لانتزاع بغداد من أيدى الفرس ، حيث كان متطوعا في فرقة الجيش المنتقاة ، وهي فرقة السلحدار ، كما اشترك في الحملة الكبيرة التي جردت على بلاد فارس سنة ١٦٣٥ م تحت امرة السلطان مراد الرابع •

كما أن كتاب « تاريخ نعيما » لمؤلفه مصطفى نعيما الحلبى ، كان ذا أهمية كبيرة في الحديث عن حملة السلطان مراد الرابع على بغداد ، اذ ينفرد بذكر معلومات لا نجدها في المصادر الاخرى ، كما أنه المصدر التركي الوحيد الذى أورد نص معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ م •

وثمة مصدر مهم آخر لا يمكن لباحث في تاريخ العراق خلال الفترة من ١٦٣٨ حتى ١٧١٧ م أن يستغنى عنه ، هو كتاب مرتضى نظمى زاده المعنون « كلشن خلفا » والذى ترجم الى اللغة العربية ، اذ عاصر المؤلف بعض أحداث هذه الفترة •

أما عن الفترة الممتدة من ١٧٢٢ الى ١٧٢٨ ، وهي التي شهدت فيها بلاد فارس الغزو الاجنبي : الافغاني أولا ، ومن ثم الروسى والعثماني ، فان أهم مصادرها ، كتاب « تاريخ جلبى زاده » لمؤلفه اسماعيل عاصم ، الذى عاصر هذه الاحداث ، وكان المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية في هذه الفترة ، وحضر الكثير من الاجتماعات التي كان الباب العالى يعقدها لتدارس الموقف في بلاد فارس • وقد دون في كتابه معلومات على جانب كبير من الاهمية ، لا سيما فيما يتعلق بالغزو العثماني لبلاد فارس ودور العراق فيه ، لذا كان اعتمادى عليه بدرجة كبيرة •

ويبرز كتاب رسول حاوى الكركوكلى المعنون « دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء » ، باعتباره من التواريخ المحلية الدقيقة والوثائقية على الاطلاق ، اذ اعتمد أساسا على السجلات الرسمية ، اضافة الى معاصرته لمعظم الاحداث التي يتناولها• لذا كانت له أهمية خاصة في دراستنا هذه ، وهو يلقى الضوء على حوادث العراق خلال الفترة ما بين ١٧١٩ و ١٨٢١ ، ويعتبر

والدولة المصدر التركي الوحيد الذى أورد نصوص المراسلات بين نادر شاه والدولة العثمانية ، وكذلك التقارير الرسمية التي كان يرفعها المبعوثون العثمانيون عن أوضاع الدولة الفارسية في تلك الفترة ، علاوة على تناولـه الغـزوات الفارسية على العراق بشىء من التفصيل • كما أن هذا الكتاب ، والـذى ترجم الى اللغة العربية ، هو أوسع مما يوحى به العنوان ، اذ يحتوى عـلى معلومات قيمة عن أوضاع القوى المحلية ، عربية وغير عربية ، ويلقى الضوء على أوضاع الدولة الفارسية السياسية في الفترة موضع الدراسة •

كما اعتمدت على مؤلفات سليمان فائق ، التي تعتبر من المصادر المحلية البصرة في أيدي الفرس وعنف الهجمات الفارسية على منطقـة كردستان في (١٨١٧ - ١٨٣١) • ويأتى في مقدمة هذه المؤلفات مخطوط بعنوان « حروب الايرانيين في العراق » الذى يتناول الفترة ما بين ١٧٢١ و ١٧٤٦ وما شهدته الجبهة العراقية خلالها من غزوات فارسية •

وتقدم التواريخ العامة للدولة العثمانية ، معلومات ذات أهمية فـى دراستنا هذه ، ومن بين أبرزها « تاريخ جـودت » ، الذى يتناول الفتـرة ما بين ١٧٧٤ ولغاية ١٨٢٦ • وتكمن أهمية هذا المرجع ، الذى يقع في اثنى عشر مجلدا ، فى أن مؤلفه أحمد جودت كان المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية لتلك الفترة ، وانه استند الى السجلات الرسمية في عرضه للاحداث ، كما كان عنده شىء من الروح التاريخية الحديثة أكثر من الرواة القدماء • وقـد تناول تاريخ العراق فى تلك الفترة بالتفصيل ، وهي فترة شـهدت سـقوط البصرة في ايدي الفرس وعنف الهجمات الفارسـية على منطقة كردسـتان في شمال العراق •

ومن مطبوعات الحكومة العثمانية المهمـة ، التي استخدمت في هـذه الدراسة : كتاب «معاهدات عمومية مجموعة سى» اذ يضم نصوص المعاهدات التي عقدت بين الدولتين العثمانية والفارسية • وكذلـك « تقرير درويش باشا » رئيس لجنة تحديد الحدود الفارسية العثمانية ، وكان تقديمه في سنة

١٨٥٣ م ، وهو يستند على وثائق ومستندات هامة ، ويتناول بشكل خاص أحوال العشائر الساكنة في منطقة الحدود العراقية الفارسية . ولاهمية هذا التقرير قامت وزارة الخارجية العراقية بتعريبه .

أما بالنسبة للمصادر الفارسية التى اعتمدت عليها هذه الدراسة ، فان أبرزها كتابا « جهانكشاى نادرى » و « دره نادره » لميرزا مهدى خان ، الذى كان كاتب ديوان نادر شاه ومؤرخه الرسمي . اذ أورد فيهما معلومات على جانب كبير من الاهمية تتعلق بحملات نادر شاه على العراق ، وكان مرافقا له في هذه الحملات ، لذا كان اعتمادى عليهما كبيرا .

كما رجعت الى كتاب محمد حسين قدوسي وعنوانه « نادر نامه » الذى يعد من المصادر الفارسية الوثائقية ، لاعتماده أساسا على السجلات الرسمية، وهو يتناول حروب نادر شاه في العراق بدقة كبيرة ، ويفصل في علاقات نادر شاه بالدولة العثمانية .

واطلعت على كتاب « معاهدات دولت عليه ايران بادول خارجه » الذى اصدرته وزارة الخارجية الايرانية في سنة ١٩٠٦ ، والذى تضمن المعاهدات المعقودة بين الدولتين العثمانية والفارسية . وقارنت بين ما أوردته كل من الدولتين في مطبوعاتهما من نصوص المعاهدات .

أما فيما يخص المصادر الاوربية التي أعتمدت عليها هذه الدراسة ، فيمكن تقسيمها على النحو التالى :

(أ) المصادر الوثائقيــة :

ويأتي في مقدمة هذه المصادر ، سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية:
Factory Records, Persia and the persian Gulf.

وهى تتكون من تقارير ورسائل وكلاء الشركة في بندر عباس وبوشهر والبصرة الى رؤسائهم في بومباى ولندن . وقد اقتصر اعتمادنا على المجلدين السادس عشر والسابع عشر ، اذ يتضمنان تقارير ومراسلات بالغة الاهمية

عن عشيرة بنى كعب والدور الذى لعبته في الفترة موضع الدراسة ، وكذلك عن الغزو الفارسى للبصرة .

أما الوثائق المطبوعة التي اعتمدت عليها ، فان من أبرزهـا تلك التي وضعت بايعاز من الدائرة الخارجية في حكومة الهند البريطانيـة ، لغـرض الاستعمال الرسمى ومنهـا :

Selections from State Pepers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, With a Summary of Events, 1600 - 1800.

وفي هذا المصدر الذى انتقى مختاراته سالدانا J.A. Saldanha حشد هائل من التقارير الوثائق الهامة ، التي تتعلق بقضـايا الخليج العربي . ويميل سالدانا في مختاراته الى انتقاء الرسائل من سجلات وكالتي البصـرة وبوشهر ، وقد كانت فائدتي منها كبير جدا لاسيما عند الحديث عن الغزو الفارسى للبصرة ، اذ ضمت وثائق هامة عن هذا الغزو ، كما استفدت مـن التقرير الذى ألحقه سالدانا بمختاراته هذه ، والذى كتبـه وكيـل الشركـة ومساعده في وكالة البصرة سنة ١٧٩٠ عن تجارة بلاد العرب الواقعة عـلى الخليج العربي وتجارة بلاد فارس ، اذ يحتوى هذا التقرير على معلومـات قيمة عن الوضع الاقتصادى في البصرة ابان الاحتلال الفارسى لها وبعده .

والمصدر الاخر الذى يحتوى على عدد ضخم من المعاهدات والمكاتبات الهامة ، والذى رجعت اليه فيما يخص المعاهدات التي تهم موضع بحثنا هو :

A collection of Treaties, Engagements and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries.

وقد جمع أتشيسون C.U. Aitchison هذه المجموعة من المعاهدات، والتى تقع فى اثنى عشر مجلدا ، وذلك بتكليف من حكومة الهند البريطانية. وتضيف المقدمات القيمة التي كتبها أتشيسون عن كل معاهـدة وظـروف عقدها أهمية كبيرة على هذا الكتاب .

ومن بين المصادر الاخرى المستندة على وثائق رسمية ، كتاب لوريمر Lorimer المعنون :

Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia.

وهو سفر ضخم يتكون من مجلدين ، ويعد أبرز مصدر وثائقي عن الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولا يمكن لباحث في تاريخ الخليج أن يستغني عنه • وقد ألفه لوريمر بتكليف من قسم الخدمات المدنية بحكومة الهند ، واعتمد فيه على سجلاتها وعلى المعلومات السرية التي وضعتها بكاملها تحت تصرفه • وقد طبع نصف المجلد الاول من هذا الكتاب للمرة الاولى في كلكتا سنة ١٩٠٨ بأعداد قليلة كانت توزع على الموظفين المختصين فقط لغرض الاستعمال الرسمي ، وطبع الجزء الباقي منه في سنة ١٩١٥ في حدود ضيقة أيضا • وبقى وثيقة سرية لا يجوز الاطلاع عليها حتى سنة ١٩٦٠ حين أذنت الحكومة البريطانية بنشره بعد أن مضى عليه ٥٠ عاما فانتفعت عنه صفة السرية • ويتناول المجلد الأول الذي يقع في قسمين ، تاريخ منطقة الخليج العربي وما حولها من الاقطار منذ بداية وصول الأوربيين الى تلك المنطقة وحتى سنة ١٩٠٤ ، أما المجلد الثاني الذي يتألف أيضا من قسمين، فهو معجم جغرافي للمنطقة • ونحن في بحثنا هذا نكثر من الاشارة الى المجلد الاول من هذا الكتاب وخاصة عند الكلام عن عشيرة بنى كعب وعن الغزو الفارسى للبصرة •

كما لابد أن نشير الى كتاب Hurewitz وعنوانه :

Diplomacy in the Near and Middle East.

وهو كتاب حديث يقع في جزئين ، يضم نصوص أهم المعاهدات التي عقدت بين أقطار الشرق الاوسط والدول الاخرى في الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والعشرين • وقد رجعت الى الجزء الاول منه الذى اختص بالمعاهدات التي تهم موضوع بحثنا ، اذ يحتوى على نصوص المعاهدات التي عقدت خلال الفترة (١٥٣٥–١٩١٤) •

(ب) مؤلفات الرحالين الاوربيين :

تعتبر مؤلفات الرحالين الأوربيين مصادر أساسية ، وذات أهمية ، اذ يصف هؤلاء الرحالون الاحداث التي كانوا معاصرين لها . ومن الذين زاروا العراق في القرن الثامن عشر وتناولوا أحداثه وأوجه الحياة فيه ، الرحالة الدنماركي الشهير كارستن نيبور Niebuhr والرحالة الانجليزى ابراهام بارسونز Parsons .

أما الرحالة نيبور ، الذى زار البصرة سنة ١٧٦٥ م ومكث فيها ستة أشهر ، فانه ترك لنا في كتابيه "Description de L'Arabie" و "Voyage en Arabie" وصفا ممتعا لاحداثها في تلك الفترة ، لا سيما فيما يتعلق بعشيرة بنى كعب وعلاقتها بحكومة البصرة ، والحملات العثمانية والفارسية ضد هذه العشيرة . كما استفدت من المعلومات القيمة التي تخص حصار نادر شاه للموصل ومحاولته للتوفيق بين المسلمين والتي أوردها نيبور في كتابه "Voyage en Arabie" . وكان نيبور قد واصل رحلته الى بغداد وشمالى العراق ، فقدم لنا معلومات غاية في الاهمية عن جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ودون الرحالة الثانى بارسونز في رحلته بعنوان "Travels in Asia and Africa" معلومات قيمة تتعلق بالغزو الفارسى للبصرة سنة ١٧٧٥ م ، اذ كان موجودا فيها ، فهو أذن شاهد عيان . وقد استفدت من معلوماته هذه عند تناول ذلك الحدث التاريخي الهام في دراستنا هذه .

(ج) المؤلفات الاوربية :

ومن المؤلفات الاوربية المهمة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا ، كتاب كروسنسكي Krusinski المعنون :

"The History of the late Revolutions of Persia"

وتكمن أهمية هذا الكتاب ، الذى يقع في جزئين ، في أن مؤلفه وهو بولندى يسوعي ، شاهد عيان للاحداث التي شهدتها بلاد فارس في الربع الاول من القرن الثامن عشر ، اذ كان يعمل في أسقفية أصفهان. فدون معلومات ذات أهمية كبيرة عن سقوط الاسرة الصفوية والغزو الافغاني لبلاد فارس.

كما أن كتاب فريزر Fraser المعنون :

"The History of Nadir Shah"

يعد من المصادر الاساسية ، ذلك أن مؤلفه كان معاصرا للفترة موضع الدراسة ، وبالرغم من أنه يسجل معلومات مختصرة الا أنها مفيدة ، وهو يتناول حياة نادر شاه وظهوره على مسرح الاحداث في بلاد فارس ، ويبحث في حروبه مع الافغان والعثمانيين والروس . وقد استفدنا منه عند الحديث عن الحروب التي شهدتها بلاد فارس بين نادر شاه والعثمانيين ، والهجوم الذى شنه نادر شاه على بغداد سنة ١٧٣٢ م .

ويبرز كتاب "The History of Persia" لمؤلفه مالكولم Malcolm ، بكونه من المصادر المهمة عن تاريخ الدولة الفارسية في العصر الحديث ، لما تضمنه من معلومات قيمة عن مجرى الاحداث فيها وربطها بالمجرى العام للاحداث في المنطقة ، وقد أشرنا اليه في عدة أماكن من بحثنا هذا ، لا سيما فيما يتعلق بفترة الفوضى التي شهدتها بلاد فارس عقب مصرع نادر شاه .

أما كتاب هامر Hammer وعنوانه :

"Histoire de L'Empire Ottoman"

فانه يعد بحق واحدا من أهم المصادر عن أحوال الدولة العثمانية وشؤونها التاريخية ، وهو يشتمل على معلومات قيمة عن أحداث العراق ، وقد رجعنا اليه بشكل خاص فيما يتعلق بغزوات نادر شاه للعراق ، والتي تناولها في الجزئين الرابع عشر والخامس عشر .

ومن الكتب المهمة التي تتناول أيضا التاريخ العام للدولة العثمانيــة كتاب كريزى Creasy المعنون :

"History of the Ottoman Turks"

وقد استفدنا منه عند الحديث عن حملة السلطان مراد الرابع عـلى بغداد ، والحرب التي شهدتها الساحة العراقية بين نادر شاه والقوات العثمانية بقيادة طوبال عثمان باشا •

اما المؤلفات الحديثة التي أستفدت منها ، فان من بين أبرزها كتـاب شـــاي Shay المعنون :

"The Ottoman Empire from 1720 to 1734"

اذ تضمن معلومات قيمة تتعلق بالتدخل الروسى العثماني في بـــلاد فارس ، والحصار الفارسي لبغداد سنة ١٧٣٢ و ١٧٣٣ •

كما رجعت الى كتابى لوكهارت Lockhart القيمين ، واحدهما عـن سقوط الاسرة الصفويـــة "The Fall of the Safavi Dynasty" والثاني عن نادر شاه "Nadir Shah" .

اما كتاب « تاريخ فارس » A History of Persia لمؤلفه برسـي ســـايكس Sykes ، فانه يعد من الكتب ذات الفائدة ، اذ يلقى الضوء على كثير من الاحداث التي شهدتها بلاد فارس في العصر الحديث • وقـــد رجعت الى الجزء الثاني منه •

ولا بد من الاشارة الى كتاب لونكريك Longrigg بعنوان « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » Four Centuries of Modern Iraq والذى يعتبر بالغ الاهمية ، لما احتواه من معلومات قيمة تتعلق بتاريخ العراق منذ أوائل القرن السادس عشر الى نهاية القرن التاسع عشر •

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في انجاز هذا البحث لما فيه خير امتنا ، وتاريخها المجيد ، والله من وراء القصد •

الدكتور علاء موسى كاظم نورس

الفصل الأول

الصراع العثماني الفارسي حول العراق

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

الصراع العثماني الفارسي حول العراق

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

سقطت بغداد في سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) على يد هولاكو حفيد جنكيزخان ، بعد أن عصفت ريح الخراب في العراق ، وتدفقت سيول المغول والتركمان عليه • فكان ذلك حدثا تاريخيا فاصلا في تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادى ، اذ أصبحت البلاد ردحا من الزمن نهبا بأيدي الامراء المغول والتركمان من بعدهم ، تتقاذفها أطماعهم وتستعر في ميادينها حروبهم حتى قضى بعضهم على بعض ، وتبع ذلك نزاع العثمانيين والفرس عليها •

سقوط بغداد بايدي الفرس عام ١٥٠٨ م (٩١٤ هـ) :

لقد تطلع الشاه اسماعيل (١٥٠٠–١٥٢٤ م) مؤسس الاسرة الصفوية في بلاد فارس الى الاستيلاء على العراق ، وأستطاع في سنة ١٥٠٨ م (٩١٤هـ) ان ينتزع بغداد من سيطرة القبيلة التركمانية الآق قوينلو[١] • وبعد أن جعل ابراهيم خان حاكما على العراق ، عاد الى فتوحات أخرى فأمتدت ممتلكاته الى هراة شرقا وديار بكر وبغداد غربا[٢] • وبذلك أصبح الصفويون الذين تعاظمت قوتهم بسرعة يهددون الامبراطورية العثمانية •

---

(١) تمثلت السيطرة التركمانية على العراق في قيام دولتي القره قوينلو والآق قوينلو ، وهما قبيلتان تركمانيتان ، حكمت الاولى العراق من ١٤١٠ – ١٤٦٨ م وحكمت الثانية من ١٤٦٨ – ١٥٠٨ م •

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٧٣ ، خليل ادهم : دول اسلامية ، ص ٤١٣ •

ولكن ، كما واجه الساسانيون والفرثيون من قبلهم البيزنطيين والرومان، فقد وجد الصفويون أن عليهم أن يتحملوا تبعة تحدى سلطة الاتراك العثمانيين(٣) ، الذين كانوا يمثلون منذ دخولهم في الاسلام الحماة التقليديين للمذهب السني . لذلك كانت القضية المذهبية أول حجة يتذرع بها السلطان لاعلان الحرب .

ومهما كان الامر ، فان التصادم بين الدولتين كان واقعا لا محالة ، ذلك أن تقدم الصفويين نحو الغرب من بلاد فارس لم يعد أمرا يمكن تجاهله، وخاصة أنه لم يبق لدولة الآق قوينلو الحاجزة بينهما أي وجود . وباتت الدويلات الكردية ، والقبائل التركية في جبال طوروس الصغرى ، والاقليات المسيحية في أرمينية ، كلها من ممتلكات الشاه بحسب ادعاء الصفويين ، فأعلن ساسة القسطنطينية أن الدولة الصفوية قد خرقت الحدود العثمانية بضمها العراق وكردستان وأرمينية(٤) .

وقد شهد القرن السادس عشر الميلادى صراعا عنيفا بين الدولتين العثمانية والصفوية اللتين كانتا في أوج قوتهما ، وأخذت كل منهما تحاول التوسع والاستيلاء على حساب الاخرى . وقد كان العراق مسرحا طبيعيا لنزاعات هذين الخصمين وجبهة القتال الرئيسة بينهما ، كما أثبتت القرون الثلاثة التالية . وذلك لمجاورته لهما ، وما يتمتع به من موقع جغرافي ممتاز ، يضاف الى ذلك وجود العتبات المقدسة فيه ، تلك العتبات التي كثيرا ما أتخذتها الدولة الصفوية ذريعة للتدخل بحجة المحافظة عليها وتأمين زيارة الفرس لها . وكان الامل في قيام وئام ديني أو حدود هادئة بينهما ضعيفا ، لذا كانت بغداد تتأرجح تارة بيد الفرس وتارة بيد العثمانيين .

وقد أدت المعركة العنيفة التي دارت في الثالث والعشرين من آب سنة ١٥١٤ م (٢ رجب ٩٢٠ هـ) ، بين جيوش السلطان سليم الاول والشاه

---

(٣) فيليب حتي : موجز تاريخ الشرق الادنى ، ص ٣٧١ .
(٤) ستيفن لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٣ .

اسماعيل الصفوى في جالديران[٥] ، الى انتصار العثمانيين وسقوط تبريز عاصمة الدولة الصفوية في أيديهم • كما بسط العثمانيون سيطرتهم على شمال العراق ونصبوا الحكام في ديار بكر وماردين والموصل[٦] •

الفتح العثماني للعراق عام ١٥٣٤م (٩٤١ هـ) :

- وفي هذا الوقت كانت الدولة العثمانية قد وصلت قمة مجدها وقوتها ، وكانت بغداد قد بقيت فارسية في حكمها ، فبدأ السلطان سليمان القانوني[٧] (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) زحفه اليها ، فأثار ذعر البلاط الفارسي • وفي سنة ١٥٣٤ م (٩٤١ هـ) دخل بغداد فاتحا دونما مقاومة بعد أن هرب حاكمها الفارسى محمد خان تكه لو[٨] • وعندئذ أسرع الشيخ العربي راشد المغامس - شيخ عشائر المنتفق - والذى كان يحكم البصرة آنذاك باعلان ولائه للسلطان[٩] ، فألحقت البصرة بالممتلكات العثمانية سلما ، وبقى راشد

---

(٥) سهل في آذربيجان شرقي بحيرة أرمية بالقرب من تبريز .

(٦) مرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا ، ص ١٨٥ ، محمد همدمي صولاق زاده: صولاق زاده تاريخي ، ص ٣٦٠ ، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، ص ٧٤-٧٥ ، خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٤١٤ .

(٧) يذكرها هارولد لامب ان السلطان كان يواجه منذ توليه الحكم ضغطا من قبل حاشيته ومستشاريه يحثونه على انقاذ بغداد من أيدي الفرس .
انظر : هارولد لامب : سليمان القانوني ، ص ٢٣٥ .

(٨) مرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا ، ص ١٩٩ ، صولاق زاده تاريخي ، ص ٤٨٧ ، عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ ٤ ، ص ص ٢٦ - ٢٧ . والجدير بالذكران « تكه لو » هي احدى القبائل التركمانية السبعة التي كان يعتمد عليها الشاه الصفوي في حروبه وهذه القبائل هي : استاجلو ، شاملو ، بهارلو ، ذو القدر ، قاجار ، افشار . وتقطن هذه القبائل فيما وراء القوقاز عند الشاطىء الجنوبي لبحر قزوين والى الغرب من خراسان . وكانت قد هاجرت من أواسط آسيا أول امرها مع السلاجقة . انظر : شمس الدين سامي : قاموس الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٦٦٥ .

(٩) كلشن خلفا ، ص ١٩٩ ، سليمان فائق : تاريخ المنتفق ، ص ١٢ ، على ظريف الاعظمي : مختصر البصرة ، ص ١٢٨ ، العزاوي : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٦ .

نفسه حاكما عليها ، على أن يتلقى الاوامر من الباشا في بغداد ، وأن يذكر اسم السلطان في الخطبة والنقود[١٠] .

ولكن وجود هذه الامارة العربية شبه المستقلة كان يحول بين العثمانيين وأعدائهم البرتغاليين ، لذلك لم يقتنع العثمانيون بمثل هذا الولاء الرمزى من البصرة لحاجتهم الى مينائها كقاعدة بحرية لاسطولهم العامل في الخليج العربي والمحيط الهندى[١١] ، لا سيما وان العشائر العربية سرعان ما تمردت على الحكم الجديد وانضم اليها راشد ، فزحفت القوات العثمانية صوب البصرة واحتلتها سنة ١٥٤٦م (٩٥٣ هـ)[١٢] ، ثم امتد نفوذ العثمانيين بعد ذلك الى سواحل الخليج العربي الشمالية .

ولم تنته حوادث المد والجزر في الاستيلاء والانسحاب بين الدولتين ، وقد حفلت الدولة الصفوية طيلة مدة حكم طهماسب الاول بالحروب المتصلة ضد اعدائها : الاوزبك[١٣] في الشرق ، والعثمانيين في الغرب . ولكن لم يوفق فيها الشاه الى انتصارات دائمة[١٤] ، وهو وان كان قد تمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية ، الا أنه قاسى هزائم عديدة في الغرب على يدى السلطان سليمان القانوني الذي استولى على العراق وتوغل حتى وصل تبريز وأصفهان ، فنقل طهماسب عاصمته من تبريز الى قزوين لينجو من التهديد

---

(١٠) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٤٠ .

(١١) عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٩٧ .

(١٢) كلشن خلفا ، ص ٢٠١ ، عصمت بارمق سزاوغلو : نصر تنامه ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(١٣) الأوزبك : قبيلة تركية كانت قد استولت على الأمر في تركستان بزعامة محمد شيباني ، الذي تمرس بفن القتال في الحروب التي نشبت بين امراء المغول في تلك البلاد . وفي سنة ١٤٩٤م قضت هذه القبيلة على بقايا التيموريين في خراسان وهراة ، لتصبح بذلك متاخمة للدولة الفارسية ، واخذت تهدد حدودها الشرقية تهديدا متواصلا . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٢٤

(١٤) بروكلمان : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

العثماني[١٥] ، ثم آثر أن يصالح العثمانيين فأرسل وفدا يطلب عقد معاهدة مع السلطان سليمان القانوني[١٦] ، وفي ٢٩ مايس سنة ١٥٥٥ م (٨ رجب ٩٦٢ هـ) وقع في أماسية[١٧] أول معاهدة بين الدولة العثمانية وبلاد فارس[١٨].

وقد نصت هذه المعاهدة ، والتي عرفت باسم « معاهدة أماسية » ، على ترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية ، وتحديد حدود شهرزور – شمالي العراق – التي طالت المنازعات عليها ، وتأمين سلامة الحجاج الفرس[١٩] .

ومع أن هذه المعاهدة أدت الى تخفيف حدة التوتر بين الدولتين مدة ثلاثة وعشرين عاما ، الا انها لم تحل دون تجدد الحرب بينهما ، فقد انتهزت الدولة العثمانية فرصة الاضطرابات التي عمت بلاد فارس منذ وفاة الشاه طهماسب سنة ١٥٧٦ م (٩٨٤ هـ) وما انحدرت اليه البلاد من ضعف خلال حكم الشاه محمد خدابنده[٢٠] (١٥٧٧ – ١٥٨٧ م) ، فقامت باحتلال كرجستان[٢١] وداغستان[٢٢] وتبريز[٢٣] . كما استردت القوات العثمانية التي كانت تحت قيادة والى بغداد سنان باشا جغاله زاده عددا من القلاع

---

(١٥) دونالدولبر : ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٨٧ .

(١٦) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

(١٧) أماسية : مدينة في شمالي الاناضول وقصبة ولاية سيواس .

(١٨) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٠٥ .

(١٩) شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ١٩ .

(٢٠) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٤ .

(٢١) الكرج أو بلاد كرجستان اقليم واقع في جنوب جبال القوقاز يحده غربا البحر الاسود وشرقا اقليم داغستان وجنوبا بلاد ارمينيا ، وتعتبر مدينة تفليس عاصمة الاقليم .

(٢٢) داغستان : اقليم واقع شرقي بلاد كرجستان ومحصور بين بحر قزوين جبال القوقاز .

(٢٣) محمد فريد : المصدر السابق ، ص ص ١١٤ – ١١٦ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

في شهرزور من أيدي الفرس سنة ١٥٨٦ م (٩٩٥ هـ) وتوغلت في الاراضي الفارسية واحتلت نهاوند ولورستان(٢٤) .

والى جانب هذا الخطر الماحق من جانب الدولة العثمانية ، فأن الدولة الصفوية كانت تواجه خطر قبائل الاوزبك الذين أخذوا يقومون بغزوات جديدة للاقاليم الشرقية الفارسية ، وقد توغلوا في خراسان ، واستولوا على هراة ومشهد(٢٥) .

وقد أدرك الشاه عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩) وهو في مطلع أيام حكمه أنه غير قادر على أن يحارب في ميدانين متباعدين في آن واحد ، لذلك سارع الى عقد صلح مع العثمانيين ، الذين ما أنفكوا منذ وفاة الشاه طهماسب ، يهاجمون بلاد فارس مرة بعد مرة ، لكي يتفرغ لمجابهة الاوزبك(٢٦) .

وبمقتضى هذا الصلح الذى عقد في سنة ١٥٩٠ م (٩٩٨ هـ) والذى طال أمده حتى سنة ١٦٠٢ م (١٠١١ هـ) ، تنازل الشاه عباس للعثمانيين عن تبريز وشيروان وجورجيا ولورستان وشهرزور ، وكانوا قد احتلوا هذه الولايات كلها ، وتعهد بالكف عن سب الخلفاء الثلاثة الاولين في أراضي مملكته . وكدليل على رغبة الشاه في عدم قيامه بالتجاوزات على حدود الدولة العثمانية ، تقرر أن يبقى حيدر ميرزا (أبن اخ الشاه) رهينة في القسطنطينية(٢٧) .

---

(٢٤) كلشن خلفا ، ص‌ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٢٥) منجم باشي : صحائف الأخبار ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ،
Malcolm, J.: The History of Persia, Vol. I, P. 329.

(٢٦) Sykes, P. A History of Persia, Vol. II, P. 173.

(٢٧) فريدون بك : منشآت السلاطين ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ ، منجم باشي : صحائف الاخبار ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ٢١
Creasy, E.: Op. Cit., P. 226

والتفت الشاه من بعد ذلك الى خطر الاوزبك ، واستطاع ان ينزل بهم هزيمة كبيرة في سنة ١٥٩٨ م (١٠٠٦ هـ)بعد وفاة زعيمهم الخان عبدالمؤمن[٢٨] . ثم اتجه الشاه الذى كان يعانى من هزيمته أمام الدولة العثمانية التي استولت على المقاطعات الغربية من بلاده ولم يكن لديه في ذلك الوقت جيش منظم يحميه ، الى تنظيم جيشه على أسس حديثة[٢٩] ، وتزويده بسلاح المدفعية الذى كان يعوزه من قبل والذى كان الفرس عاجزين بسبب فقدانه ، عن مضاهاة العثمانيين في الميدان ، مستفيدا من خبرة أحد الضباط الانجليز ، وهو انتونى شيرلى[٣٠] Anthony Sherley .

وفي أواخر عهد السلطان محمد الثالث (١٥٩٥–١٦٠٣) ، وكانت الدولة العثمانية منهكة في حرب مستمرة مع النمسا ، وفي اخماد الاضطرابات التي حدثت في آسيا الصغرى[٣١] ، أعلن الشاه عباس سنة ١٦٠٢ م (١٠١١هـ) الحرب على العثمانيين ، فتمكن بجيشه الجديد من استرداد تبريز وروان ونخجوان . وواصل زحفه حتى وصل الى مدينة وان[٣٢] .

---

(٢٨) منجم باشي : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢١١ .

(٢٩) Lorimer, J. G.: Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, Vol. I, Historical, Part. 11, P. 1627.

(٣٠) طه زاده عمر فاروق : تاريخ ابو الفاروق ، جـ٤ ، ص ٢٨٠ ، خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٤١٤ في سنة ١٥٩٩ م زار البلاط الفارسي انتوني شيرلي واخيه روبرت ، فانتهز الشاه الفرصة واستعان بهما في تجديد جيشه . واسند اليهما واجبات قيادية فيه . وقد شارك روبرت شيرلي في المعركة الطاحنة التي دارت مع الجيش العثماني في سنة ١٦٠٥ م واصيب فيها .

انظر :

Lorimer, J.G.: Op. Cit., Vol. 1, Part. 1, P. 15; Part. 11, P. 1627.

(٣١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ .

(٣٢) كامل : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ١ ، ص ٢٢٤ ، طه زاده عمر فاروق : تاريخ أبو الفاروق ، جـ٤ ، ص ٢٨١ ، خليل ادهم : دول اسلامية ، ص ٤١٤ .

وقد أعقبت ذلك خصومات جديدة دامت حتى سنة ١٦١٨ م ، كانت تحركها الاطماع والحجج الموجودة لدى الطرفين ابدا ، فلقد حاولت الدولة العثمانية في سنة ١٦٠٥م (١٠١٤هـ) احتلال بعض المدن الفارسية ، الا انها منيت بالهزيمة[٣٣] . ثم أعادت الكرة في سنة ١٦٠٩ م (١٠١٨هـ) وتمكنت قواتها التي كانت بقيادة الصدر الاعظم مراد باشا من ضرب والحريب « تبريز » ، وعندئذ طلب الشاه عباس عقد الصلح على أن تكون معاهدة أماسية (١٥٥٥ م) التي عقدت بين السلطان سليمان القانوني والشاه طهماسب ، أساسا للمعاهدة الجديدة . ولكن الصدر الاعظم مراد باشا الذى كان يتبادل الوفود مع الشاه ، اقترح ان تكون اعادة البلدان التي كانت خاضعة للدولة العثمانية ، والتي هي وقتذاك بيد الصفويين ، شرطا اساسا للمصالحة ، وأصر على هذا الشرط ، أى اعتبار الصلح الذى عقد في سنة ١٥٩٠ م (٩٩٨ هـ) والذى عرف بأسم « معاهدة فرهاد باشا » أساسا للمصالحة الجديدة[٣٤] .

وعندما تسلم الصدارة نصوح باشا حاكم ديار بكر بعد وفاة الصدر الاعظم مراد ، اراد تخفيف حدة التوتر بين الدولتين لينصرف لمعالجة اضطراب الاحوال في الولايات الشرقية عموما[٣٥] ، فقبل اقتراح الشاه عباس وتم التوصل الى ابرام معاهدة سنة ١٦١١ م (١٠٢٠ هـ) والتي نصت على ترك كلٍ من تبريز ووان وشيروان للدولة الفارسية ، على ان يدفع الشاه الى الدولة العثمانية سنويا مائتى حمل من الحرير[٣٦] .

---

(٣٣) كامل باشا : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥ .

(٣٤) مصطفى نعيما الحلبي : تاريخ نعيما (روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين) ، جـ٢ ، ص ٨٨ .

(٣٥) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٠ .

(٣٦) فريدون بك : منشآت السلاطين ، جـ٢ ، ص ١٦٠ ، احمد رشيد : خريطة لي ورسملي مكمل تاريخ عثماني ، جـ٢ ، ص ١٤ .

غير أن هذه المعاهدة لم تحل المشاكل المعلقة بين الدولتين ، فقد تجددت الحرب بينهما وانتهت بابرام معاهدة أخرى في سنة ١٦١٣ م (١٠٢٢ هـ) ، وكان من شروطها : عدم قيام الفرس بأية استفزازات عقائدية ، والتسليم ببقاء القلاع والبقاع الموجودة بيد العثمانيين وعدم التعرض لها ، وعند قيام الدولة العثمانية باسترداد الاماكن التي استولى عليها (هلوخان)[٣٧] من ايالة شهرزور لا يجوز للدولة الصفوية أن تمده بأية مساعدة ، وأن يسمح بالمرور والتجوال لقواد الجانبين على الحدود لاجل تحديدها[٣٨] .

وبموجب هذه المعاهدة ، صرف النظر عن الاراضي والمدن التي كانت الدولة الصفوية قد أستولت عليها في الآونة الاخيرة ، ولم ترد الاشارة الى الضريبة التي كان الشاه يدفعها سنويا للدولة العثمانية ، وهي مائتا حمل من الحريـر

ولكن الحرب لم تنته بين الدولتين ، بل عادت من جديد ، لان اسبابها كانت قائمة بصفة مستمرة ، ولكنها تحتاج دائما الى سبب مهما كان بسيطا لاثارتها . ففي سنة ١٦١٥ م (١٠٢٤ هـ) بدأت الاستعدادات العسكرية العثمانية . وكانت الحجة في ذلك عدم قيام الشاه عباس بتأدية ضريبة الحرير التى تعهد بأدائها سنويا من جهة ، ومن جهة أخـرى تجاوزات الشاه عـلى كرجستان . ولاجل ايقاف الحركات العسكرية ، وصل الى العاصمة العثمانية السفير الفارسى (قاسم خان) ، الا ان سفارته لم تسفر عن أية نتيجة ، فقد

---

(٣٧) من امراء اردلان ، وقد كان الأردلانيون يدعون السيطرة على شهرزور قبل ان يظهر العثمانيون والصفيون ، وكان الامير الاردلاني تابعا مواليا للشاه منذ قيام الدولة الصفوية . وقد تكونت امارة أردلان في أواخر أيام المغول وكان مؤسسها (بابا أردلان) ، ولم تذعن هذه الامارة للعثمانيين بسهولة .

انظر : العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ٦١ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٦١ .

(٣٨) فريدون بك : منشآت السلاطين ، جـ٢ ، ص ١٦٥ ، مصطفى عبدالله كاتب جلبي : فذلكة كاتب جلبي ، جـ١ ، ص ٣٥٤ ، الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ٢٤ .

تمكنت القوات العثمانية من الاستيلاء على قلعة روان ومحاصرة نخجوان وفتحها بعد الاتفاق مع حاكمها[٣٩] .

وقد وقعت عدة مصادمات عند منطقة أردبيل حيث كان الشاه عباس موجودا فيها ، ومرة أخرى عقدت معاهدة صلح جديدة سميت بـ « معاهدة سراو » سنة ١٦١٨ م « ١٠٢٧ هـ » أكدت على أن تكون الحدود بين الدولتين كما نصت عليه معاهدة أماسية ، والتغيير الوحيد الذى طرأ على الحدود هو أن الصفويين طلبوا عوضا عن ايالة(اخسخة) التي كانت تابعة لهم والتي أصبحت تحت سيطرة الدولة العثمانية ، سنجاقي درنه ودرتنك اللتين كانتا تابعتين لادارة ولاية بغداد ، فقبل الاقتراح وتم تبادل السفراء لادامة الصداقة بينهما[٤٠] .

سقوط بغداد ثانية بأيدي الفرس عام ١٦٢٣ م (١٠٣٣ هـ) :

تعرض الحكم العثماني فى العراق لهزات كثيرة ، كانت ممهدة لاحتلال فارسي ثان ، فان بعد العراق عن سلطة القسطنطينية ومشاكله الخاصة به ، أوقعته في سلسلة من القلاقل الداخلية الواسعة النطاق ، كما أن ضعف الامبراطورية العثمانية العام لم يكن اقل تأثيرا في تمهيد الامر لذلك الوضع، فقد بدت في أوج عظمة الامبراطورية ومجدها الشامخ ، في منتصف القرن السادس عشر ، أول علامات خريفها .

اذ جاء بعد السلطان سليمان القانوني عدد من السلاطين المفسدين غير المقتدرين في الغالب ، وبدأ الفساد يدب في الادارة الحكومية ، وأخيرا أمسى الجيش الانكشارى الذى شيد أركان الامبراطورية ووسع رقعتها من أهم العوامل في تدهورها[٤١] . فقد أخذ يفقد بالتدريج كل ما كانت له من

---

(٣٩) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ٢٢ .

(٤٠) فريدون بك : منشآت السلاطين ، جـ٢ ، ص ١٦٩ ، الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ٢٧ .

(٤١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

مزايا وتحول في آخر الامر الى آلـة فساد وفوضى ، حتى ان أكثر الانكشارية لم يعد يلتزم بالحضور في الثكنات الا لاستلام المرتبات التي كانت تسمى (العلوفات) . وأخذ الكثيرون منهم يشتغلون بمهن مختلفة ، بعد أن يبيعوا تذاكر علوفاتهم الى الراغبين من الناس كما تباع الاسهم والسندات[42] .

وقد سرى هذا الانحلال ايضا الى انكشارية الولايات[43] ، اذ أصبحوا مصدرا للفتنة وبؤرة للفساد[44] . فقد لعبوا في بغداد دورا خطيرا في الفتن الداخلية ونشب القتال أكثر من مرة بينهم وبين القوات المحلية[45] ، وضج الناس بالشكوى من تعدياتهـم ، وفشـلت محاولات الولاة لكبح جماحهم .

وفي سنة ١٦٠٧ م (١٠١٦ هـ) استطاع محمد بن أحمد الطويل ـ أحد الرؤساء الانكشاريين في بغداد ـ ان يستأثر بالسلطة العليا في المدينة ، وان يهزم جيشا أرسله الباب العـالى لاخضاعـه ، بقيـادة نصـوح باشـا والى ديار بكر[46] . ولكنه ما لبث أن قتل من قبل احد اعدائه ، وعندما خلفه

---

(٤٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٣٧ .

(٤٣) قيل ان اكثرية سكان بغداد قد أصبحوا انكشارية ليحصلوا على امتيازاتهم . انظر : جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ، جزءان ، القاهرة ١٩٧١ وفيهما تفصيل عن انكشارية الولايات .

(٤٤) جب وبوون : المجتمع الأسلامي والغرب ، جـ٢ ، ص‌ص ٢٨ ـ ٣٠ .

(٤٥) كان في الولايات العثمانية نوعان من القوى العسكرية هما : جند الحكومة المركزية وجند الولاة او الحكومة المحلية . ويطلق على النوع الأول اسـم « قبوقولي » وهي قوةامبراطورية تعار للخدمة في الولايات حيث تقـوم بمهمة الدفاع عنها وتكون تحت قيادة أغوات تابعين للسلطان . وكان مـن المعتاد ان لا يبقى افراد هذه القوة في مراكزهم زمنا طويلا بل كانت ترد مـن العاصمة العثمانية فرق انكشارية جديدة لتحل محل الفرق القديمة . اما الجنود المحليون فقد كان للوالي الحق في تشكيل فرق محلية وهي تتكون من المرتزقة او من العشائر الموالية او التي حصلت على امتيازات ماليـة في مقابل الخدمة العسكرية . انظر : جب وبوون : المجتمع الاسلامـي والغرب ، جـ١ ، ص ٢٧٠ ، جـ٢ ، ص ٣٠ .

Huart, C.: Histoire de Bagdad, PP. 89 - 92.

(٤٦) تاريخ نعيما ، جـ١ ، ص ٤٥٨ ، كلشن خلفا ، ص ٢١١ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٥٢ .

أخوه مصطفى في تولى الحكم حدثت ثورة في بغداد أطاحت به ، قام بها بعض القادة الانكشاريين ، وذلك بتدبير من محمود باشا جغاله زاده الذى عهد اليه الباب العالى بمهمة القضاء على السيطرة الانكشارية في بغداد وتولي باشويتها • وكان قد راسل هؤلاء القادة عند وصوله الى الموصل ، اذ كانت له معرفة بهم حين كان واليا في بغداد[٤٧] ، وبذلك استطاع الباب العالي أن يستعيد حكمه المباشر على بغداد •

وبرز بعد أربعة عشر عاما ثائر آخر من بين انكشارية بغداد هو بكر صوباشي الذى عظم شأنه كثيرا وتعالت سلطته فتفوقت على سلطة الوالي الضعيف يوسف باشا واستطاع في سنة ١٦٢١م (١٠٣١هـ) أن يستأثر بالحكم بعد أن تمكن من القضاء على الحركة التي استهدفت الاطاحة به والتي قام بها بعض كبار الانكشارية وأشراف المدينة ، وقتل اثناءها باشا بغداد[٤٨] • وقد غدا الصوباشى سيد بغداد غير المنازع ، ونصب نفسه للباشوية ، فكان ذلك ممهدا لوقوع بغداد فريسة بيد الفرس

فقد أصدر الباب العالى أوامره الى حافظ أحمد باشا ، والى ديار بكر ، لقيادة حملة الى بغداد للقضاء على هذه الفتنة ، وتجمعت كالعادة جيوش الولايات المجاورة (الموصل وشهرزور ومرعش وسكيواس) للزحف نحو بغداد وانضمت اليها قوات أورفة والبيكات الاكراد في العمادية وامراء سوران[٤٩] •

وعند وصول حافظ أحمد باشا على رأس هذه القوات الى بغداد ، نشب قتال عنيف عند سورها[٥٠] ، وجرت مفاوضات بين القوات من الطرفين ،

---

(٤٧) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، صص ١٦٠ – ١٦٢ ؛ لونكريك : المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٤٨) مصطفى عبدالله كاتب جلبي : فذلكة كاتب جلبي ، ص ٣٩ ، تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٤٩) فذلكة كاتب جلبي : جـ٢ ، ص ٤٠ ، منجم باشي : صحائف الأخبار ، جـ٣ ، ص ٦٥٨ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٤ .

(٥٠) تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٢٧٤ .

غير أن الصوباشي لم يقنع بغير الباشوية • ثم قل الطعام وضعفت الحامية من جراء الحصار الشديد الذى فرضته جيوش السلطان[٥١] • فأدرك الصوباشي انه أضعف من أن يصدها فبادر الى الاستنجاد بالشاه عباس الكبير ، اذ بعث رسولا يحمل اليه مفاتيح المدينة[٥٢] ، على أن يكون هو الحاكم فيها والخطبة والسكة للشاه[٥٣] •

فكانت هذه فرصة للشاه لم يتوان عن انتهازها لكى يتوسع على حساب العثمانيين ، خاصة وأنه استطاع أن يؤمن حدود بلاده الشرقية من غارات الاوزبك عليها ، فأصبح قادرا على مجابهة العثمانيين[٥٤] • فبعث بجيش كبير لاحتلال العراق ، اذ أصدر أوامره الى حكام لورستان وأردلان بالانضواء تحت لواء صفى قلى خان حاكم همدان الذى نصبه قائدا عاما ، وأوعز الى هؤلاء الحكام بالتحرك فورا الى بغداد لمعاونة بكر صوباشى[٥٥] •

---

(٥١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٥ ، العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، ص ١٧٢ •

(٥٢) كلشن خلفا ، ص ٢١٧ ، جبرائيل حنوش اصفر : مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، (مخطوط) ، ورقة ١١٩ •

(٥٣) المحبي : خلاصة الاثر ، جـ١ ، ص ٣٨٢ •

(٥٤) تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٢٢٧ •

ومن الجدير بالذكر ان الدولة الصفوية بلغت ذروة قوتها في عهد الشاه عباس الكبير ، الذي استطاع أن ينزل هزيمة كبيرة بالاوزبك في سنة ١٥٩٨م ، وتمكن بعدئذ من استرجاع المناطق المفقودة ، وكذلك مكن للسلطة الفارسية في بلاد القوقاز ايضا ، وعزز الحدود في الشرق حتى مربلخ ، وتعاون مع الانجليز في اخراج البرتغاليين (الذين كان في صراع مسلح معهم) من جزيرة هرمز في الخليج سنة ١٦٢٢م ، وانشا قاعدة تجارية جديدة في ثغر كمبرون التي اسماها (بندر عباس) • انظر

Ives, E.: A Journey from Persia ot England, P. 197; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 181.

(٥٥) كلشن خلفا ، ص ٢١٧

وقد دخلت طلائع هذه القوات الى الاراضى العراقية واخذت تتقدم بقيادة قرجغي خان نحو بغداد ، ثم وصل رسول من قرجغي الى المعسكر العثماني معلنا : « أن بغداد قد أصبحت فارسية ، فهل للباشا أن ينسحب من جوارها ليدوم السلم بين الامتين ؟ » فرد عليه الباشا قائلا « ان هذه ليست بأرض فارسية ونحن نقوم بواجب تأديب ثائر من الثوار »[٥٦] . فعاد الرسول مرددا كلمات الوعيد .

ولم يجد القائد العثماني حافظ أحمد باشا بدا من اقرار الامر الواقع اذ بات من الواجب الحيلولة دون سقوط بغداد بأيدي الفرس لا سيما وقد تردد ان النقود أخذت تضرب فيها باسم الشاه[٥٧] . فعقد الصلح مع الصوباشي وأسند اليه باشوية بغداد على أن يبذل جهده لحماية البلد من أن تمتد اليه يد أجنبية[٥٨] ، ثم قفل راجعا الى الموصل ومنها الى ديار بكر[٥٩] .

ولكن القوات الفارسية لم تعترف بما حدث ، بل واصلت زحفها على بغداد وضربت عليها الحصار وطلب قائدها من الصوباشى ما وعد به . غير أن بكرا أجاب بأنه مستعد لدفع نفقات الحملة الفارسية ، الا أنه ليس ممكنا تسليم بغداد[٦٠] . وعندما علم الشاه بأن الصوباشى قد أخلف وعده ونقض عهده ، أرسل أوامره الى حكام خراسان وكرجستان وكيلان وما زندران

---

(٥٦) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص٧٦ .

(٥٧) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، ص١٧٤ .

(٥٨) كلشن خلفا ، صص٢١٧ — ٢١٨ .
كان قد جاء في فرمان التولية ، وجهت اليك بغداد فكن على بصيرة وابذل ماتستطيعه من قدرة لحفظ الايالة وحراستها .
انظر العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، ص١٧٤ .

(٥٩) جبرائيل حنوس اصفر : مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، (مخطوط)، ورقة ١١٩ ، ياسين العمرى : زبدة الاثار الجلية ، ص٦١ .
ياسين العمري : زبدة الاثار الجليلة ، ص٦١ .

(٦٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص٧٧ .

لجمع قواتهم والتحرك فورا الى بغداد[61] . ووصل الشاه نفسه للاشتراك في الحصار في صيف ١٦٢٣ م (١٠٣٣ هـ)[62] . وقد كتب اليه الصوباشي : « انى تصالحت مع السلطان وصرت أحد الوزراء ووليت أمر بغداد ، فأرحل عنا بسلام »[63] . فغضب الشاه لذلك وأخذ يشدد من حصاره على بغداد ، فاستفحلت المجاعة فيها وأخذت شكلا مروعا حتى أكل الناس الميتة ولحوم الكلاب[64] ، ويأس الجميع من أمل المساعدة التي كانوا يتوقعونها من القسطنطينية بعد النداءات المتكررة التي وجهها الصوباشي اليها[65] .

---

(٦١) كلشن خلفا ، ص٢١٨ .

(٦٢) فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ، ص٤٦ ، اسكندر بك منشىء : تاريخ عالم اراى عباسي ، ج٣ ، ص٩٩٩ .

(٦٣) ياسين العمري : زبدة الاثار الجليية ، ص ص ٦١-٦٢ .

(٦٤) كلشن خلفا ، ص ٢١٩ ، العمري : زبدة الاثار الجليلة ، ص ٦٢ .

(٦٥) العزاوي : العراق بين احتلالين ،ج٤ ،ص ص ١٧٦-١٧٧ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٧

والجدير بالذكر انه في الوقت الذي كانت القوات الفارسية تحاصر بغداد ، كانت الدولةالعثمانية تواجهاخطارا وكوارث،فقد تجمعت سحب سوداء حول مطلع عهد السلطان مراد الرابع الذياعتلى عرش الامبراطورية في (العاشر من سبتمبر سنة ١٦٢٣م)، اذ يذكر المورخ كريسي« انه كانت تصل من كل اجزاء الامبراطورية الرسائل حاملة انباء لاتسر : فهؤلاءهم الفرس المنتصرون على الحدود ، وهذا هو الثائر اباظة صاحب الامر والنهى على اسيا الصغرى ،

وهناك كذلك قبائل لبنان المتمردة علنا ، كما ان حكام مصر والولايات الاخرى يتأرجح ولاؤهم للسلطان ، ، وايضا هؤلاء البرابرة يجعلون من انفسهم اوصياء على العرش متظاهرين بانهم من ذوي السلطات المستقلة التي تتيح لهم ان يعقدوا معاهدات مع الامم الاوربية لحسابهم الخاص ، وليس هذا فقط ، بل ان الاساطيل القوقازية المغيرة لم تكتف بما كانت تسلبه باستمرار على طول البحر الاسود ، فأخذت تظهر في البسفور وراحت تنهب الاماكن القريبة جدا من العاصمة . ثم ان في القسطنطينية نفسها ، كانت هناك خزينة خاوية ، ودار صناعة معطلة ، ونقود قليلة القيمة لانخفاض قيمة الذهب والفضة فيها اثناء سكها ، ومخازن للذخيرة هزيلة ، وسكان يموتون جوعا ، وجند بلغ بهم الفجور مبلغا» . وينقل

وفي الشهر الثالث من الحصار لم يبق في قوس الصبر منزع ، فقد أستهلكت الذخائر والمؤن ونفدت الحيوية في داخل المدينة المحصورة(٦٦) . وقيل ان أعوان الصوباشي قد بدأوا يتخلون عنه ، حتى خانه ابنه محمد الذي كان دفاع القلعة مناطا به ، اذ بعث الى الشاه يطلب الامان لنفسه وأتباعه لقاء تسليمه القلعة وفتحه أبواب المدينة ، فرضي الشاه بذلك(٦٧) .

وفي الليلة الثامنة والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٦٣٣م (الثاني من صفر ١٠٣٣ هـ) دخلت القوات الفارسية الى المدينة(٦٨) . وقد تم القاء القبض على بكر صوباشي وجيء به مكبلا بين يدى الشاه ثم أعدم ، كما أعدم قاضي بغداد وآخرون ، وكثرت حوادث القتل والنهب(٦٩) .

ويروى مرتضى نظمي زاده ، وهو مؤرخ عاصر هذه الاحداث ، أن من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب ، وأن العديد من السكان أرغموا على ترك بيوتهم ومغادرتها(٧٠) .

كريسي عن المؤرخ العثماني اولياء جلبي قوله انه : «عندما تفقد السلطان مراد الرابع الخزانة على اثر توليه ... ، لم يكن هناك ثمة ذهب ، كما لم يتبق في الخزانة شيء من الفضة وكل ماكان هناك ..../٣٠ قرش فقط وبعض المرجان والخزف موضوعا في صناديق . وقد قال السلطان بعد ان ركع يصلي ، : « ان شاء الله ، سأعيد ملء هذه الخزانة خمسين ضعفا بممتلكات اولئك الذين نهبوها » .
انظر :
Creasy, E.: Op. Cit., PP. 246-7.
وانظر كذلك : اولياجلبي سياحتنامه سى ، جـ١ ، ص ٢٢٨ .

(٦٦) كلشن خلفا ، ص ٢١٩ .

(٦٧) ياسين العمري : زبدة الاثار الجلية ، ص‌ص ٦٢ ـ ٦٣ ، احمد راسم : رسملي وخريطة الى عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ١٤ ، المحبي : خلاصة الاثر ، جـ١ ، ص ٣٨٢ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص٧٧ .

(٦٨) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٤٦ .

(٦٩) كلشن خلفا ، ص ٢٢٠ ، ياسين العمري : زبدة الآثار الجلية ، ص‌ص ٦٣ ـ ٦٤ ، غاية المرام ، ص ١٧٢ ، المحبي : خلاصة الاثر ، جـ١ ، ص ٣٨٢ .

(٧٠) كلشن خلفا ، ص ٢٢٠ .

وقد بدأت عملية تجريد الجنود العثمانيين من أسلحتهم وقبض على آلاف من السكان لمجرد اختلافهم المذهبي[٧١] . وبعدئذ نودي بالامان ، ولكنه كان أمانا خادعا ، اذ تلا ذلك أضطهاد منظم .

وبعث الشاه بقواته لاحتلال ما تبقى من العراق ، فأستولى قائده قاسم خان على كركوك والموصل[٧٢] ، وقدم اميرا البادية (مطلق أبو ريشه ، وناصر المهنا)[٧٣] ، ولاءهما للشاه[٧٤] ، ووضعت حاميات في السماوة.

---

(٧١) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٧٨ .

(٧٢) كلشن خلفا ، ص ٢٢١ ، فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٥١ ، خير الله افندي : دولت عليه عثمانية ، جـ١٧ ، ص ١٣ ، ياسين العمري : زبدة الاثار الجلية ، ص‌ص ٦٤ ــ ٦٥ .

(٧٣) كانت البادية تخضع لحكم هذين الاميرين ، وكانت قواتهما لاتخرج عن حلفين بدويين ، وقد كان ناصر المهنا « ملك » القسم الجنوبي الممتد من النجف الى الفلوجة ، وكانت كربلاء مركز « ديرته » . وقد اعترف ناصر بولائه للسلطان العثماني ، غير أن أتوقراطيته في البادية ، وجمعه للخاوة ، والشدائد التي كان يصادفها المسافرون المارون في ديرته ، كانت تجعل منه خصما للحكم العثماني . وعند سقوط بغداد في أيدي الفرس سنة ١٦٢٣ م ، سارع في تقديم الولاء لهم وعدهم منقذين ، على أنه حاول بعد سنتين طردهم من ديرته كربلاء .

أما أبو ريشه ، والذي كان يعد « ملك بلاد العرب » ، فان سطوته كانت الى شمال منطقة ناصر المهنا وغربها ، وكانت «عانة» قاعدة حكمه، كما كانت ديرته ممتدة من هيت الى بيره جك واطراف منطقة العشائر السورية ، مما جعل اسمه مخيفا لباشوات ديار بكر وبغداد وحلب . وقد اعترف العثمانيون بامارته في « عانة » غير أنه قام عند احتلال الفرس لبغداد بطرد الحامية العثمانية الموجودة في عانة . ومع هذا فانه كان متذبذبا في الولاء بين العثمانيين والفرس ، بل كان ينهب الفريقين ايضا ويناوئهما من دون أن يخدم أحدا منهما ، وهذا مما جعل الصدر الأعظم خسرو باشا يرسل في سنة ١٦٣١ م حملة صغيرة لتأديبه .

انظر : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص‌ص ٥٦ ــ ٥٧ ، ٧٩ ــ ٨٠ ، ٩٠ .

(٧٤) علي ظريف الاعظمي : تأريخ الدول الفارسية في العراق ، ص ١٠٩ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

والحلة والعتبات المقدسة . وبعد أن استتب الامن ، عاد الشاه الى بلاده تاركا صفي قلي خان حاكما على بغداد[٧٥] .

فشل الفرس في احتلال البصرة :

ورغم سقوط أكثر العراق بيد الفرس ، فان أفراسياب[٧٦] حاكم البصرة حافظ على ولائه الاسمى للسلطان العثماني الا أن الشاه كان يرى أن البصرة ، وان لم تكن في حوزة الحكم العثماني ، لكنها ما كانت خارجة عن منطقة نفوذه ، وان تبعيتها للسلطان وحمايتها للتجارة البرتغالية[٧٧] يجب أن يوقفا عند ذلك الحد الذى بلغاه . فطلب في سنة ١٦٢٣ م (١٠٣٣هـ)

---

(٧٥) مرتضى نظمي زادة : كلشن خلفا ، ص ٢٢٢ .

(٧٦) كان افراسياب كاتبا لجند البصرة ، وفي سنة ١٥٩٦ م (١٠٠٥ هـ) اضطر والي البصرة علي باشا بسبب غزوات القبائل المستمرة واشتباكها مع الحامية العثمانية اشتباكا دائما ، وما ادت اليه من قلة ايرادات الولاية حتى عجز الوالي عن دفع رواتب الجند الحافظين ، الى ان يقوم بتسليم امور الولاية الى افراسياب الذي دفع له مقابل ذلك مبلغا من المال ، على ان يبقى افراسياب الخطبة باسم السلطان العثماني . ومن هذا التاريخ اصبحت البصرة تحت حكم أسرة افراسياب . اما الباشا العثماني الذي باع حكومته ، فقد شنق ساعة وصوله الى القسطنطينية . وقد استطاع افراسياب ان يوسع حكمة ويوطد دعائم النظام في خارج المدينة وضواحيها ، حتى شمل ذلك قوبان والدورق وغيرهما من جزر شط العرب ومواقعه . وقد كان يصرح في رسائله الى القسطنطينية بولائه للسلطان ، غير انه لم يدفع الجراية السنوية ولم يبذل الطاعة لبغداد والقسطنطينية . وفي سنة ١٦٦٧م (١٠٧٨هـ) تمكنت الدولة العثمانية من اعادة سيطرتها المباشرة على البصرة ، حيث نجحت حملة كبيرة قادها والي بغداد قره مصطفى باشا من دخول البصرة والقضاء على حكم الاسرة الافراسيابية .

انظر : كلشن خلفا ، ص ص ٢٤٧ـ٢٤٩ ، ٢٦٩ـ٢٧٢ ، محمد اغا خواجه زاده : سلحدار تاريخي ، ج ١ ، ص ص ١٦ـ١٨ ، ٣٩٩ ، ٤٧٤ـ٤٧٩ ، احمد كسروى : تاريخ بانصدسالة خوزستان ، ص ص ٦٩ـ٧٠ ، ٩٣ـ٩٤ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص ص ١٢٧ـ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ـ١٤٦ ، فتح الله الكعبي : زاد المسافر ولهنه المقيم والحاضر ، ص ص ١٦ـ٢٠ .

(٧٧) بعد سقوط جزيرة هرمز قاعدة البرتغاليين الرئيسية في الخليج العربي

الى أفراسياب أن يتخلى عن تبعيته العثمانية ويتقبل التبعية الفارسية ، وأن يسك النقود باسم الشاه ، ويذكر اسمه في الصلاة (وذلك خير دليل على الولاء) ويتخذ الازياء الفارسية في الملبس ، ويكون في مقابل ذلك واليا وراثيا لا يقدم شيئا من الجراية ، وله ملء ما تسع الصلاحية المحلية[٧٨] .

وعندما رفض أفراسياب ذلك ، جرد عليه الشاه في السنة التالية حملة بقيادة حاكم شيراز امام قلى خان . ولكن أفراسياب صد الحملة بمساعدة الاسطول البرتغالى الذى لبى نداء أفراسياب وقدم الى البصرة[٧٩] ، وأعاد الفرس الكرة في سنة ١٦٢٥ م (١٠٣٤ هـ) ، فهب البرتغاليون ثانية الى نجدة البصرة وأعاروا على باشا ــ الذى خلف أباه في حكمها ــ خمس سفن مسلحة ، غير أن القوة الفارسية أنسحبت فجأة تاركة الكثير من أحمالها . ويرى لونكريك أنه من المحتمل أن يكون سبب الانسحاب حدوث أضطراب في شيراز أو ورود أمر من العاصمة أصفهان[٨٠] .

وفي سنة ١٦٢٩ م (١٠٣٩ هـ) قاد امام قلى خان حملة ثالثة في محاولة أخرى لاحتلال البصرة ، فلجأ حاكمها على باشا الى كسر السدة التي تحفظ المدينة من الغرق ، فغمرت الماء البطاح المحيطة بها . وفي الوقت نفسه سمع الفرس بوفاة الشاه عباس الكبير ، فأنسحبوا[٨١] ، وبذلك فشلت جميع الجهود الفارسية لاحتلال البصرة .

أيدي الفرس سنة ١٦٢٢ م ، كثر اتصال البرتغاليين بالبصرة حتى غدت في عهد حكم الاسرة الافراسيابية من اهم مراكزهم في الخليج . وقد أسس البرتغاليون فيها بيعة دينية ووكالة تجارية ، فكان هذا سببا في امتعاض الشاه الذي عدها ضربة للتجارة الفارسية في الخليج . لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٣١ ، ١٣٦ ، غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ١ ، ص ١٠٠ .

(٧٨) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٣١ .

(٧٩) احمد كسروي : تاريخ بانصد ساله خوزستان ، ص ٧١ . على ظريف الاعظمي : مختصر تاريخ البصرة ، ص ١٣٠ .

(٨٠) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٣٢ .

(٨١) العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه : نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ص ٩٧ .

محاولات الدولة العثمانية لاستعادة بغداد :

لم يقف العثمانيون مكتوفي الايدى ازاء الاحتلال الفارسى لبغداد ، بل جهز الباب العالى عدة حملات عسكرية لاستعادتها ، فقد عهد في سنة ١٦٢٥ م (١٠٣٥ هـ) الى الصدر الاعظم حافظ أحمد باشا قيادة الحملة الزاحفة نحو بغداد . وأسفرت أولى العمليات العسكرية التي دارت في أودية شهرزور عن ايقاع الهزيمة بالفرس واحتلال كركوك(٨٢) ، وصرح الصدر الاعظم في اجتماع حربى عقده فيها قائلا : « ان مفاتيح بغداد بيدى »(٨٣) . وقد أثار ذلك ذعر البلاط الفارسى الذى عزز حامية بغداد عاجلا ، وبدأ بالاستعدادات الحربية الواسعة النطاق ، وبعث القائد الفارسى صفى قلى خان بخطاب الى الصدر الاعظم ، ناشده فيه ، بلهجة تهكمية ، أن يؤخر احتلاله لبغداد بمقدار الايام القلائل التي سيستغرقها الشاه نفسه للوصول الى ميدان الحرب(٨٤) ، فكان ذلك نذير وقوع معركة حاسمة .

فقد واصلت القوات العثمانية تقدمها نحو بغداد ، وعند وصولها بدأت عمليات تطويقها(٨٥) وحدثت بعد ذلك مناوشات تلتها حرب عنيفة ، اذ شن العثمانيون بعد مضي ما يقرب من الشهرين والنصف على الحصار هجوما واسعا رجحت فيه كفة الفرس ،وخسر العثمانيون كثيرا من الجند ، بينما أخذ الشاه يبعث بالنجدات الفارسية . فقد وصلت قوة فارسية بقيادة زينل خان يتراوح عدد افرادها بين ستة آلاف وثمانية آلاف مقاتل ، وبدأت الحرب مع قوة عثمانية كان يقودها والى سيواس طيار محمد باشا في منطقة ديالى ، واستطاعت أن تلحق بها خسائر كبيرة(٨٦) .

---

(٨٢) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٧٤ ، تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ ، كلشن خلفا ، ص ٢٢٢ .

(٨٣) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٨١ .

(٨٤) نفس المصدر ، ص ٨٢ ، العزاوي : العراق بين احتلالـــين ، جـ٤ ، ص ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٨٥) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٧٥ .

(٨٦) تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ ، فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٧٦ .

وقد استخدم الصدر الاعظم نشاطه كله في سبيل ادامة حيوية جنده ، فدعى ضباطه وأبلغهم تعليماته لمواجهة الموقف المتدهور ، ورفض اقتراحا لبعض مستشاريه الذين أشاروا عليه بالانسحاب ، وقرر مواصلة القتال ، وطلب في كتبه الى القسطنطينية جميع أنواع النجدة والتجهيزات[87] . وتوقع الفرس أن الصدر الاعظم لا محاله معيد الكرة ، فبدأوا يهددون معسكره ويضيقون الخناق عليه لشل حركته ، وأخذت قوات من الجيش العثماني تناوشهم القتال[88] .

وفي هذه الاثناء تبودلت الرسائل بين القيادة الشاهية وقيادة الصدر الاعظم وقد طلب الشاه في احداها فصل بغداد عن السلطنة العثمانية رسميا ليكون منها ولاية لولى العهد . وفي رسالة أخرى ، أنب العثمانيين على فقدانهم حمية الحرب والدبلوماسية معا ، والا لكانوا أعلنوا الحرب أو عقدوا الصلح. وقد رد الصدر الاعظم على الشاه بقوله : « ان الصقر اذا عقب الحمامة لايعبأ بالزاغ ولا بالغراب ، وان نباح ابن آوى لا يقلق الاسد »[89] ، وأضاف « نحن لا نترك بغداد بأمثال هذه الاقوال »[90] .

---

(٨٧) تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٣٧١ .
ويذكر كاتب جلبي وكان قد اشترك في هذه الحملة ، انه وردت في هذه الأثناء من ديار بكر ذخائر ومعدات حربية من بينها عدد من المدافع من النوع المسمى (بال يمز) .
انظر : مصطفى عبدالله كاتب جلبي : فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٨٠.
ومن الجدير بالذكر ان « بال يمز » اسم أطلق على مدفع من عيار كبير ، استحدث في الجيش العثماني أيام السلطان مراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١) وهو من مدافع الحصار . وقد جاءت الكلمة للعثمانيين مصطلحا عن طريق صناع المدافع الألمان الكثيرين الذين كانوا ملحقين بخدمة الجيش العثماني .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٦ ، (الترجمة العربية) ، مادة « بال يمز » .

(٨٨) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٨٢ ، تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٨٩) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٨٤ .

(٩٠) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٨٣ وانظر ايضا : العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ١٩٠ .

فأشتبك الطرفان في حرب ثانية دارت بالقرب من أسوار بغداد ، ولكنها لم تسفر عن شيء سوى سفك الدماء . وخابت محاولة قام بها العثمانيون لحرق أبواب بغداد الخشبية(٩١) . وأوشكت آمالهم أن تتبدد عندما أحاطت بهم القوات الفارسية التي وصلت بقيادة الشاه عباس نفسه ، ولكن الصدر الاعظم بقى رابط الجأش قوى العزم(٩٢) ، غير أنه هو ايضا كان مترددا بين الامل في تحقيق الانتصار والقنوط منه .

وفي اواخر مايس ١٦٢٦م (رمضان ١٠٣٦هـ) وقعت حرب ثالثة بين الطرفين ، شن الفرس فيها هجوما واسعا على القوات العثمانية من ثلاث جبهات في وقت واحد ، فدارت معارك عنيفة بينهما كانت مفعمة بدوى المدافع وقرقعة البنادق بذلت فيها مجهودات جريئة من الفريقين .

وقد ذكر كاتب جلبى الذى كان شاهد عيان لها أن العثمانيين رغم تكبدهم الخسائر الكبيرة تمكنوا من انقاذ معسكرهم من السقوط عدة مرات ، وأن قوة فارسية مؤلفة من ألف وخمسمائة مقاتل أبيدت عن آخرها ، وسكنت الاشتباكات بينهما عندما هبت عواصف ترابية كثيفة استحالت معها الرؤية ، ثم ارتد الطرفان تاركين في حومة الوغى جثث القتلى مكدسة بعضها فوق بعض(٩٣) .

واعقبت ذلك سلسلة من المفاوضات بين الجانبين ، وقد ذكر الشاه في كتاب بعثه الى الصدر الاعظم أن بغداد بيدى ، فما الباعث للقتال بين المسلمين

---

(٩١) اونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٨٤ .

(٩٢) كلشن خلفا ، ص ٢٢٤ .
والجدير بالذكر ان مرتضى أفندي مؤلف « كلشن خلفا » يكتب احداث هذه الحرب نقلا عن والده نظمي البغدادي الذي كان شاهدها ، وكان قد هرب اثناء سقوط بغداد في أيدي الفرس سنة ١٦٢٣ م ، وذهب بصفة درويش الى كربلاء والحلة ، وبقى هناك الى ان اتصل بحافظ احمد باشا عند قدومه بغداد .

(٩٣) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ص ٨٣ – ٨٤ .

وقد اهلكت الرعية ؟ ورد عليه الصدر الاعظم قائلا « أنا لم آتكم لاسلم لكم المدينة »[٩٤] . وجدد ممثل الشاه في المفاوضات ادعاءه بأن بغداد فارسية. وأكد تبعيتها للدولة الصفوية . ثم قبل في احدى الجلسات اعادة بغداد للدولة العثمانية ، على أن تعطى مدينة النجف مكانها . فكان جواب الصدر الاعظم « ان كل حجر من النجف يعادل عنده ألف انسان وما بغداد الا حماها »[٩٥] .

وقد أدى اصرار ممثل الشاه على شروط كان من المستحيل على الجانب العثماني أن يقبلها ، الى وصول المفاوضات الى طـريق مسـدود . ورددت الالسن الانكشارية أن الصدر الاعظم قد أطال في المناقشات لانه غير راغب في حرب أخرى ، وأنه خان السلطان ، وقامت ثلة منهم باعتقاله ، غير أن أحد القادة حسم الموقف سريعا لصالح الصدر الاعظم الذى أعيـد الى القيـادة ثانيـة[٩٦] .

وكان لابد من ايجاد حل للوضع المعقد ، فقد أصبح الجيش العثماني في غمرة من اليأس ، بسبب الفشل في تحقيق نصر حاسم على الفرس ، كما أن تفشى المرض بين صفوفه وقلة التجهيزات بعد أن قطع الفرس طريق الميرة عليه كان يهدد وضعه بالانهيار . وقد حاول الصدر الاعظم أن ينفخ روحا جديدة في نفوس جنوده الهلعة ، ولـكن تحمل الجند كـان قـد بلغ منتهـاه[٩٧] . فانسحب الصدر الاعظم بقواته من بغداد بعد تسعة أشهر من الحصار[٩٨] .

---

(٩٤) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص‌ص ٨٥ ــ ٨٦ .
وفي هذه الصفحات تفصيل لما جرى في الاجتماعات التي عقدت بين الجانبين العثماني والفارسي ، من مناقشات عاصفة .

(٩٥) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص‌ص ٨٤ ــ ٨٥ .

(٩٦) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٨٧ .

(٩٧) نفس المصدر ، تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص‌ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٨٥ .

(٩٨) كلشن خلفا ، ص ٢٢٤ ، منجم باشي : صحائف الأخبار جـ٣ ، ص ٢١١ .

على أن هذه لم تكن النهاية ، فان طموح الباب العالى كان ملحا في استعادة بغداد ، غير أن الاضطرابات الداخليــة التي مرت بهـا عاصمة الامبراطورية في تلك الفترة أدت الى تأجيل الحرب لا التخلى عنها ، اذ ازدادت شكيمة الانكشاريين وأصبحت الحكومة العوبة في أيديهم ، يتدخلون في عزل الصدور العظام وتنصيبهم ، ويمنحون المناصب لمن يجزل لهم العطايا[٩٩] ويبدو أن شغب الانكشاريين الى جانب فتنهم ، كان من العوامل الرئيسة في الاخفاق الذى منى به الجيش العثماني في حربه مع الفـرس • اذ في الوقت الذى كانت فيه الامدادات الفارسية تتقاطر على بغـداد ، بقيت احتياجات الجيش العثماني غير ملباة ، فقد تقاعس الباب العالى عن ارسال النجـدات ، على حين أن الشاه عباس قد وصل بنفسه للمشاركة في الحرب •

وقد مرت ثلاث سنوات لم تظهر فيها علامات الاستعداد ثانية للزحف نحو بغداد • وقام العثمانيون بالمحاولة الثانية بعد وفاة الشاه عباس في ربيع سنة ١٦٢٩ م (١٠٣٨ هـ) ، اذ قاد الصدر الاعظم خسرو باشا البشناقـي (البوسنى) ، جيشا عثمانيا في مايس ١٦٢٩ م (شوال ١٠٣٨ هـ) فوصل الى الموصل في أواخر ذلك العام[١٠٠] ، حيث عقد اجتماعا حربيا حضـره جميع القادة العثمانيين وعدد من البيكات الاكراد ، تقرر فيه تأجيل الزحف نحو بغداد والتوجه الى شهرزور ، بعد أن تردد المجتمعون في الثقة بالموسم الذى ستقوم فيه الحملة الى بغداد ، اذ كان الفصل شتاء غير عادى جعلت أمطاره

---

(٩٩) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص‌ص ١٢٥ ــ ١٢٦ •
عند وصول الصدر الاعظم حافظ احمد باشا الى القسطنطينية ، كافأه السلطان بخلعة الشرف جزاء له على اخلاصه في الحملة على بغداد ، غير أن الانكشاريين كادوا له فعزل من منصبه •
انظر : فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٩٤ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص‌ص ٨٥ ــ ٨٦ •

(١٠٠) كلشن خلفا ، ص٢٢٤ •

مرور الجيش صعبا باهظ النفقات[١٠١] . كما أن الحاجة الى ضبط الطرق المؤدية الى الشرق لتأمين سلامة الجيش عند زحفه نحو بغداد ، يتطلب السيطرة على شهرزور[١٠٢] التي كان فيها نفوذ الامراء الاردلانيين مضاعف القوة . وكان الامير الاردلاني خان أحمد خان تابعا مواليا للشاه الذى استخدمه لمضايقة القبائل الكردية الموالية للعثمانيين ، ولذلك كان التصادم معهم والقضاء على نفوذهم أمرا لابد منه[١٠٣] .

وقد استطاع الجيش العثماني فرض سيطرته على شهرزور من دون صعوبة ولا سفك دماء بعد أن أعلن العديد من الامراء الاكراد[١٠٤] ولاءهم للسلطان ، وحضر كثير من الامراء الاردلانيين غير الموالين لاحمد خان حاكم أردلان لتقديم الطاعة[١٠٥] .

وبعد أن جعل الصدر الاعظم شهرزور قاعدته ومركز احتشاد قواته ، أرسل أرتالا من الجيش لمهاجمة أردلان ، فسقط حصن مهربان المنيع في أيديها[١٠٦] . وعندئذ خف مسرعا زينل خان القائد العام للجيش الفارسي وأحمد خان حاكم اردلان لمواجهة الخطر على رأس جيش يقدر بخمسة وأربعين ألف مقاتل . وبالقرب من مهربان ، تصدى الجيش العثماني لهم

---

(١٠١) لونكريك : اربعة قرون ، ص٨٧ .

(١٠٢) فذلكة كاتب جلبى ، ج٢ ، ص١١٨ .

(١٠٣) جاء في تاريخ عالم اراى عباسي لمؤلفه اسكندر تركمان ، تفصيل لما يتعلق بالاردلانيين ونفوذهم .

(١٠٤) وهم حكام هاوار ، كسانه ، شهربازار ، دمورقيو ، جناد ، خوسير ، هزار ميرد ، دلخوران ، مركاره ، حرير دويز ، نيل ، طاوى ، زنجير كرقيو ، منزل عجور ، ايروان ، بلنكان ، باسكى ، دوان ، قزلجة قلعة ، قلعة غازي ، وجنار كدوكى .
انظر : فذالكة كاتب جلبي ، ج٢ ، ص١١٩ .

(١٠٥) فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ، ص١١٩ ، تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص١٩ .

(١٠٦) تاريخ نعيما ، ج٣ ، ص٢٢ ــ ٢٣ ، منجم باشى : صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص ٢١٢ .

ودارت معركة دامية غربت الشمس فيها على الفرس وهم مندحرون متراجعون، وقد بلغت خسائرهم من الرجال عدة آلاف[١٠٧] .

ولم يلبث أن توغل الجيش العثماني في أردلان ، وتقدم الى همدان فدحر الحاميات الفارسية في طريقه . وعندئذ اضطر الشاه صفى[١٠٨] ، وقد بوغت بهذه الصدمة ، الى التخلى عن بلدة همدان والانسحاب الى العاصمة أصفهان[١٠٩] . وقد وجد الصدر الاعظم بعد أن أصلى همدان نارا حامية وأمعن فيها تخريبا ، وبعد أن توغل بعيدا في الاراضى الفارسية حتى اقترب من قزوين[١١٠] ، أن المهمة التي جاء من أجلها قد قضيت وأن بغداد هي الهدف التالى . اذ وردت الاوامر السلطانية اليه بالتوجيه الى بغداد وانقاذها[١١١] . فولى الجيش شطره نحو الغرب .

وبعد زحف طويل ، وصل العثمانيون بغداد في منتصف أيلول ١٦٣٠ م (٢٨ محرم ١٠٤٠ هـ) وخيموا في شمال المدينة بالقرب من الاعظمية[١١٢] . وقد قضيت أولى أسابيع الوصول في تنظيم وضع القوة وتوزيع ذخائر الحصار ، ثم بدأوا يضيقون الخناق عليها وقطعوا جميع المسالك المؤدية اليها .

---

(١٠٧) فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ص ص١١٩ – ١٢٠ ، كلشن خلفا ، ص٢٢٥ ، تاريخ نعيما ، ج٣ ، ص ص٢٤ – ٢٥ ، ياسين العمري : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ، مخطوط ، حوادث سنة ١٠٤٠هـ (١٦٣٠م) .

(١٠٨) تولى العرش الصفوى في اعقاب وفاة الشاه عباس الكبير اوائل سنة ١٦٢٩م (١٠٣٩هـ)

(١٠٩) كاشن خلفا ، ص٢٢٥ .

(١١٠) فذلكه كاتب جلبى ، ج٢ ، ص١٢١ ، تاريخ نعيما ، ج٣ ، ص ٢٧ .

(١١١) كلشن خلفا ، ص ص٢٢٥ – ٢٢٦ .

(١١٢) فذلكه كاتب جلبى ، ج٢ ، ص ١٢٩ ، كلشن خلفا ، ص٢٢٦ .

وفي تشرين الثاني قام الجيش العثماني بهجوم عام، ولم تتأخر المدافع الموزعة بين قواد كل جبهة عن اطلاق النار ، واذ ذاك أربكت المدافعين بنارها[١١٣] . وتمكنت مع الالغام التي انفجرت تحت ابراج السور من احداث ثلم وثقوب خطيرة ، الا أنه لم يكن الدخول من احداها الى المدينة ممكنا لشدة المقاومة الفارسية[١١٤] ، وما أنتصف شهر تشرين الثاني حتى قل العتاد عند العثمانيين[١١٥] .

وفي اليوم الاربعين من بدء الحصار اندحر اندحارا تاما قسم استطلاعي قوي من الجيش كان قد بعث لمعرفة حقيقة العدو ، وكان بينهم أعلى ضباط الجيش رتبة[١١٦] . فأستولى بذلك اليأس على الصدر الاعظم ، لا سيما وأنه لم تصل اليه نجدات ، فعزم على الارتداد . وقد استطاع الجيش العثماني أن يتراجع بحسن تنظيم ومعه أسلحته ومعداته الحربية ، ودون أن يعترض الفرس طريق رجوعهم[١١٧] . وبذلك تكررت واقعة حافظ أحمد باشا الذى قاد حملة الى بغداد سنة ١٦٢٥ م (١٠٣٥ هـ) ورجع فيها خائبا .

ويبدو أن سبب اخفاق الجيش العثماني يعود الى الشهور العديدة التي أضاعها في الجبهة الشرقية[١١٨] ، في الوقت الذى كانت فيه الحامية الفارسية في بغداد قد أتمت استعداداتها انتظارا لزوبعة أخرى كانت تتوقعها مقتضيات الحال .

---

(١١٣) تاريخ نعيما ، ج٣ ، ص٥٣ ، فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ، ص١٣٠ ، خير الله افندي : دولت عليه عثمانية تاريخي ، ج١٧ ، ص ص٤٢ — ٤٣ .

(١١٤) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٨٩ .

(١١٥) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٣٠ .

(١١٦) كلشن خلفا ، ص ٢٢٦ ، اونكريك : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(١١٧) تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٥٤ ، ٥٦ ، كلشن خلفا ، ص ٢٧ ، فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٣٠ .

(١١٨) يذكر المؤرخ نعيما أن الجيش العثماني قد اضاع من وقته ما يقرب من شهرين عندما توقف في « كلعنبر » لتجديد حصنها القديم الواقع على الحدود العراقية الفارسية .

←

ويذكر كاتب جلبي أنه في الوقت الذى خاب فيه الجيش العثماني في محاولته لاحتلال بغداد ، تمكنت قوة فارسية بقيادة توخته خان وأحمد خان الاردلاني من الاستيلاء على ما كانت مستولية عليه في شهرزور ، وهرب خمسة باشوات عثمانيين على عجل الى الموصل وهناك تم تنفيذ حكم الاعدام بهم بناء على أوامر الصدر الاعظم الذى وصل لتوه الى الموصل على رأس جيشه المتراجع من بغداد ، وذلك في أوائل عام ١٦٣١ م (١٠٤١ هـ)[١١٩] .

وقد أحدثت أنباء فشل الجيش العثماني في احتلال بغداد ، هياجا عظيما في القسطنطينية ، وأثارت سخط البلاط العثماني الذى كان شديد الامتعاض من أستمرار بقاء بغداد في أيدى الفرس . وقد صدر الفرمان السلطاني بعزل الصدر الاعظم خسرو باشا قائد الحملة ، فور وصوله العاصمة ، في الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٦٣١ م (٢٩ ربيع الاول ١٠٤١ هـ) ، واعيد تعين حافظ أحمد باشا ثانية للصدارة العظمى[١٢٠] .

غير أن هذا الاجراء ولد الفتنة في الحال ، اذ كان الجو متسمما عند خصومه من الانكشاريين ومفعما بالدسائس والفتن ، فتمرد الجند في السراى نفسه ، وأخذوا يطالبون برأس الصدر الاعظم حافظ احمد[١٢١]

انظر : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ١٨ ، ٥٣ – ٥٤ ويرى لونكريك ان عملية تجديد حصن كلعنبر – الذي كان سليمان القانوني قد بناه فهدمه الشاه عباس من بعده – كانت من دون فائدة وفي غير أوانها ، لأن مثل هذه الحصون الجبلية المنعزلة في هذه البلاد الوعرة لا يمكنها ان تؤمن حدود السلطان .

انظر : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٨٨ .

(١١٩) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٣١ وانظر ايضا : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٥٦ – ٥٧ والجدير بالذكر ان كاتب جلبي كان بصحبة الجيش العثماني .

(١٢٠) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٣٩ ، تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٧٦ ، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية والعثمانية ، ص ١٢٦ .

(١٢١) تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٨٤ ، خيرالله افندي : دولت عليه عثمانيه

الذى سبق لهم أن كادوا له وعزلوه سنة ١٦٢٦ م (١٠٣٦ هـ) ، فلم يجد السلطان مراد الرابع[١٢٢] بدا من تسليمه اليهم والتضحية به ، بعد أن كاد تمردهم أن يطيح به أيضا[١٢٣] ، فقتلوه أشنع قتلة في حضرة السلطان نفسه[١٢٤] (شباط ١٦٣٢ م) .

تاريخي ، ج ١٧ ، ص ٤٤

يذكر كريسي ان التمرد كان من الجسامة بحيث هزّ ارجاء القسطنطينية ، وان الجند كانوا يطالبون برأس كل من الصدر الاعظم حافظ ، والمفتي ، والدفتردار . وكذلك طالبوا بتسليم اناس اخرين من المقربين اليهم وبلغ عدد الذين طالبوا بهم سبعة عشر شخصا . واقفلت العاصمة محلاتها واصبحت المدنية والسرى في حالت رعب .

انظر :

Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, P. 247.

(١٢٢) ولاه الانكشارية السلطنة بعد عزلهم لعمه السلطان مصطفى الأول في سنة ١٦٢٣ م (١٠٣٢ هـ)

انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ .

(١٢٣) Creasy, E.: Op. Cit., PP. 248 - 9.

وفي هذه الصفحات يذكر كريسي تفاصيل المحنة التي واجهت السلطان مراد الرابع والظروف التي حملته على الاستجابة لمطلبهم ، ومما يذكره ان السلطان عندما خاطب المتمردين الذين تجمعوا في الساحة الثانية للسراى والتي كانت تعد بمثابة قاعدة الديوان ، قائلا : « ما الذي ترغبون اليه يا رعاياي ؟ » أجابوه في صوت عال وبوقاحة : « اعطنا السبعة عشرة راسا . . . او يسير الأمر معك الى مالا تحمد عقباه . » كما انهم كانوا يصيحون عاليا مرددين «السبعة عشرة راسا او التنازل عن العرش» . وقد توسل اليهم السلطان الا يدنسوا شرف الخلافة ، ولكنه كان يتشفع عند من لا شفاعه لهم ، فاستسلم لمطلبهم وملؤه الأسف ، وارسل يستدعي حافظا للموت ، وعند مجيئه خاطب مراد الرابع قائلا : « مولاي ، ليهلك الف عبد مثل حافظ في سبيلك ، انني فقط أتضرع اليك الا تقتلني أنت ، بل دعني لهؤلاء الرجال لأموت شهيدا وليجري وزر دمي البرىء على رقابهم ، ولتأمر بدفن جثماني في اسكودار » . ويصور كريسي بعد ذلك تفاصيل المشهد الذي تم فيه قتل حافظ احمد . وعلى مدى شهرين بعد هذا الحادث ، سقط ضحايا جدد امام الفوغاء ، الأمر الذي جلب العار الى اسم القوات العثمانية .

←

وتكشف القصة المستمرة لشغب الانكشاريين ، عن ظروف الضعف المتزايد الذى أصاب الدولة العثمانية من الداخل ، وعن الفوضوية العسكرية التي كانت سببا في نكسة الجيش العثماني مرتين • فعزم السلطان مراد الرابع على تحطيم الوضع الشاذ الذى جعل البلاد مضطربة ، خائرة القوى ، وعاجزة عن المحافظة على مركزها • وقد تم ذلك في ٢٩ من مايس سنة ١٦٣٢ (١٠٤٢هـ)، بعد أن نظمت تدريجيا وبهدوء قوة جسورة يمكن الاعتماد عليها في وقت الحاجة ، كما ان المنازعات داخل القوات المتمردة نفسها ، جعلت هناك ثمة فرصة لكبح جماح الجميع(١٢٥) • فأمر السلطان بقتل كل من ثبت عليه اية مساهمة في حوادث الشغب الاخيرة(١٢٦) ، وقد قتل من بينهم الصدر الاعظم

والجدير بالذكر ان الانكشارية سبق ان اكرهت السلطان سليم الاول ، على أن يقطع ، أثناء الحروب الفارسية راس الصدر الاعظم ، وراس قاضي العسكر ، وراس قائدهم نفسه .
انظر : كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ٣ ، ص ٨٥ .

(١٢٤) عن فتنة الانكشارية راجع : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص‌ص ٨٤ ـ ٩٢
وكان حافظ احمد باشا قد شغل مناصب عديدة في الدولة العثمانية من بينها منصب (قبودان باشا) وحاكما عاما (بكربك) لدمشق ، وواليا على وان وارضروم وبغداد واناضول وديار بكر ، وقد كلف وهو في هذا المنصب بأخماد الفتنة التي اشعلها بكر صوباشي في بغداد . وفي سنة ١٦٢٤م (١٠٣٣هـ) تولى منصب الصدارة العظمى بعد وفاة جركس محمد باشا ، وقد اصبحت له حظوة لدى السلطان مراد الرابع جزاء لاخلاصه في الحروب التي شارك فيها ضد الفرس فكافأه بخلعة الشرف وزوجه سنة ١٦٢٦م (١٠٣٦هـ) من اخته
انظر : فذلكة كاتب جلبى ، جـ٢ ، ص‌ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، محمد ثريا : سجل عثماني ، جـ٢ ، ص ٩٨ ، خيرالله افندي : دولت عليه عثمانية تاريخي ، جـ١٧ ، ص ٨٦ .

(١٢٥) Creasy, E.: Op. Cit., P. 249.

(١٢٦) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٧ .
يذكر كريسي انه « في كل صباح كان البسفور يرمي على الشواطئ بجثث أولئك الذين أعدموا في الليلة السابقة ، وكان الجمهور القلق يتعرف على الانكشاريين والسياهيين الذين كانوا يشاهدونهم في الفترة الاخيرة متجمعين في الشوارع بكل غطرسة الفوضى العسكرية» .
Creasy, E.: Op. Cit., P. 251.

رجب باشا الذي كان يحرض الثائرين سرا[127] ، حيث رأى السلطان أنه لم يعد هناك مفر من مواجهة البديل المخيف « اقتل أو تقتل » ، وذلك بعد أن أخذ الانكشاريون يتناقشون في مسألة عزلــه بشكل علني في ثكناتهم . وفي سبيل كسر شوكتهم ، وزع السلطان أعدادا كبيرة منهم علــى حاميات الحدود . وبذلك حرر السلطان نفسه من تلك الطغمة العسكريــة وأصبح يمتلك زمام الأمور بيده[128] .

وفي الوقت الذى بدأت فيه فترة أنتعاش في جسم الدولة العثمانيـــة ، كانت الدولة الفارسية قد أخذت في التدهور منذ وفاة الشــاه عباس ســنة ١٦٢٩ م (١٠٣٨ هـ) ، اذ لم تكن لحفيده وخليفته الشاه صفى (١٦٢٩ – ١٦٤٢ م) الحنكة السياسية والمقدرة العسكرية اللتان تمكناه من المحافظــة على ما بلغته الدولة الفارسية من ذروة في القوة والمنعة[129] . فبعد أن وضع مقاليد الحكم في يده ، بالغ في سفك الدماء ، وقتــل الغالبية العظمــى من مستشارى جده ، حتى لقد قتل امام قولى خان حاكم شيراز ، المخطط الحقيقي لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز[130] . فكان ذلك مدعاة لخراب بلاده واضعاف شأن أسرته[131] .

وأصبح الوهن الذى أصاب الدولة من الداخل يغرى بها الأعداء من الخارج ، فجدد العثمانيون هجماتهم عليها ، وتمكن السلطان مراد الرابع من

---

(١٢٧) فذلكة كاتب جلبي ، ج٢ ، ص ١٤٢ ، تاريخ نعيما ، ج٣ ، ص ١١٠ .

(١٢٨) Creasy, E.: Op. Cit., P. 249. وللتفاصيل عن الاجراءات التي اتخذها السلطان مراد الرابع لكسر شوكة الانكشارية ، والفرق الجديدة التي كونها ، راجع : تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص١١٠ – ص١١٢ ، جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ١ ، ص٢٥٣ – ص٢٥٤ .

(١٢٩) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص ٢١٤ ، Lockhart, L. : The Fall of the Safavi Dynasty, P. 27.

(١٣٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Historical, Part. 1A, P. 34; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 209.

(١٣١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٨٦ .

الاستيلاء على مدينة روان[١٣٢] التي استسلمت بعد حصار دام ثمانية ايام ، وذلك في ٧ آب ١٦٣٥ م (٢٢ صفر ١٠٤٥ هـ)[١٣٣] ، وأنزل الهزيمة بالقوات الفارسية التي جاءت لنجدتها[١٣٤] . وبعد ذلك قصد السلطان مدينة تبريز ففتحها عنوة في ١٠ أيلول (٢٨ ربيع الاول)[١٣٥] . كما أضاع الشاه صفي ، قندهار[١٣٦] ـ التي فتحت في عهد طهماسب واستردت في عهد عباس ـ ليستولى عليها شاه جهان[١٣٧] أمبراطور دولة الهند المغولية[١٣٨] ، وأخيرا أضاع بغداد ليستولى عليها العثمانيون .

---

(١٣٢) مدينة في بلاد ارمينية ، وهي مشهورة بتحصناتها القوية ، وقد ظلت امدا طويلا يتنازعها العثمانيون والفرس . ومنذ شباط عام ١٨٢٨ اصبحت روان تابعة لروسيا بموجب معاهدة تركمان جاي التي عقدت بينهما وبين بلاد الفرس .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، جـ٣ ، مادة ارمينية.

(١٣٣) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص١٧٤ ، كلشن خلفا ، ص ص٢٢٩ـ٢٣٠ تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ .

ويخطىء المؤرخ ياسين العمري في تحديد سنة استيلاء السلطان مراد الرابع على روان اذ يحددها بسنة ١٦٣٨ م (١٠٤٨ هـ) . زبدة الآثار الجلية ، ص ٦٧ .

(١٣٤) كلشن خلفا ، ص ٢٣٠ .

(١٣٥) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٧٥ ، تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٢٦٥ ، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٧ .

(١٣٦) مدينة في افغانستان قائمة على نهر ارغنداب .

(١٣٧) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ .

(١٣٨) تأسست امبراطورية المغول في الهند سنة ١٥٢٦م (٩٣٢هـ) وذلك على يد بابر شاه ثم اخذت بالضعف منذ سنة ١٧٠٧م (١١١٨هـ) بعد وفاة « أورنك زيب » من مشاهير هذه الدولة حتى انقرضت سنة ١٨٥٧م (١٢٧٣ هـ) .

انظر عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ ٥ ، ص ص ٦١ ـ ٦٢ .

السلطان مراد الرابع يستعيد بغداد عام ١٦٣٨م (١٠٤٨ هـ) :

كان هم السلطان مراد الرابع الوحيد ، بعد أن قضى على الاضطرابات الداخلية ، أن يسترجع بغداد من أيدي الصفويين ، اذ لم يعد بوسع الدولة العثمانية أن تحتمل بقاءها خارجة عن حكمها . وقد اقتربت النهاية بعد سبع سنوات مرت على فشل الصدر الاعظم خسرو باشا في حملته عليها سنة ١٦٣١م (١٠٤١ هـ) . اذ قاد السلطان مراد الرابع الحملة الثالثة بنفسه على غرار ما كان يفعله أسلافه العظام كسليم الاول أو ياوز[١٣٩] وسليمان القانوني بعد أن أخذ السلاطين من بعدهم يحجمون شيئا فشيئا عن الاشتراك الفعلي شخصيا في الحملات العسكرية .

وقد أثارت الاستعدادات الحربية التي كانت تجري في القسطنطينية ذعر البلاط الفارسي الذي كان يواجه خطرا آخر آتيا من جهة دولة الهند المغولية التي بعثت بجيشها لمهاجمة قندهار والاستيلاء عليها[١٤٠] . وعندما بدأ السلطان زحفه من أسكودار[١٤١] في الثامن من مايس ١٦٣٨ م (٢٣ ذي الحجة

---

(١٣٩) اشتهر السلطان سليم الآول بلقب « ياوز » ومعناه الصارم الذي لا يعرف اللين .

(١٤٠) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ١٩٨ ، صحائف الاخبار ، جـ٣ ، ص ٢١٣ .

ارسل (شاه جهان خرم شاه) أمبراطور المغول في الهند كتابا الى السلطان مراد الرابع مع هدية بيد سفيره (ميرطريف) ، وقد جاء في كتابه « لقد سمعنا بتوجهكم الى بغداد ، وها نحن ايضا جهزنا جيوشنا لمهاجمة قندهار واستعادتها من ايدي الفرس ، وآمل أن يسهل الباري علينا تسخير المملكتين » . العزاوي ، العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ص ٢١١ — ٢١٢ .

ويذكر لوريمر ان ادعاء امبراطور المغول ملكية قندهار ، أدى الى توتر العلاقات مع الدولة الفارسية التي أصدرت امرا بمنع رعايا الامبراطور المغولي من التجارة في بندر عباس .

انظر : Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Historical, Part 1A, P. 34.

(١٤١) اقدم واكبر حي بالعاصمة العثمانية القسطنطينية ، في جزئها الواقع ←

١٠٤٧ هـ) ، بدأ الفرس اعداد بغداد للدفاع[١٤٢] ، الا أن بغداد كانت قد أضاعت حاكمها المحارب صفى قلى خان ، اذ توفى سنة ١٦٣١ م (١٠٤١ هـ) بعد ان حكم ما يقارب ثمانى سنوات ، وخلفه بكتاش خان الذى لم يكن جديرا بتحمل المسؤولية بالاضافة الى انغماسه في الملذات[١٤٣] .

وبعد أن قطع السلطان في زحفه عدة مراحل ، وصل الى حلب ، فمكث فيها ستة عشر يوما ليريح قواته ، وبعدئذ عبر الفرات في بيره جك[١٤٤] وامر بنقل الاحمال الثقيلة من الذخيرة عن طريق الماء . ثم تحرك الى ديار بكر ، ومن هناك بعث الى بغداد قوة استطلاعية بقيادة والى ديار بكر درويش محمد باشا ، تألفت من قوات حلب وطرابلس ومقاتلة البادية التابعين لمطلق أبو

على الجانب الأسيوي من البسفور . وقد اصبحت اسكودار بحكم موقعها الجغرافي القاعدة الهامة لجميع الحملات الكبيرة والصغيرة التي تسير من العاصمة الى اطراف الامبراطورية في آسيا .

دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٣ ، مادة اسكودار .

(١٤٢) يذكر كريسي ان تحصينات بغداد كانت قوية وان مجموع رجال الحامية الفارسية فيها هو ثلاثون الف منهم اثنا عشر الف من الفرسان المدربين تدريبا نظاميا .

انظر : Creasy, E.: Op. Cit., P. 255.

(١٤٣) كلشن خلفا ، ص‌ص ٢٢٨ — ٢٣٠ ، احمد راسم : رسملي وخريطة لي عثماني تاريخي ، جـ٢ ، طـ٢ ، ص ٨٩ .

(١٤٤) مدينة بأرض الجزيرة على الضفة اليسرى لنهر الفرات . ومعنى بيره جك ، القلعة الصغيرة، وقد اشتهرت بيره جك في تاريخ الحروب الحديثة بتلك الواقعة الفاصلة التي حدثت بالقرب منها عند نزيب على مسيرة عشرة اميال غربي الفرات ، بين الجيش المصري الذي كان بقيادة ابراهيم باشا والجيش العثماني بقيادة سر عسكر حافظ باشا سنة ١٨٣٩ م ، والتي انتهت بانتصار الجنود المصريين .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، (الترجمة العربية) ، مجلد ٨ ، مادة بيره جك .

ريشة[١٤٥] . وعند وصول السلطان الى الموصل ، أعدت الاكلاك[١٤٦] لنقل معظم مدفعية الجيش الى بغداد عن طريق النهر ، بعد أن هلكت أكثر الدواب التي كانت تسحبها[١٤٧] . وما أنتصف شهر تشرين الثاني ١٦٣٨م (الثامن من رجب ١٠٤٨ هـ) حتى وصل السلطان مراد الرابع بجيوشه الى بغداد[١٤٨] وعسكر خارج أسوارها بالقرب من مرقد الامام الاعظم أبي حنيفة الذي أقسم السلطان أن لا يزوره حتى يجعل الظفر منه رجلا يليق بالتبرك بضريحه[١٤٩] .

وتلا ذلك تطويق بغداد التام ، اذ أحاطت بها القوات العثمانية من جميع الجهات ، وعينت القيادات ومواضع الهجوم ، فكان المعسكر وقوات السلطان الخاصة به في موضع يقابل القلعة والجهة الشمالية الغربية من السور . ورابط أمام الباب الابيض (آق قبو) أي في الجهة الشمالية الشرقية

(١٤٥) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ٢١٠ . لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٣ .

(١٤٦) يصف الرحالة بورتر الذي زار بغداد سنة ١٨١٨ م « الكلك » بقوله : « انه ذو قاعدة من جذعي شجرتين كبيرتين متقاطعتين ، توضع عليهما حزم من أغصان الصفصاف ، وتربط بقوة الى ساق في الاسفل . وتربط تحته جلود خراف منفوخة بالهواء وترتب بحيث يمكن تجديد نفخها على وفق الحاجة ، وتستند اليها قاعدة الكلك . والكلك يدفع بمجدافين كبيرين ، كائنين على كل من جانبيه ، وهناك مجداف آخر يقوم بواجب الدفة . وعندما تصل الاكلاك غايتها وتفرغ حمولتها تباع جميع موادها ، فيما خلا الجلود ، اذ تفرغ هذه من الهواء وتحمل على ظهور الابل ، وتعاد مع اصحابها برا الى الميناء النهري الذي انحدرت منه أصلا » .
انظر سرواليس بج : رحلات الى العراق ، جـ١ ، هامش ص ٥٨ .

(١٤٧) العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ٢١٣ .

(١٤٨) Creasy, E.: Op. Cit., P. 255.
ويذكر كريسي أن زحف السلطان من القسطنطينية الى بغداد استغرق مئة وعشرة يوما من السير ، وستة وثمانين يوما من التوقف للراحة .

(١٤٩) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٤ ، ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، جـ٢ ، ص ٣٩ .

من بغداد ، الصدر الأعظم محمد باشا الطيار[150] وأغا الانكشارية وأمير أمراء الروم ايلي ، واتخذ القبودان باشا[151] ووالي سيواس وامراء كستنديل وأولونيه[152] ورئيسا (الصامسونجية والزغرجية)[153] موضعا يقابل باب الظلمات (قرانلق قبو)[154] في الطرف

---

(١٥٠) قبل توليه منصب الصدارة كان واليا على الموصل ، كما سبق له ان شغل منصب والي سيواس . وقد تولى الصدارة بعد موت بيرام محمد باشا في ١٧ اب سنة ١٦٣٨ (٦ ربيع الاخر سنة ١٠٤٨ هـ) . محمد ثريا : سجل عثماني ، جـ٣ص٢٥٩ ،محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٢٧ .

(١٥١) القبودان باشا : أمير البحر الأعلى ، ولفظة قبودان مأخوذة من الايطالية ومعناها في الأصل (باشبوغ) أي الرئيس وقد انتقلت هذه اللفظة الى الدولة العثمانية عندما اهتمت الدولة بتكثير الاساطيل واكمال الفنون البحرية ، فقامت بأستجلاب اساتذة السفن ومعلمي البحرية من البنادقة لمهارتهم في فن صناعة السفن واستخدمتهم في البحرية ، فانتقلت معهم الالفاظ والاصطلاحات المتعلقة بذلك الفن ، وبهذه الصورة اخذت لفظة (قبودان) واستعملت . فكان يقال في الدولة العثمانية لاكبر الاميرالية أولا (دريابكي) أي أمير البحر وبعده (قبودان دريا) أي رئيس البحر ثم أضيف الى القبودانية لفظة « باشا » فصار يسمى « قبودان باشا » .
انظر : تاريخ جودت ، جـ١ ، ص‌ص ١٧٩ — ١٨٠

(١٥٢) بلدة في جنوبي البانيا احتلتها الدولة العثمانية سنة ١٤١٧ م .

(١٥٣) الصامسونجية والزغرجية والطورنةجيه ، هم اورط الصيد في الجيش الانكشاري . وقد انشأها السلطان بايزيد الاول (١٣٨٩ — ١٤٠٢ م) . وكانوا يرافقون السلطان في حملاته العسكرية ، وقوادهم يسمون الصامسونجي باشي والزغارجي باشي والطورنةجي باشي .
انظر : هاملتون جب وهارولد بوون : المجتمع الاسلامي والغرب ، جـ٢ ، ص‌ص ١٦٩ — ١٧٢ . وللمزيد من التفاصيل راجع : محمود شوكت : عثمانلي تشكيلات وقيافت مسكيه‌سى ، استانبول ١٣٢٥هـ .

(١٥٤) ويسمى كذلك بباب كلواذي وأطلق عليه مؤخرا « الباب الشرقي » . وعند احتلال الانجليز بغداد حولت هذه الباب الى كنيسة خاصة بالحامية البريطانية سميت بكنيسة القديس جورج ، وفي سنة ١٩٣٧ هدمتها امانة العاصمة لغرض توسيع الشارع .
انظر : رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، حاشية للاستاذ سالم الآلوسي ص ٣١ .

الجنوبي الغربي من بغداد(١٥٥) . وقد أحكم الفرس هذا الباب وحشدوا فيه قواتهم كما قاموا بتحصين باب المعظم(١٥٦) والذى يقع في الجهة الشمالية ، وتركوا الباب الابيض (آق قبـو) دون تحصين ظنا منهم أن العثمانيين سوف يركزون هجماتهم كما حدث في الحملات السابقة ، على باب الظلمات وباب المعظم ، في حين أمر السلطان بحشد قوة كبيرة أمام الباب الابيض ، وتشديد محاصرته(١٥٧) .

---

(١٥٥) تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٣٦٣ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ ، لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٤ .

(١٥٦) سمي بهذه التسمية نسبة الى الامام الاعظم ابي حنيفة . كذلك يسمى باب (سوق السلطان) ، وقد هدم ما تبقى منه سنة ١٩٢٥ م من قبل دائرة البلدية لغرض توسيع شارع الرشيد . ولا زالت المنطقة تحمل اسم (باب المعظم) الى يومنا هذا .

انظر : رحلة نيبور الى العراق ، حاشية ص ٣٠ .

(١٥٧) كلشن خلفا ، ص ٢٣١ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ص ٢١٥ – ٢١٦ .

والجدير بالذكر أن بغداد تقع على كلتا ضفتي نهر دجلة اليمنى واليسرى ، وان شطرها الاكبر على ضفة النهر اليسرى اي الجانب الشرقي والذي يعرف ب (الرصافة) وهو مسور تتحكم في مداخله خمسة ابواب ، اربعة منها في جهة البر ، وهي باب المعظم وباب الظلمات والباب الابيض وباب الطلسم أو باب الحلبة ، وهو الباب الذي كان من جملة الموانع التي وقفت في طريق استيلاء قوات السلطان مراد الرابع على بغداد ، ولذلك أمر بسده بعد انسحابه من بغداد ، ولم يفتح منذ ذلك الحين . وفي الحادي عشر من آذار ١٩١٧ نسفها العثمانيون بالبارود ليلة انسحابهم من بغداد على أثر دخول القوات الانكليزية ، وكان العثمانيون قد أتخذوا منها مخزنا للعتاد الحربي فقاموا بنسفها خشية استيلاء القوات المحتلة عليها . اما الباب الخامس فانه مطل على النهر ، ويعرف بباب الجسر . ويذكر الرحالة تافرنيية "Tavernier" الذي زار بغداد في سنة ١٦٣٢م ثم زارها ثانية ، بعد عشرين سنة ، (١٦٥٢م) ، ان سور بغداد مبنى بالاجر وتعلوه بروج كثيرة ويكتنفه خندق عريض عمقه خمس اوست قامات . وان مساحة المدينة (١٥٠٠) خطوة طولا و (٨٠٠) خطوة عرضا ، ومحيطها ثلاثة اميال .

انظر : العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة تافرنييه ، ص ص ٧٧ – ٧٩ ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، حاشية ص ٣٠ .

وفي غضون عدة أيام كانت الخنادق والطوابى والمتاريس قد تم اعدادها، وحشدت بالقوات العثمانية • وجرت مناوشات بين الطرفين وغارات مفاجئة كانت تشنها الحامية الفارسية ، ولكنها لم تسفر عن شيء سوى تكبدهما خسائر قليلة وأخذ بعض الاسرى منها(١٥٨) • والواقع ان الحالة كانت مضطربة في داخل المدينة ، فقد أخذ العثمانيون يضيقون الخناق عليها ، فحيل دون وصول قوافل المؤن اليها(١٥٩) •

وفي ٢٢ من كانون الاول صدرت الاوامر بضرب جميع الابراج التي في سور المدينة في وقت واحد ، فبدأ قصف مدفعي شديد ، مكن الجنود العثمانيين من الاقتراب من الخندق المحيط بالسور ، وأدى الى تدمير برج الباب الابيض ، فكان أول برج خضع لمدفعية الصدر الاعظم(١٦٠) • ويذكر كريسي Creasy أن المدفعية العثمانية تمكنت من عمل ثغرة في وسط الجهة الشرقية من السور أمتدت مسافة ثمانين ياردة بعد ان دكت تماما التحصينات الموجودة على طولها • وقد ملأ العثمانيون هذه الثغرة بالكمائن واندفعوا الى الامام في هجوم عنيف أستمر يومين متتاليين لم يسفر عن شيء بسبب عدد المدافعين وبسالتهم(١٦١) •

وفي مساء اليوم التالى ، لام السلطان صدره الاعظم طيار محمد باشا لفرار القوات ، واتهمه بأن الشجاعة تنقصه ، فالخندق قد امتلأ من أنقاض الابراج المتهدمة وبأكياس الرمل التي كان يلقيها جنود مقدمة المهاجمين ولم

---

(١٥٨) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، خيرالله افندي : دولت عليه عثمانية تاريخي ، جـ١٧ ، ص ٧٧ .

(١٥٩) عن اوضاع الفرس في بغداد أثناء الحصار راجع : تاريخ نعيما ، جـ٢ ، ص‌ص ٣٦٤ — ٣٧٠ .

(١٦٠) كلشن خلفا ، ص‌ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٥ .

(١٦١) Creasy, E.: Op. Cit., P. 255.

ومن الجدير بالذكر ان لوريمر وهو ينقل من كريسي تفاصيل الحصار العثماني لبغداد ينسب اليه خطأ من ان الثغرة كانت بطول ثمانمائة ياردة .

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol, 1, Part. 1, P. 1185.

يبق ما يحول دون الهجوم العام[٦١٢] ، وقد أجاب طيار : « ان شاء الله يا مولاى سوف نأخذ بغداد غدا ، وهذا أمر أؤكده لكم ويستوى تماما مع حياتي التي سأضعها في خدمتكم في الثغرة صباحا »[١٦٣] .

وفي اليوم التالي لذلك (٢٤ كانون الاول) قاد الصدر الاعظم بنفسه آخر أمل لـه وقد أردى قتيلا على اثر اطلاق الفرسان الفرس وابلا من الطلقات عليه ، الا ان العثمانيين وقد استوحوا الثبات من وجود السلطان بين ظهرانيهم ، أخمدوا حماس الفرس بالهجمات المتوالية[١٦٤] ، واستولوا أخيرا على المدينة في ٢٥ كانون الاول ١٦٣٨م (١٨ شعبان ١٠٤٨هـ) بعد حصار دام أربعين يوما[١٦٥] .

ويذكر مرتضى نظمي زاده ان بغداد سقطت بعد أن نفدت الحيوية في داخلها وأصبحت المقاومة من غير جدوى ، فعقد حاكمها بكتاش خان مجلسا حربيا حضره قواد الحامية الفارسية ، قرروا فيه بالاجماع الاستسلام لقوات السلطان وطلب الامان ، وتوجه بكتاش بنفسه بعد الاجتماع ، الى معسكر السلطان يطلب العفو عن مقاومته الطويلة[١٦٦] . وقد أعطاه السلطان الامان على أن تخلى الحامية الفارسية المدينة في الحال ، ومن شاء منهم أن يكون تابعا لنا فليبق . فكتب بكتاش الى ضباطه أن السلطان انعم بالامان ، وأن عليهم ترك مواقع الدفاع على الفور ، كما أنه حذر الصدر الاعظم من وجود بعض الالغام التي لم تزل مدفونة خشية انفجارها[١٦٧] .

---

(١٦٢) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص‌ص ٩٥ ـ ٩٦ ،
Creasy, E.: Op. Cit., P. 255.

(١٦٣) Ibid.

(١٦٤) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٣٧٠ ، Creasy, E.: Op. Cit., P. 255. ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(١٦٥) كلشن خلفا ، ص ٣٢ ، منجم باشي : صحائف الاخبار ، جـ٣ ، ص ٢١٣ .

(١٦٦) مرتضى نظمي زادة : كلشن خلفا ، ص‌ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(١٦٧) تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص‌ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص‌ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٦ .

ولكن عندما دخل الجنود العثمانيون المدينة ، استؤنف القتال في الشوارع بين بعض الفرس واحدى الفرق العثمانية[168] ، وجرت مذبحة عند باب الظلمات التي لجأ اليهـا آلاف من الفرس وتحصنوا ببعض الطوابق والاماكن خوفا على أرواحهم[169] ، وقد تعزى هذه المذبحة للكراهية بين الطرفين ، غير أن المؤرخين العثمانيين يعزونها الى استمرار قسم من الحامية الفارسية في المقاومة ورفض الاستسلام ، فشرع الجنود العثمانيون حينئذ في قتلهم[170] . هذا بينما يتهم الفرس ، العثمانيين ، بأن روح الانتقام قد سيطرت عليهم عند دخولهم بغداد ، وانهم لم يحترموا تعهدهم[171] . ويلقي لونكريك تبعة الحادث على الجانبين اذ يقول : « وكان غير قليل من الجند العثمانيين يلتهبون بالانتقام ، هذا لاخ وذاك لابن مفقود ، ورفض القائـد الفارسى مير فتاح والضباط الذين كانوا معه الجلاء والاذعان »[172] .

---

(١٦٨) Creasy, E.: Op. Cit., P. 255.

(١٦٩) عن هذه المذبحة انظر : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ص ٣٧٤ – ٣٧٨ .

(١٧٠) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٢٠٥ ، تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ص ٣٧٥ – ٣٧٦ ، أوليا جلبي سياحتنامه سي ، جـ٤ ، ص ٤٠٦ كلشن خلفا ، ٢٢٣ يذكر كريسي نقلا عن المؤرخين العثمانيين انه « بعد يوم كامل من الفتك والذبح لم يتبق على قيد الحياة الا حوالي ثلاثمائة من رجال الحامية الفارسية التي كانت اساسا مكونة من ثلاثين الف رجل » ويبدو انه رقم مبالغ فيه .

انظـر : Creasy, E.: Op. Cit., P. 255-6.

(١٧١) محمد يوسف : ذيل تاريخ عالم آراى عباس ، ص ٢١٨ .

(١٧٢) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٩٧ .

يذكر المؤرخ عباس العزاوي ان احد عساكر روم ايلي جاء الى السلطان وقال : انت بذلت الامان للفرس ولكن نحن لا نوافق على ذلك . وحينئذ استغرب السلطان من جراته هذه فقال ما هذا الكلام الغريب فأجابه بجراة ايضا : ايها الملك نحن من سنين نقوم بالحملات على بغداد ولم نكتف بصرف المبالغ الطائلة بل بذلنا النفوس الكثيرة حتى انه لم يبق لي اب ولا عم ولا اخوة فالكل هلكوا في هذا السـبيل . والآن سنحت الفرصة فلماذا لا نثار منهم ، وكيف نبذل لهؤلاء (الآمان) ، الحق ان لا نفعل ذلـك .

انظر : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

ومهما كان المبرر لهذه المجزرة البشرية ، فان بغداد شهدت مذبحة أخرى كانت أكثر بشاعة ، عندما انفجر بعد عدة أيام مخزن للبارود ، ربما كان حادثا عرضيا ، وربما كان متعمدا • وكانت نتيجة هذا الانفجار أن قتل وجرح ثمانمائة من الانكشارية[١٧٣] • فأنتقم السلطان من الفرس حتى قيل أنه لم يترك أحدا منهم حيا في المدينة[١٧٤] •

غير أن المؤرخ كريسي يذكر ان مراد الرابع وقد كان ساخطا لانفجار مخزن البارود أمر « بعمل مذبحة لسكان المدينة » ولم تقتصر على الفرس فقط• ويبدو أن كريسي استند في قوله هذا الى ما ذكره المؤرخون العثمانيون، اذ نقل عنهم أن عدد الذين هلكوا فيها يقدر بثلاثين ألف نسمة[١٧٥] ، وهو عدد كبير جدا • وقد هدأت المدينة أخيرا وهي مضرجة بالدماء ، وبقيت آثار المجزرة الرهيبة قائمة في النفوس لفترة طويلة •

وفي شباط ١٦٣٩ م (رمضان ١٠٤٨ هـ) ترك السلطان بغداد بعد أن أعاد ترميم أسوارها ، وترك قسما من قواته[١٧٦] فيها ، وعين حسن باشا الصغير أحد الاغوات الانكشاريين واليا عليها[١٧٧] • وبذلك أعاد السلطان

---

(١٧٣) Creasy, E.: Op. Cit., P. 256; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Historical, Part. I, P. 1184.

(١٧٤) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٩٨ •

(١٧٥) Creasy, E.: Op. Cit., P. 256.

(١٧٦) يقدر كريسي عدد هذه القوات بـ (١٢٠٠٠) جندي
Creasy, E.: Op. Cit., P. 256.
اما لونكريك والعزاوي فيذكر ان عدد افرادها ثمانية الاف جندي لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٩٧ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص ٢٣٢ •
ويكتفي مؤلف (كلشن خلفا) بالقول • بأن السلطان ابقى في بغداد قوة كافية من الجنود السياهيين والانكشاريين ، دون ان يشير الى عددهم • (مرتضى افندي : كلشن خلفا ، ص ٢٣٤) •

(١٧٧) كلشن خلفا ، ص ٢٣٤ ، لونكريك : المصدر السابق ص٩٧ ، العزاوي : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٣٢ •

مراد الرابع بغداد ثانية الى حظيرة الدولة العثمانية بآخر وأعظم حملة له على الفرس ، بعد أن ظلت تحت سيطرتهم طوال خمسة عشر عاماً (١٦٢٣-١٦٣٨) كانت الجيوش العثمانية خلالها تحاصرهم على الدوام وبلا جدوى . ولو كان الشاه عباس الكبير الذي توفى في اوائل سنة ١٦٢٩ م (١٠٣٩ هـ) . قد حكم مدة عشر سنين أخرى ، لما كانت قضية بغداد لتحل الا بنضال عنيف بين عملاقين كبيرين . وبذا تخلص التاريخ من مشهد الصدام المروع الذي كان لابد أن يقع بين أعظم شاهات الفرس ومراد الرابع آخر السلاطين العثمانيين الفاتحين .

غير أن حفيد عباس وخليفته الشاه صفي لم يكن جديرا بتحمل المسؤولية فسارت الدولة في عهده نحو الانحدار[١٧٨] ، وقد شاع في منتصف أيام الحصار خبر قدومه الى بغداد مع قوة قوامها (١٢٠٠٠ مقاتل) ، وانه ارتد عنها عند تحرك فرقة من الجنود العثمانيين بقيادة كل من باشا حلب وباشا طرابلس للقائـه[١٧٩] .

وقد وصل السلطان الى القسطنطينية في العاشر من حزيران سنة ١٦٣٩ م (الثامن من صفر ١٠٤٩ هـ) ، فدخل عاصمته في موكب نصر كبير[١٨٠] ، ولم تكن فخامة الموكب وأهميته ترجع لما حققته الحملة من نصر فحسب ، بل

---

(١٧٨) صحائف الاخبار ، جـ٣ ، ص ٢١٤ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص‌ص ٨٦ — ٨٧ .
Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 27.

(١٧٩) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٩٥ ، ريجاردكوك : بغداد مدينة السلام ، جـ٢ ، ص ٤٠ .

(١٨٠) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٩٩ ،
Creasy, E.: Op. Cit., P. 256.
يذكر المؤرخ العثماني « نعيما افندي » تفاصيل الاستقبال الذي جرى للسلطان مراد الرابع ، ومما يذكره ان السلطان توجه الى قصره بفخامة وعظمة ، وقد احتشد الناس في الشرفات وعلى أسطح المنازل ، وكانوا يهتفون وقد اخذهم الحماس كل مأخذ : « ليباركك الله ايها الفاتح ،

لان القسطنطينية يومها – كانت تشاهد لآخر مرة – المنظر الذى كانت قد ألفته لعودة مليكها منتصرا من أحدى الحملات التي تولى قيادتها بنفسه[١٨١].

معاهدة زهاب[*] عام ١٦٣٩م (١٠٤٩ هـ) :

بعد سقوط بغداد بيد العثمانيين ، بدا أن السلام بين الدولتين العثمانية والفارسية ، هو النتيجة السريعة لانتصارات السلطان مراد . فقد أضطر الشاه صفى الى مفاتحة العثمانيين في عقد الصلح ، اذ بعث بأكثر من سفارة الى الصدر الاعظم مصطفى باشا الذى ظل في بغداد لينظم شؤونها ، طالبا الدخول في مفاوضات للوصول الى ابرام معاهدة صلح بين الدولتين[١٨٢] . ولكن هذه السفارات لم تؤد في بادىء الامر الى أية نتيجة ، حيث اشترط

مرحبا يامراد ، ولتكن انتصارتك قدوم السعد » ، وكان هناك مع الركب الامبراطوري (٢٢) من الخانات الفرس مقودين اسرى . ولمدة سبعة أيام وليال امتدت الاحتفالات بلا انقطاع .

تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص‌ص ٤١٨ – ٤٢٠

وانظر : Creasy, E.: Op. Cit., P. 256.

(١٨١) Ibid.

* زهاب ويقال (زهاو) موضع ذات موقع استراتيجي هام على الحدود العراقية الفارسية عند مشارف جبل زاغروس . كان تابعا لباشوية بغداد ويقوم بأدارته امراء بلقب باشا . ومن توابع زهاب ، درتنك ودرنه وقصر شيرين . وقد أصبحت منطقة زهاب مجالا للصراع العثماني الفارسي عليها خلال القرن التاسع عشر .

انظر : رحلة المنشيء البغدادي ، ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ٤٣ ؛

Hurewitz, J.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1, PP. 90 - 92.

(١٨٢) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص ٢١٦ ، كلشن خلفا ، ص ٢٣٥ ، تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٣٩٤ ، صحائف الأخبار ، جـ٣ ، ص ٢١٣ ، احمد راسم : عثمانلي تاريخي : جـ٢ ، ص ٩٧ ، خيرالله افندي : دولت عليه عثمانية تاريخي ، جـ١٧ ، ص‌ص ٨٣ – ٨٤ .

(١٨٣) تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٣٩٥ .

العثمانيون لعقد معاهدة الصلح : انسحاب القوات الفارسية من (درتنك) والاعتراف بتبعية قارص للدولة العثمانية ، واضطر الشاه أخيرا أن يقبل شروطهم[183] ، فدارت في زهاب مفاوضات بين الجانب العثماني الذى مثله الصدر الاعظم (مصطفى باشا) ، والجانب الفارسى الذى مثله المبعوث (صاروخان) • وقد أدت هذه المفاوضات الى عقد معاهدة صلح وتحديد للحدود بين الدولتين في ١٧ مايس سنة ١٦٣٩ (١٤ محرم ١٠٤٩ هـ)[184] ، على أمل أن تكون هذه المعاهدة والتي عرفت بـ « معاهدة زهاب » ، حجر أساس تقوم عليها العلاقات بينهما •

وقد نصت هذه المعاهدة على أن تكون للدولة العثمانية كل من جسان وبدرة ومندلجين (مندلى) ودرنة ودرتنك وسرمنيل والقرى الواقعة غربي قلعة زنجير حتى قلعة ظالم في ضواحي شهرزور وجميع الجبال المحيطة بهذه القلعة حتى الممر المؤدى الى شهرزور والذى يكون نقطة الحدود بين الدولتين بالاضافة الى قلعة قزلجة وتوابعها • ولا يجوز للدولة الفارسية أن تقوم بأي تعرض لها ، كما تمتنع عن التدخل والتعرض لجميع القلاع والجبال والاراضي والنواحي الواقعة ضمن حدود « أخسخة ، قارص ، وان ، شهرزور ، والبصرة والحصون الاخرى التى تحمى حدود الامبراطورية العثمانية » • ونصت المعاهدة على ان تبقى قبيلتا (ضياءالدين وهاروني) من عشائر الجاف[185] الكردية خاضعة للدولة العثمانية •

---

(١٨٤) فذلكة كاتب جلبي ، جـ٢ ، ص‌ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ، كلشن خلفا ، ص ٢٣٥ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٤ ، ص‌ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ • ويعتبر تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص‌ص ٤٢٨ ــ ٤٢٩ خير مرجع عن المفاوضات التي دارت بين الجانبين العثماني والفارسي •

(١٨٥) عشائر الجاف من العشائر الكردية المتنقلة ، تقضي فصل الشتاء في منطقة السليمانية وحواليها على الحدود بين بلاد فارس والعراق ، وتقضي فصل الصيف في بلدة (سنة) في بلاد فارس • وقد دعت الاوضاع السياسية ان تعتبر هذه العشائر مجموعتين
١ ــ جاف العراق ، ويقال لهم (جاف مرادي) •

أما فيما يخص الدولة الفارسية فقد جاء في المعاهدة : أن القلاع الواقعة في الجهة الثانية بين « مندلجين » و « درتنك » والمواقع « بيره » و « يكه » و « زمردهاوا » والقرى والقلاع والغابات الواقعة في شرقى قلعة زنجير ومهربان وتوابعها تكون تابعة للدولة الفارسية ولا تتدخل السلطنة العثمانية في أمرها . وتبقى قبيلتا « بيره وزردوبى » من عشائر الجاف في تبعية الدولة الفارسية .

ونصت المعاهدة كذلك على هدم قلعة زنجير وقلعتى قوتور وماكور الواقعتين في أعالي « وان » وقلعة مغازبرد الواقعة في قارص . كما نصت على أن « تمتنع الحكومة الفارسية عن استعمال الكلمات غير اللائقة بحق الصحابة والخلفاء الراشدين » وأن « لا تتدخل الدولة العثمانية في شؤون الدولة الفارسية الداخلية » ، واكدت على « وجوب مراعاة العلاقات بين الدولتين »[186] .

---

٢ ـ جاف بلاد فارس ، ويدعون (جاف جوانرودي).

وبالنظر لسكنى عشائر الجاف في منطقة الحدود ولكثرة ترددها بين بلاد فارس والعراق فانها كانت سببا في اضطراب العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية .

وللاطلاع على ما جاء عن هذه العشائر من تدوينات راجع :

تقرير درويش باشا الذي عين لتحديد الحدود الفارسية العثمانية ، وقد قدمه سنة ١٨٥٣م (١٢٦٩ هـ) ، مترجم ، بغداد ١٩٥٣ ، بند ٤٥ ـ ٤٨ ، خورشيد باشا : سياحتنامه حدود ، ص‌ص ١٦٤ـ١٦٧ ، عباس العزاوي : عشائر العراق (الكردية) ، جـ٢ ، بغداد ١٩٤٧ ، ص‌ص ٢٨ ـ ٢٩ ، ٣٨ ـ ٤٠ ، ٤٣ ـ ٤٥ .

(١٨٦) انظر نصوص المعاهدة في : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٤٣٠ ، معاهدات عمومية مجموعة سي ، جـ٢ ، ص‌ص ٣١٠ ـ ٣١٢ ، احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٩٧ ، الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص‌ص ٣٣ ـ ٣٦ . وانظر : مجموعة الوثائق التي نشرها Hurewitz في كتابه Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1, PP. 21-3. ووردت بنود المعاهدة باللغتين الفارسية والتركية في ذيل عالم آراى عباس لاسكندر تركمان ومحمد

←

وبموجب هذه المعاهدة ، بدأ صلح طويل بين الدولتين استمر ثمانين عاما • ويذكر المؤرخ كريسي أن الامبراطورية العثمانية لتدين بهذا الدين العميق من الاعتراف بالجميل الى ذكرى مراد الرابع[١٨٧] الذي يرجع الفضل اليه في ذلك التوقف الطويل للمنازعات التي كانت تجهدها كل الجهد ، كما يرجع اليه الفضل أيضا في ذلك الاعتراف بتفوقها الذي ظلت بلاد فارس تقر بـه على الدوام[١٨٨] •

ويتبين من دراسة معاهدة زهاب ، أن النفوذ الفارسي غربي جبال زاغروس قد زال وبقى في شرقيها فقط ، وانها عينت الحدود بين الدولتين على قاعدة مناطق حدود Frontiers Zones ، وليس على أساس خط للحدود ، وهو الخط الذي تبدأ به سيادة الدولة وينتهي بسيادة دولة أخرى[١٨٩] • وهذا ما يجعل المعاهدة وقتية لا يمكن أن تحول دون قيام النزاع في المستقبل عندما تتهيأ الفرص • كما ان المعاهدة لم تتعرض بالتفصيل لطبيعة الحدود بين الدولتين في المنطقة الجنوبية من العراق ، وبوجه خاص منطقة عربستان التي أصبحت فيما بعد من المشاكل المعقدة بينهما • غير أن

يوسف ، ص‌ص ٢٢٠ — ٢٢٧ .

والجدير بالذكر ان الدولة الفارسية تدعى في « مجموعة معاهدات دولت عليه ايران بادول خارجة » طهران ١٣٢٦ ، ص ١٩٢ بما يلي : « أبرم العثمانيون هذه المعاهدة ، وبما انه لا توجد لدينا نسخة مصدقة منها فلا نستطيع القول بصحتها أو عدمها » . وكان قد ذكر بأن النسخة الفارسية قد فقدت في أحدى الاضطرابات التي وقعت في طهران .

(١٨٧) كانت وفاته في التاسع من شباط سنة ١٦٤٠ (١٦ شوال ١٠٤٩ هـ) عن عمر لم يتعد الثامنة والعشرين وذلك على اثر مرض الم به . ومدة سلطنته ما يقارب ١٧ سنة ، كان الانكشاريون خلال العشر سنين الأولى منها هم المهيمنين الحقيقيين على الحكم .

محمد فريد : الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥ ،

Creasy, E.: Op. Cit., P. 257.

Ibid.

(١٨٨)

(١٨٩) جابر ابراهيم الراوي : الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص ٢٢٠ .

معاهدة زهاب على ما فيها من ثغرات ، فانها تعد أكمل وأكثر وضوحا مما سبقها من المعاهدات التي عقدت بين الدولتين حتى ذلك اليوم . وقد أصبحت الاساس الذى بنيت عليه سائر المناقشات التي جرت بعد ذلك في موضوع الحدود .

ويبدو أننا نتجنى على الجانبين العثماني والفارسى عندما نوجه انتقادنا الى هذه المعاهدة ، اذ لم تكن العقلية التي كانت تحكم بها الدولتان آنذاك قد أرتفعت بعد لتضع معاهدة تفصيلية للحدود المشتركة ، وحتى لو كانت هذه المعاهدة قد تناولت حل مشاكل الحدود بصورة تفصيلية وعلمية وحددت تبعية العشائر القاطنة على الحدود ، فمن المشكوك فيه أنها سوف تنهى النزاع بينهما نهائيا لما تعتورها من ملابسات وأطماع . واذا قدر لهذا الصلح أن يدوم فترة طولها ثمانون عاما ، دون أن يعكره أى قتال جدى بين الدولتين، فأن ذلك يمكن أن يعزى الى انشغال الدولة الفارسية خلالها بمشاكلها الداخلية[١٩٠] ، وانشغال الدولة العثمانية بحروبها الاوربية[١٩١] . ومع هذا، فان نقاطا للتصادم بين الجانبين كانت قائمة ، وهي لم تخرج عن ادعاء الدولة الفارسية بسلب قوافل الزوار الفرس للعتبات المقدسة في العراق ، واقامة الامراء الفرس المشكوك في ولائهم في بغداد .

---

(١٩٠) سنتناول هذه المشاكل في الفصل الثاني .

(١٩١) كانت ابرز حروب الدولة العثمانية في هذه الفترة مع النمسا ، وقد انهزمت خلالها هزائم ساحقة . وفي سنة ١٦٩٩م انهت الحرب معاهدة كارلوفتز ، والتي لم تعد الدولة العثمانية بعدها ذلك الخصم العنيد الذي كان يحدد أوروبا الغربية ، وغدت أوروبا هي التي تهدد وحدة الامبراطورية العثمانية وتماسك اجزائها .

الفصل الثاني

الغزو الأفغاني لبلاد فارس
وأثره على العلاقات العثمانية الفارسية

الغزو الافغاني لبلاد فارس

واثره على العلاقات العثمانية الفارسية

تدهور الأوضاع السياسية في بلاد فارس :

شهد مفتتح القرن الثامن عشر ، تزايد انحلال الأسرة الصفوية الحاكمة في بلاد فارس ، وسيرها نحو الانهيار بخطى سريعة • وحتى يتسنى لنا التعرف على ماكان عليه الوضع في بلاد فارس قبل الغزو الأفغاني[1] لها ، نجد من الضروري أن نتعرض بايجاز الى الأسباب التي أدت الى أضمحلال الأسرة الصفوية وما رافق ذلك بطبيعة الحال من موجات عاصفة من الاضطراب وعدم

---

(١) الأفغان : قوم من سلالة آريه كانوا يسكنون سلسلة جبال سليمان ، وهي اقدم موطن معروف للافغان ، ولم يكن لهم أي وزن سياسي ابان العهد الغزنوي، وانما كانوا مجرد قبيلة جبلية لاوزن لها، وكانت هجرتهم الى الهند تمثل جانبا من انتشار القبائل الأفغانية في القرون الوسطى المتأخرة • وقد استطاعوا من بعد ذلك أن يبسطوا نفوذهم حتى صارت لهم أغلب المنطقة الواقعة بين جيحون والسند ، ليبداوا دورهم في سياسة آسيا الوسطى. ولبث الافغان حتى بداية القرن الثامن عشر الميلادي يؤدون الجزية الى اباطرة الهند أو الى شاهات بلاد فارس ليدرءوا بذلك عنهم خطر الأوزبك الذين كانوا يفوقونهم في قوتهم • وقد برزت دولة أفغانية وطنية الى الوجود ، لأول مرة ، تحت رئاسة ميرويس زعيم القبيلة الأفغانية الغلزائي وتوطدت اركانها في عهد احمد شاه دوراني في القرن الثامن عشر • انظر :
Perrier, J.: History of the Afghans, P. 18.
خليل ادهم : دول اسلامية ، ص ٥١٠ •

الاستقرار ، استغرقت العقود الثلاثة من ذلك القرن ، ووصلت الى مداها بتمزق البلاد الفارسية على اثر الغزو الأجنبي : الافغاني أولا ، ومن ثم الروسي والعثماني[٢] .

لقد كانت الدولة الصفوية قد وصلت الى ذروة قوتها في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) ، وبموته كما يقول السيرجون جاردن « توقف أزدهار بلاد فارس »[٣] ، وبدأت الدولة في التدهور حتى أصبحت وكأنها بناء ضخم يوشك على الانهيار[٤] . اذ لم يكن خلفاء عباس بالحكام الاكفاء المقتدرين ، وبعض السبب في ذلك يعود الى الشاه عباس نفسه ، حيث أنه ببعض أعماله بذر قدرا من بذور الكارثة التي أودت بالاسـرة الصفويـة الحاكمـة .

وكان الشاه الكبير لم يطق أن يرى أبناءه وذويه ينعمون بشعبية تحببهم الى نفوس العامة من الناس ، وذلك خشية أن يفرض أحدهم نفسه عليه وينتزع العرش منه ، لذا لم يتورع عن قتل ولده البكر صفي ميرزا بعد أن أوجس خيفة منه بسبب من الشعبية التي تمت له بين الناس ، كما سمل أعين اثنين آخرين من أولاده[٥] وابتدع سياسة تقضي بجعل الوريث للعرش وأخوته محصورين ضمن أسوار الحريم ، حيث يتم عزلهم عن العالم الخارجي ولا ينالون سوى قسط ضئيل من التعليم ، ولم يكن يباح لهم أن يتدربوا على فنون الحرب أو حتى فنون الحكم داخل هذه الأسوار[٦] . ونتيجة لذلك أخذت الدولة في الاضمحلال بعد وفاته ، اذ لم يكن خلفاؤه على قدر من الكفاءة والمقدرة كما سبق القـول .

---

(٢) صالح العابد : دور القواسم في الخليج العربي ، ص ٥٣ .

(٣) Quotedin, Sykes, P.: A History of Persia, Vol. 11, P. 183.

(٤) Ibid, P. 237.

(٥) فيليب حتى : موجز تاريخ الشرق الادنى ، ص ٢٧٥ ،
Sykes, P.: Op. Cit., 11, PP. 182 - 3.

(٦) Lockhart, L.: Nadir Shah, PP. 1 - 2.

ان كلا من الشاه صفي (١٦٢٩ ــ ١٦٤٢) وعباس الثاني (١٦٤٢ ــ ١٦٦٧) وسليمان (١٦٦٧ ــ ١٦٩٤) وحسين (١٦٩٤ ــ ١٧٢٢) يمثلون انحلالا بائسا بالنسبة للسلالة التي تحدروا منها(٧) . فالشاه صفي ترك أمور الدولة وانغمس في الملذات وقتل الغالبية العظمى من مستشاري جده الشاه الكبير(٨) ، وأصبح الوهن الذي أصاب الدولة في عهده يغرى بها الاعداء من الخارج ، فكان سقوط بغداد في أيدي العثمانيين سنة ١٦٣٨ م (١٠٤٨ هـ) من الأحداث الرئيسية التي وقعت في أيامه . وكذلك كان أبنه الشاه عباس الثاني وحفيده الشاه سليمان الذي فضل حياة الحريم على مسئولياته كحاكم أعلى للبلاد(٩) . ولما قيل له ان العثمانيين قد يهاجمون بلاده ، أجابهم بمثل جواب المستعصم العباسي وهو : انه لا يكترث لهجومهم على شرط أن يتركوا له العاصمة أصفهان(١٠) . وعندما أرسلت اليه بعض الدول الأوروبية سفراءها(١١) ليحرضوه على محاربة العثمانيين واستعادة بغداد اثناء انشغال الدولة العثمانية في حروبها الأوربية ، أجابهم بأنه يجب أن يحافظ على المعاهدة المعقودة بين الدولتين . ويعلق المؤرخ لوكهارت Lockhart على هذا الجواب بقوله : « لا يمكن أن يكون هناك شك بالنظر الى ضعف الجيش الفارسي وانخفاض معنوياته في ذلك الوقت في أن هذا القرار كان حكيما ، ولكن المحتمل ان القرار جاء نتيجة اللامبالاة لا نتيجة الحكمة »(١٢) .

---

(٧) Stevens, R.: The land of the great Sophy, P. 29.

(٨) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٦٧ .

(٩) للتفصيل ، راجع : Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 209-213.

(١٠) علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، جـ١ ، ص ٨٩ .

(١١) في سنة ١٦٨٤م كان في بلاط الشاه سليمان ، في وقت واحد ، سفارة يراسها لويس فابرتيس مبعوثا عن الملك شارل الثاني عشر ملك السويد ، كما كان ثمة سفراء من مختلف الدرجات لفرنسا والمانيا وروسيا وبولندا والبابا ، وكانت السفارة السويدية تهدف أساسا لتحقيق بعض الأهداف التجارية ولتحريض الفرس على العثمانيين .
انظر : Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. L, P. 55.

(١٢) Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, PP. 29-30.

وكان اهمال الجيش الفارسي بعد موت الشاه عباس الكبير من بين الأسباب التي أدت الى اضمحلال الدولة الصفوية • فقد أصبح حاله تدريجيا أكثر سوءا وأقل كفاءة[١٣] ، حتى لم يعد ممكنا الاعتماد عليه في مواجهة أي تحد جدي لسلطة الشاه • ويعزى ذلك الى التناحر بين العناصر الشابة والقديمة فيه ، والى اهمال الدولة وعدم اهتمامها به (بأستثناء الشاه عباس الثاني الذي حاول في نهاية عهده اعادة الجيش الى كفاءته الاولى) ، وكذلك يعزى الى سنوات السلام الطويلة التي بدأت بعد انتهاء الحروب العثمانية في سنة ١٦٣٩ م[١٤] •

وبتولي الشاه سلطان حسين العرش سنة ١٦٩٤م (١١٠٥ هـ) ، ـ ذلك الرجل الضعيف الشخصية ـ باتت نهاية الحكم الصفوي أمرا مقررا • حقيقة نعمت البلاد بالهدوء خلال السنوات القليلة الأولى من عهده ، الا انه كان من نوع الهدوء الذي يسبق العاصفة • ذلك أن قوى التمرد والثورة كانت في طور التكاتف ، واستمرت الأوضاع الداخلية في التدهور ابان السنوات التاليـــة •

وقد ظهرت في سنة ١٦٩٩ م (١١١٠ هـ) بوادر هبوب العاصفة ، ففي تلك السنة شن رجال قبيلة البلوج[١٥] عدة حملات على مدينة كرمان ، وبعد ذلك بعامين حدثت بعض الاضطرابات في قندهار ، حيث كان رجال قبيلة

---

(١٣) Lockhart, L.: Nadir Shah, P. 2;

(١٤) Lockhart, L. The Fall of the Safavi Dynasty, P. 22, 44.

(١٥) البلوج : وهم مسلمون على المذهب الحنفي ، ينتشرون في الجزء الجنوبي الشرقي من الهضبة الفارسية ، وهو الاقليم الذي يطلق عليه اسم « بلوجستان » ، والذي يمتد من صحراء كرمان شرقي يم وجبال باشجرد حتى الحدود الغربية للسند والبنجاب •
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٨ ، (الترجمة العربية) ، مادة بلوجستان •

غلزائي[16] الافغانية قد ازدادوا عددا وشأنا وأصبحوا أصحاب النفوذ والقوة فيهــــا[17] .

وحدثت في سنة ١٧٠٧ م (١١١٩ هـ) ثورة في العاصمة أصفهان ، نتيجة لمجاعة اجتاحت المدينة وطالب سكانها بأطلاق سراح عباس ميرزا شقيق الشاه لغرض تنصيبه على العرش بدلا منه . وقد كانت هذه بداية للعديد مــن المحاولات التي استهدفت الاطاحة بحكم الشاه سلطان حسين ، وكان كــل شيء في البلاط في حالة أضطراب نتيجة المؤامرات والخلافات بين الخصيــان الذين فرضوا سيطرتهم على الشاه الضعيف ، وما رست الحكومة سيطرة قليلة أو معدومة على بعض المقاطعات المعزولة ، كما أن عدم الامان على طرقات السفر والقوافل كان مظهرا من مظاهر الضعف التدريجي للسلطة الحاكمة[18] .

وهكذا أخذت الدولة الصفوية في بلاد فارس تسير نحو الانهيار الكامل ، وهذا ما حدث فعلا على يد احدى القبائل الافغانية .

---

(١٦) وهي أحد القبيلتين الرئيستين من قبائل افغانستان ، والقبيلة الأخرى هي الابدالي (الدوراني) . وتنتشر قبيلة الفلزائية في الاودية العليا لنهـر هند مند وترنك وارغنداب وارغسان وزمندوار ، وفي كل بلاد « زرمات » شرق غزنة حتى خوست ووزير ستان ، ويحتلون الروافد الشمالية لنهر « كومل » . اما القبيلة الأبدالية فتنتشر في الأودية السفلى للانهار المذكورة اعلاه وفي جنوب قندهار حتى حدود بلوجستان .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ج٤ ، (الترجمة العربية) ، مــادة افغانستان .

(١٧) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. 1, P. 56; Lockhart, L.: Nadir Shah, P. 2.

(١٨) للاطلاع على الاوضاع في عهد الشاه سلطان حسين راجع :

Frusinski, J.: The History of the late revolutions of Persia, Vol. 1, PP. 90-95; Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, PP. 44 - 50.

الغزو الافغاني لبلاد فارس :

وكانت أفغانسان خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر هدفـاً لامبراطورية المغول في الهند ، والأسرة الصفوية في بلاد فارس ، حيث كانت قوى افغانستان العشائرية مفككة غير قادرة على دفع أي من هاتين القوتين عنها الا بشق الأنفس ، وغالبا ما تقع في يد مغول الهند تارة ، وشاهات بلاد فارس تارة أخرى[١٩] .

ومنذ عهد الشاه عباس الثاني ، كانت قندهار تعد جزءا من الدولـة الفارسية[٢٠] ، ولكن في بداية القرن الثامن عشر حدثت بعض الاضطرابات فيها وارتفعت الاصوات مطالبة باستقلالها . فبعث الشاه سلطان حسين بالأمير الكرجي كوركين خان[٢١] للقضاء عليها . وبعد نجاحه في اعادة السيطرة

---

(١٩) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٦٢ ، نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٧٤ .

(٢٠) ما بين سنة ١٦٤٨ و ١٦٥٠ (١٠٥٨ و ١٠٦٠ هـ) دخل الشاه عباس الثاني في حرب مع « شاه جهان » امبراطور المغول في الهند ، استطاع في نهايتها أن يستعيد قندهار .

انظـر :

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. 1, P. 35;

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 211.

(٢١) كان كوركين خان حاكما لجورجيا (كرجستان) ، وفي سنة ١٦٨٨م عزله الشاه سليمان ثم اعاده الى منصبه في سنة ١٦٩١م ، ولكن بعد اربع سنوات خلع نتيجة لمؤامرة وقعت ضده في جورجيا ، وقد دعاه الشاه سلطان حسين الى البلاط للاستفادة من خدماته لانه كان شجاعا ومقاتلا جيدا ، وبذلك فهو اهل لقمع اي اضطراب قد يحدث في البلاد . وقد ظهرت الحاجة لخدماته في شتاء ١٦٩٨ ــ ٩٩ عندما قامت مجموعة من رجال قبيلة البلوج بالهجوم على كرمان فطلب منه الشاه قيادة الحملة الموجهة ضدهم ، وعينه حاكما عاما لكرمان ، وقد استطاع انزال الهزيمة بهم ، وبقي كوركين خان في وظيفته كحاكم لمدينة كرمان حتى اوائل صيف سنة ١٧٠٤م حيث أرسل الى قندهار للقضاء على الهجوم البلوجي عليها ، وقد استمر كوركين في تقديم خدماته للبلاط الفارسي حتى قتل في قندهار سنة ١٧٠٩م .

Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 1, P. 154; Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, PP. 45 - 6.

الفارسية ، بقي حاكما فيها . وقد أثار بقسوته قبيلة غلزائي الافغانية ، فتمردت بقيادة ميرويس ، ولكن كوركين خان هزمها وأسر زعيمها وبعث به الى العاصمة أصفهان ، وهناك تمكن الزعيم الافغاني أثناء سجنه من أن يحوز ثقة الشاه سلطان حسين ، فسمح له بالعودة الى قندهار[٢٢] وقد طلب ميرويس من الشاه أن يسمح له أولا بزيارة مكة المكرمة لاداء فريضة الحج فأذن له بذلك ، غير أن الزعيم الافغاني كان ينوي من ذهابه الى مكة أن يشرح لعلمائها ما يقاسيه الافغان من العناء في ظل الحكم الصفوي وأن يأخذ منهم فتوى شرعية لاباحة دم الفرس .

وفي سنة ١٧٠٧ م (١١١٩ هـ) غادر ميرويس بلاد فارس الى مكة المكرمة ، وهناك استفتى فقهاء المذهب الحنفي ـ وكان من أتباع هذا المذهب ـ في أمر قتال الفرس فأفتوا له بذلك[٢٣] . وكانت الدولة الصفوية قد أضطهدت الأفغان ، ولكنها لم تنجح في استمالتهم . وعند عودته الى قندهار ، التف حوله عدد كبير من الاتباع ، علاوة على أتباعه من أبناء قبيلته غلزائي[٢٤] .

وفي سنة ١٧٠٩م (١١٢١ هـ) تمكن ميرويس من قتل كوركين خان والاستيلاء على قندهار[٢٥] ، وقام رجال قبيلته بالهجوم على الحامية

---

(٢٢) عبدالرحمن شرف : تاريخ دولت عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٢٦ ،
Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 1, PP. 153-4.
رضا بازوكي : تاريخ ايران ازمغول افشاريه ، ص‌ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٢٣) عبدالرحمن السويدي : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، ق١ ، (مخطوط) ، ورقة ١٦
وانظر : Krusinski, J.: Op. Cit., I, PP. 161-162.

(٢٤) علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٠٠

(٢٥) رسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ص ١٦ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، (مخطوط) ، ورقة ٣ ، Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part, I, P. 56.

الجورجية الفارسية الموجودة فيها ، فالحقوا الهزيمة بها وقتلوا عددا كبيرا من
أفرادها وطردوا من بقى منهم على قيد الحياة خارج الاقليم[26] .

وعندما وصلت هذه الأنباء الى البلاط الفارسي الذي كان منشغلا بامر
الثورة التي نشبت في شيروان[27] ، حاول الشاه استعادة الحكم عن طريق
المفاوضات[28] ، حيث بعث الى ميرويس سفيرا لمفاوضته ، ولكن ميرويس
رفض التفاوض وخاطب السفير قائلا : انك جئت لتعرض علينا أن نعود الى
الرق والخضوع لنير الفرس ، ولكن أعلم أن سيوفنا سلت للحرب ، وهي لا ترد
الى غمدها حتى تكون بلاد فارس كلها في قبضتنا[29] .

وعندئذ ، تم اعداد حملة قوية بقيادة خسروخان حاكم جورجيا وابن
أخي كوركين خان لاستعادة سلطان الشاه على قندهار ولردع المتمردين ،
وعلى الرغم من نجاح خسروخان في هجماته الأولى على الغلزائيين ، الا انه مني
بهزيمة فادحة ولقى مصرعه ، ولم يعد من تلك الحملة سوى بقية قليلة من
جنوده . ثم أرسل الشاه جيشا آخر لمقاتلتهم تحت قيادة محمد رستم خان ، الا
أن الهزيمة حلت به هو الآخر[30] .

وبعد انقضاء ستة أعوام قضاها ميرويس يحكم قندهار حكما مستقلا ،
توفي في سنة ١٧١٥ م (١١٢٧ هـ) وخلفه أخوه مير عبدالله الذي اغتيل بعد

---

(٢٦) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. I, P. 183.

(٢٧) قاد هذه الثورة احد قادة الجيش الفارسي وهو لطف على خان .
انظـر : Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 50.

(٢٨) Fraser, J.: Historical and descriptive account of Persia, P. 182.

(٢٩) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٦٩ .

(٣٠) رضا بازوكي : تاريخ ايران ازمغول افشارية ، ص ٣٦٩ ؛
Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. I, P. 198.
شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

سنتين من قبل مير محمود[٣١] (الابن الاكبر لميرويس) ، بعد أن نقم عليه عدد كبير من الغلزائيين لطبيعته المسالمة ورغبته في عقد الصلح مع الفرس ، حيث كان قد بعث الى الشاه سلطان حسين بشروطه لعقد الصلح ، وهي الموافقة على عودة قندهار الى حظيرة الدولة الفارسية ، على شرط أن ترفع عنها الجزية التي كانت تدفعها لحكام الشاه كل عام ، وأن لا ترسل أية قوات ضدها ، وأن يعترف الشاه له ولأولاده من بعده بالحكم عليها[٣٢] .

وبينما كانت هذه التطورات تحدث في قندهار ، كانت هناك أحداث خطيرة قد وقعت في أجزاء أخرى من الدولة الفارسية . فقد أستأنف الاوزبك هجماتهم على خراسان[٣٣] ، وأعلنت قبيلة الأبدالي الأفغانية بقيادة زعيمها عبدالله خان وابنه أسد الله[٣٤] ، الثورة في هراة ، منتهزة فرصة حدوث تمرد في الحامية الفارسية الموجودة فيها[٣٥] ، وقد شجعهم على ذلك الانتصار الذي احرزه الغلزائيون في قندهار . وقد فشلت محاولات البلاط الفارسي لاخضاعهم ، حيث هزم هؤلاء الجيش الذي وجه اليهم بقيادة صفي قلي خان[٣٦] ، وبذلك تمكن هؤلاء الأبدالية من الحصول على استقلالهم ، وتأسيس امارة افغانية في هراة ، وانتشروا بعد ذلك في خراسان[٣٧] .

---

(٣١) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٧ ،
Fraser, J.: Op. Cit., P. 182.

(٣٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٧١ ، وانظر نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٧٨ .

(٣٣) Fraser, J.: Op. Cit., P. 182.

(٣٤) كان حاكم هراة عباس قلي خان شاملوا قد القى بهما في السجن بتهمة التحريض على الفتنة والعصيان ، وعند حدوث تمرد في الحامية الفارسية تمكنا من الفرار من السجن وقيادة ثورة ناجحة .
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٣٦٩ .

(٣٥) رضا بازوكي : تاريخ ايران ازمغول افشارية ، ص ٣٦٩ .

(٣٦) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣٧) Fraser, J.: Op. Cit., P. 182.

وفي الخليج العربي ، واجه الفرس تحديات كبيرة . ففي سنة ١٧١٧ م تمكن سلطان بن سيف امام مسقط من انتزاع البحرين منهم ، كما انتزع عرب مسقط في سنة ١٧٢٠ م جزيرة قشم وجزرا أخرى من الساحل الفارسي للخليج[٣٨] . وكانت قوة مسقط البحرية قد بلغت أوج عظمتها في هذه الفترة، ولم تعد مصدر خوف للفرس فحسب ، بل للوجود الانجليزي في الخليج أيضـــا[٣٩] .

وتزايد نشاط رجال قبيلة البلوج ، وأخذوا يشنون غاراتهم على اقليمي كرمان ولار[٤٠] ، وقامت عشائر اللزجيون[٤١] بمهاجمة ولاية شيروان ونهب مركزها مدينة شماخي[٤٢] واندلعت الثورات في لورستان وكردستان ، وقام « مالك محمود سستاني » حاكم تون في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، بتحدي سلطة الشاه[٤٣] .

---

(٣٨) Wilson, A.: The Persian Gulf, PP. 172-173.

(٣٩) Low, C.: History of the Indian Navy 1613-1862, Vol. I, P. 213.

وللتفاصيل عن أسطول مسقط راجع :

Hamilton, A.: A New Account of the East Indies, Vol. I, PP. 50 - 51.

(٤٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 63.

(٤١) اللزجيون : عشائر عنيفة شديدة المراس ، موطنها اسفل جبال القوقاز ، بين جورجيا وبحر قزوين .

انظـــر :

Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 183.

(٤٢) Fraser, J.: Op. Cit., P. 182; Sykes, P. Op. Cit., Vol. II, P. 224.

وشماخي مدينة فارسية تقع على بحر قزوين ، وتعد مركزا رئيسيا للتجارة الروسية مع بلاد فارس .

(٤٣) رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٣٧٠ ،

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 228.

والى جانب هذه الأوضاع المضطربة ، كان البلاط الفارسي يشهد يومئذ حدوث الكثير من الدسائس(٤٤) ، وكان الشاه لاهيا عن ذلك ، وقد أغمض رجاله عيونهم عن كل ما من شأنه أن يحقق مصالح الدولة والتضحية بذلك من أجل تحقيق مآربهم الشخصية ، مستغلين ما وصلت اليه سلطة الشاه من ضعف واضمحلال(٤٥) .

وفي مثل هذه الظروف ، كان لابد للافغان ـ وقد اكتشفوا ضعف الأسرة الصفوية وبلوغها حد السقوط ـ من أن ينتهزوا الفرصة ويتوغلوا في البلاد الفارسية . فقاموا في سنة ١٧٢٠ م (١١٣٣ هـ) بشن غارة عليها ، حيث تقدم محمود الافغاني بجيشه عن طريق الصحراء ، فوصل مدينة كرمان وبدأ بمحاصرتها ، ولكن جيشا فارسيا بقيادة لطف على خان حاكم ولاية فارس ، والذي كان قد أرسل الى المناطق المجاورة لبندر عباس(٤٦) بهدف استعادة بعض الجزر من أيدي عرب مسقط ، استطاع أن يتقدم بسرعة لاغاثة المدينة المحاصرة ، فأوقع الهزيمة بالجيش الأفغاني ، واضطره الى التقهقر والرجوع الى قندهار(٤٧) . وقد أحدث هذا الانتصار ضجة في كل بلاد فارس ، لأنه لاول مرة يهزم الافغان منذ تمردهم(٤٨) .

---

(٤٤) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٧٣ .

(٤٥) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٨٠ .

(٤٦) بندر عباس : بلدة هامة على الساحل الفارسي عند مدخل الخليج العربي ، وقد اطلق عليها هذا الاسم الشاه عباس الاول وذلك في القرن السابع عشر ، وكانت تعرف باسم « جمبرون » خلال عهد الاحتلال البرتغالي لجزيرة هرمز عندما كانت مكانا يبحرون منه للذهاب الى تلك الجزيرة. وظل اسم جمبرون شائعا عند الاوربيين حتى نهاية القرن الثامن عشر . انظر : لوريمر : دليل الخليج (الجغرافي) ، جـ١ ، ص ١٤ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٥٧ .

(٤٧) شاهين مكاريوس المصدر السابق ، ص ١٧٣ ،

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. IA, P. 56.

(٤٨) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 1, P. 221.

وقد أدت هذه الأوضاع الى أن توجه كل من روسيا والدولة العثمانية اهتمامهما صوب بلاد فارس • فقد أخذ القيصر بطرس الاكبر (١٦٨٩ - ١٧٢٥) يتربص الفرص لغزوها بعد أن أمده أرتيمي فولينسكي Artemii Volynski الذي أرسله في بعثة تجارية الى العاصمة الصفوية أصفهان سنة ١٧١٥ م (١١٢٧ هـ)[٤٩] بالكثير من المعلومات عن تدهور الأوضاع السياسية في بلاد فارس ، حيث أرسل اليه من هناك تقارير على درجة من الأهمية ، وجاء في أحدها ما يلي :

« يخيل لي أن ملك الفرس يمر (الآن) بمرحلة الأفول ، واذا لم ينهض الشاه بارادة وقوة ، فان الدولة لن يكون لها حول ولا قوة ، سواء في مواجهة عدو خارجي أو مواجهة متمردين من الداخل • وعلى الرغم من أننا مشغولون فعلا بالحرب مع السويد في أوروبا ، الا أنني أتصور أنه اذا نظرنا الى أوضاع بلاد فارس المضطربة ، فلن نجد وقتا أنسب من الوقت الحالي للاستيلاء على هذه البلاد الواسعة ، اذ يمكن احتلال مناطق شاسعة بقوة محدودة لا تتجاوز فرقة واحدة • لذا ينبغي أن ننتهز هذه الفرصة (المتاحة) والا فان أوضاع هذه البلاد يمكن أن تتغير (الى الأفضل) اذا تولى ملكها شاه قدير ، وعندئذ سيصطدم أمرنا بصعوبات جديدة »[٥٠] •

غير أن القيصر لم يكن في تلك الفترة قادراً على أن يغتنم فرصة الوضع المتردي في بلاد فارس بسبب انشغاله في الحرب مع السويد[٥١] ، فأكتفى بارسال

---

(٤٩) رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٣٨٣
وانظر :
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 214.

(٥٠) غلام حسين مقتدر : نبرد هاي بزرك نادر شاه ، ص ٦
وانظر عن بعثة فولينسكي :
Schuyler, E.: Peter the Great, Vol, II, P. 582.

(٥١) في سنة ١٧٢١ انهت معاهدة نيستاد الصراع الطويل بين روسيا والسويد،

جواسيس الى داغستان وجورجيا لمراقبة الاحداث في بلاد فارس عن كثب ، وجمع المعلومات العسكرية عن أقاليمها الشمالية(٥٢) .

وكانت الدولة العثمانية هي الاخرى تراقب تطور الاحداث في بلاد فارس ، وقد أصبح في استطاعتها بعد أن عقدت معاهدة بساروفتز Passarovitz في تموز ١٧١٨ م مع النمسا والبندقية(٥٣) ، أن توجه اهتمامها صوب الشرق ، حيث دولة الفرس التي يسودها الاضطراب(٥٤) ، والتي لابد وأن تكون قد أغرتها الأوضاع المتداعية فيها لتعويض ما فقدته من ممتلكات في الغرب(٥٥) .

ومن أجل الحصول على معلومات موثوق بها بخصوص حقيقة الأوضاع في بلاد فارس ، فقد أرسل الباب العالي مبعوثا يدعى « دوري أفندي » الى البلاط الفارسي ، وعند وصوله الى العاصمة الفارسية في نهاية سنة ١٧٢٠ م (١١٣٣ هـ) ، لاحظ القلق الذي أصاب رجال الدولة من جراء مجيئه . فقد كان هؤلاء يخشون أن يكون سبب مجيئه هو المطالبة بالتخلي عن أقاليم معينة .

---

(٥٢) نخلة قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، جا ، بيروت ١٨٨٦ ، ص ٢٨١ ،
Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, PP. 176-7.

(٥٣) امتدت الحرب بين الدولة العثمانية وبين النمسا والبندقية من ١٧١٤ حتى ١٧١٨ وللاطلاع على هذه الحرب وظروف عقد معاهدة بساروفتيز راجع :
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص‌ص ١٤٤-١٤٥ ،
Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, P. 346, Eversley, L.: The Turkish Empire its Growth and decay, PP. 191 - 202.

(٥٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج٣ ، ص ١٥٦ .

(٥٥) Lockhart, L.: Op. Cit., P. 213.

وبعد أن استغرقت زيارته ثلاثة أشهر ، عاد الى القسطنطينية ، حيث رفع تقريرا ذكر فيه أن بلاد فارس تشرف على حافة كارثة ، وأن الاخطار المحدقة بها سببها افتقار الرجال الذين يتولون مقاليد الحكم فيها الى الفطنـــة في تسيير دفة الأمور(٥٦) .

وهكذا اصبح كل ما يحيط ببلاد فارس وفي داخل حدودها ينذر بتفجر الموقف بشكل خطير .

سقوط الحكم الصفوي عام ١٧٢٢ (١١٣٥ هـ) :

وفي أواخر سنة ١٧٢١ م (١١٣٤ هـ) بدأ غزو افغاني ثان لبلاد فارس صحبه قيام البلوج بشن هجوم على بندر عباس ، ومحاولتهم اقتحام الوكالة الانجليزية والهولندية فيها(٥٧) . وقد استطاع الافغان بقيادة مير محمــود الاستيلاء على كرمان ، لكنهم فشلوا في الاستيلاء على مدينة يزد(٥٨) ، ورغبة منهم في عدم تضييع الوقت في حصار هذه المدينة ، تقدموا نحو معسكر الجيش الفارسي الرئيسي المجاور لهما ، فهزموه وواصل مير محمود تقدمه صوب العاصمة أصفهان(٥٩) .

---

(٥٦) احمد جودت : تاريخ جودت ، جـ١ ، ص ٧١ ،
Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 212.
في أواخر سنة ١٧٢١م أرسل الشاه الى القسطنطينية بعثة دبلوماسية برئاسة مرتضى قلي خان ردا على الزيارة التي قام بها دوري افندي ، كانت الغاية منها ارساء علاقات التفاهم مع الدولة العثمانية والحيلولة دون تقديمها المساعدة الى مير محمود الافغاني
انظر : عن بعثة دوري افندي وبعثة مرتضى قلي خان :
Hammer, J. V.: Histoire de l'Empire Ottoman, Vol. XIV, PP. 78 - 86.

(٥٧) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Historical, Part. IA, P. 63.
وانظر ايضا : Hamilton, A.: Op. Cit., Vol. 1, PP. 68 - 9.
والمؤلف نفسه اشترك في الدفاع عن الوكالة الانجليزية .

(٥٨) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 224.

(٥٩) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. IA. P. 56.

وبينما هو في طريقه الى اصفهان ، أرسل اليه الشاه سلطان حسين رسولا يعرض عليه مبلغا كبيرا من المال وعقد الصلح في مقابل عودته الى قندهار[٦٠] ، ولكن مير محمود لم يصغ لهذا العرض واستمر في تقدمه ، واذ ذاك عقد الشاه مجلسا حربيا استقرت الاراء فيه على الاسراع في مهاجمة الجيش الافغاني القادم[٦١] .

وبالقرب من كلناباد على بعد اثني عشر ميلا من شرق العاصمة ، دارت معركة عنيفة في **الثامن من شهر آذار ١٧٢٢ م (١١٣٥ هـ) بين الجيشين** الافغاني والفارسي سجل فيها الأفغان انتصارا كبيرا على الفرس الذين فروا من ساحة القتال وهم مندحرون متفرقون[٦٢] .

وقد استطاعت هذه المعركة أن تحسم مصير السلالة الصفوية بشكل قاطع ، حيث لم يبق امام الافغان غير أخضاع العاصمة ، فبدأ مير محمود بمهاجمة الضواحي القريبة منها ، وأحتل فرح آباد وبلدة جلفا الأرمنية[٦٣] . غير أن رجاله تكبدوا خسارة فادحة عندما شن أحمد اغا ، أحد عناصر الشاه سلطان حسين ، حملة ناجحة ضدهم ، ولكنه لم يستطع أن يوقف هجومهم لاحتلال أصفهان[٦٤] . ولما لم يكن بوسع الافغان اختراق اسوارها بنيران مدفعيتهم ، التي لم تكن ذات فعالية عالية ، ولضآلة قوتهم العسكرية ، قرر محمود أن يحاصر المدينة ، بعد أن رفض له الشاه شروطا لعقد الصلح ، طلب

---

(٦٠) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص‌ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، نوار : الشعوب الاسلامية ص ٢٨٠ .

(٦١) شاهين مكاريوس : نفس المصدر ، ص‌ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٦٢) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦١ ، نوار : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ، Stevens, R.: Op. Cit., P. 29.

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 224-5.

(٦٣) Praser, J.: Op. Cit., P. 183; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 226.

(٦٤) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٧٨ .

فيها محمود أن يتنازل له الشاه عن قندهار وخراسان وكرمان ، ويعترف باستقلاله في حكمها ، وأن يتزوج من أميرة فارسية ويدفع له غرامة حربية قدرها مائة ألف جنيه استرليني[٦٥] .

وقد صاحب البدء في عملية الحصار ، قيام الجيش الافغاني بتدمير القرى والمدن الصغيرة المحيطة بأصفهان ، للحيلولة دون وصول المؤن اليها . ثم أحاط الأفغان بالمدينة من جميع جهاتها وشددوا الحصار عليها[٦٦] . غير أن ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا ــ أحد أبناء الشاه سلطان حسين ــ ، استطاع مغادرة أصفهان سرا واجتياز الخطوط الأفغانية يرافقه ستمائة رجل حتى وصل الى قزوين في محاولة لتجميع جيش من هناك[٦٧] ، والتقدم به لانقاذ العاصمة المحاصرة .

---

(٦٥) Gilanentz. The Chronicle of Concerning the Afghan Invasian of Persia in 1722, PP. 17 - 18.

وانظر : شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٦٦) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، Fraser, J.: Op. Cit., P. 183.

يذكر المؤرخ سليمان فائق في مؤلفه « حروب الايرانيين في العراق » (مخطوط) ، ورقة ٥ : ان والي ارضروم سلحدار ابراهيم باشا قد كتب الى الباب العالي يعلمه محاصرة الافغان للعاصمة الصفوية فتدارس المسؤوون العثمانيون الموقف وقرروا مهاجمة بلاد فارس قبل ان يتم للافغان احتلال اصفهان بحجة صد اعدائها ، فأصدروا الاوامر الى باشوات الولايات المتاخمة لبلاد فارس وهم ولاة بغداد والبصرة والموصل ووان وارضروم وامراء قارص وشهرزور ، غير ان والي بغداد حسن باشا عرض على الباب العالي عدم التورط في هذا العمل وان مير محمود الافغاني لم يستول بعد على اصفهان ولم تعرف نياته ، فأخذ الباب العالي بهذا الراي ولكنه طلب من هؤلاء الولاة اخذ الحيطة والحذر ومراقبة الاحداث في بلاد فارس عن كثب .

(٦٧) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. IA, P. 81; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 228.

ويبدو أن ولي العهد قد فشل في محاولته ، حيث انه كتب الى أبيه مشيرا عليه بترك اصفهان[٦٨] ، فيأس أهل اصفهان من أمل الخلاص ، واشتد عليهم الضيق والجوع حتى أخذت المجاعة شكلا مروعا في المدينة ، فقد أكل الناس لحم الكلاب والدواب وجثث الموتى ، وفسدت مياه نهر (زندارود) من الجثث التي ألقيت فيه من فوق الأسوار ، وأصبح من العبث الاستمرار في المقاومة ، اذ كانت ستؤدي الى هلاك المزيد من الجائعين[٦٩] . وبذلك كان الحصار الذي فرضه الافغان حصارا محكما حقا ، أدى في النهاية الى أن يطلب الشاه الاستسلام ، الا أن الافغان ما طلوا في الاجابة مدة ثمانية أو تسعة أسابيع امعانا في التنكيل بأعدائهم[٧٠] .

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٧٢٢ م (١٥ محرم ١١٣٥ هـ) ، وبعد حصار دام سبعة أشهر ، قبل مير محمود الافغاني استسلام العاصمة[٧١] . وفي اليوم التالي ، وبينما كان سكان العاصمة أصفهان المحاصرون يلهثون أنفاسهم الاخيرة ، غادر الشاه عاصمته يتبعه ثلاثمائة جندي وعدد قليل من نبلائه متجها نحو المعسكر الافغاني في فرح آباد لكي يعلن استسلام العاصمة ويسلم تاجه للمنتصر[٧٢] .

---

(٦٨) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٨٠ .

(٦٩) نفس المصدر ، صص ١٨١ – ١٨٢ ، Fraser, J.: Op. Cit., P. 183.

(٧٠) Ibid, P. 184.

(٧١) اسماعيل عاصم : تاريخ جلبي زاده افندي ، ص ٦ ، Fraser, J.: Op. Cit., P. 184.

(٧٢) يروي هاملتون ان الانجليز قاموا بدور في الدفاع عن المدينة ، وان الافغانيين قد سجنوهم ، وان هؤلاء ايضا قد هاجموا الوكالات الانجليزية والهولندية ، لكن روايته على اي حال تضم متناقضات كثيرة ، ولا يمكن الاعتماد عليها .

Hamilton, A.: A New account of the East Indies, Vol. 1, PP. 110 - 2.

Fraser, J.: Op. Cit., P. 184.

وقد ذكر ممثلو شركة الهند الشرقية الانجليزية في تقرير بعثوه من أصفهان « أن الشاه غادر مقره في العاصمة ممتطيا صهوة جواده خلوا من أقل مظاهر الأبهة ومتجردا من الزينات الملكية ، ترافقه حاشية نال منها اليأس والحزن ، لدرجة أن المشهد كان يبدو وكأنه جنازه مهيبة يشيعون فيها تاج الملك وجلالته .. وبالفعل فقد كان هذا هو الواقع »(٧٣) .

وعند وصول الشاه الى المعسكر الافغاني ، أستقبله مير محمود بالخيلاء والفتور ، وخاطبه الشاه قائلا : « يا ولدي ان الاله الاعظم للكون لا يريدني أن أحكم بعد ذلك ، فأنني أسلم لك الامبراطورية : فليكن عهدك عهد رخاء ! » ، ثم نزع الشاه الحلية التي كان يضعها على رأسه والمصنوعة من الجواهر والتي تعتبر رمزا للدولة والسيادة ، وأعطاها لوزير محمود ، ولكن محمود رفض أن يتسلمها من أحد غير الشاه المتنازل عن عرشه ، فرضخ الشاه للأمر ، فأمسك بها بيديه وقام بوضعها على رأس الفاتح المنتصر ، وقال له « أحكم بسلام »(٧٤) .

وهكذا سلم الشاه سلطان حسين امبراطورية الفرس الى الفاتحين الأفغان ، وأقتيد الشاه بعد ذلك الى السجن(٧٥) ودخل القائد الافغاني العاصمة أصفهان وتم تتويجه كشاه . وقد كان هذا ايذانا بتمزق بلاد فارس وبانتهاء الأسرة الصفوية نفسها كأسرة حاكمة .

---

(٧٣) Quotedin, Lockhart, L.: Nadir Shah, P. 9.

(٧٤) Fraser, J.: Op. Cit., P. 184; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 229.

وانظر : شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٨٢ .

(٧٥) بقي في السجن مدة سبع سنوات حتى قتله اشرف خليفة محمود ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٧ ، Fraser, J.: Op. Cit., P. 184.

الاحتلال الافغاني لبلاد فارس ١٧٢٢ ـ ١٧٢٩م (١١٣٥ ـ ١١٤٢ هـ):

وعندما وصلت انباء سقوط العاصمة الصفوية الى ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا الذي كان قد هرب الى قزوين، أعلن نفسه شاها هناك(٧٦). فبادر مير محمود بارسال قوة مؤلفة من ثمانية آلاف رجل لاحتلال قزوين واعتقال ولي العهد الصفوي، وقد استطاعت هذه القوة التي تحركت من أصفهان في ١٣ تشرين الثاني ١٧٢٢ (٨ صفر ١١٣٥ هـ) ان تحتل في طريقها مدن كاشان وقم، وعند وصولها الى قزوين احتلتها بعد أن ألحقت الهزيمة بجيش طهماسب، ولكن طهماسب تمكن من الهرب الى تبريز حيث أقام بلاطه هناك(٧٧).

وقد أثارت القسوة التي سلكتها القوة الأفغانية المحتلة في قزوين غضب السكان وثورتهم، فشنوا هجوما عليها وتمكنوا من قتل عدد كبير من أفرادها، وهرب من بقى منهم خارج المدينة(٧٨).

وعندما علم مير محمود بما حدث خشى حدوث ثورة مشابهة في العاصمة، فأمر كأجراء وقائي بقتل العديد من الامراء الصفويين، كما قتل ثلاثمائة من النبلاء وكثيرا من حاشية الشاه السابق. غير أنه لم يكتف بذلك، بل أصدر أمرا بقتل جميع الجنود الفرس الذين سبق وأن اسرهم، وكا نعددهم ثلاثة آلالف(٧٩)، معللا قتلهم بأنهم ربما يثورون عليه حينما

---

(٧٦) عبدالرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانية، جـ٢، ص ١٢٦، تاريخ جودت، جـ١، ص ٧٣،

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. 1, Part. IA, P. 81.

(٧٧) Gilanentz: Op. Cit., PP. 24 - 26.

وانظر: Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 231.

حيث يذكر ان القوة التي تحركت لمهاجمة طهماسب واحتلال قزوين كان عدد افرادها خمسة آلاف مقاتل.

(٧٨) عن ثورة قزوين انظر: Gilanentz: Op. Cit., PP. 24 - 29.

(٧٩) كامل باشا: تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية، جـ٢، ص ١٣٨، شاهين

←

نسنح لهم الفرصة ، لأن الذيــن كانوا حوله من الأفغانيين لم يزيــدوا عن خمسة عشر ألف مقاتل[٨٠] .

وقد ظلت الدماء تجري في أصفهان لمدة أسبوعين ، وانكسرت روح الشعب تماما حتى أصبح من المناظر العادية جدا أن ترى أفغانيا واحدا يقود ثلاثة أو أربعة من الفرس لكي يعدمهــم[٨١] . وبذلك تغلبت شــراسة مير محمود على الرأفة التي كانت السياسة تتطلب منه اظهارها من قبل ، حيث أوحت الأسابيع الاولى من الحكم الافغاني بالآمال الجسام ، اذ لم يحدث أي عنف ولا فوضوية[٨٢] .

وفي الوقت الذي اندلعت فيه الثورات في العديد من المدن الفارسية ، واندفع الافغان لأخمادها[٨٣] ، حدثت تطورات خطيرة في الشمال والغرب من حدود بلاد فارس ، حيث انتهز الروس والعثمانيون الفرصة للتدخل في شؤونها واغتنام بعض مناطقها بحجة مساعدتها في اعادة النظام وصد اعدائها ، فهاجم الروس البلاد من الشمال كما هاجمها العثمانيون من الغرب .

وكانت معاهدة بساروفيتز التي عقدت في سنة ١٧١٨ م قد حررت الدولة العثمانية من كثير من المسؤليات وأصبح في استطاعتها أن توجه اهتمامها

مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ ، Fraser, J.: Op. Cit., PP. 184-5.
وتجدر الاشارة هنا الى ان المؤرخ لوكهارت يذكر ان هؤلاء الجنود كانوا قد انظموا الى مير محمود اثناء حصاره لأصفهان ، وانه علل قتلهم بانهم ماداموا قد خانوا ملكهم فلا خير يرجى منهم ، لأنهم سيخونونه ايضا ... الفرصة المناسبة .
انظـر : Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 208.

(٨٠) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٨١) Fraser, J.: Op. Cit., P. 185.

(٨٢) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦١ .

(٨٣) نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٨٩ ، Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 235.

صوب الشرق حيث دولة الفرس التي يسودها الاضطراب[٨٤] • ومن المؤكد أنها لم تنس بعد ، أنه خلال الفترة الواقعة بين ١٥٧٨ – ١٦٠٧ (٩٨٦ – ١٠١٦ هـ) كانت لها السيادة على أذربيجان وجورجيا وشيروان[٨٥] ، وها هي قد أحست بالفرصة التي تستطيع فيها أن تقوم بمحاولة لكي تعيد هذه الأقاليم الى حظيرتها مرة أخرى •

وقد أعلنت الدولة العثمانية تأييدها للثورة التي قامت في شيروان في صيف سنة ١٧٢١ م (١١٣٣ هـ) • ولم تكتف بالموافقة على طلب الحماية الذي تقدم به قائد الثورة حاجي داود بك ، بل انها قامت أيضا بتعيينه حاكما رسميا لهذا الاقليم[٨٦] كما لو كان جزءا من أراضيها • وأصدرت أوامرها منذ بداية الغزو الأفغاني لبلاد فارس أواخر سنة ١٧٢١ م ، الى الحاميات على الجبهة الفارسية بأن تكون على أهبة الأستعداد ، وأوعزت الى والي بغداد حسن باشا بمراقبة الأحداث هناك ، وبأن يقوم باعداد مراكز دفاعه تحسبا للطوارىء[٨٧] • وعقد الصدر الأعظم داماد ابراهيم باشا اجتماعا لمجلسه في مايس سنة ١٧٢٢ م (١١٣٤ هـ) لدراسة الموقف في بلاد فارس ، بعد وصول أنباء انتصار الجيش الافغاني على الفرس في موقعة كلناباد ، وبعد أن أصبح

---

(٨٤) لونكريك : أربعة قرون ، ص ١٦١ •

(٨٥) كانت الدولة العثمانية قد احتلت هذه الاقاليم خلال فترة الاضطرابات التي عمت بلاد فارس عقب وفاة الشاه طهماسب الاول سنة ١٥٧٦ / ٩٨٤ هـ . وبموجب معاهدة ١٥٩٠ / ٩٩٨ هـ تنازل الشاه عباس الكبير عن هذه الاقاليم للدولة العثمانية . كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٧ •

(٨٦) تاريخ جلبي زاده ، ص ٦ – ٧ ،

Ismail Hami Danisment: Izahli Osmanli Tarihi, Cilt 4, P. 13.

وانظر : ابراهيم افندي : مصباح الساري ونزهة القارىء ، جـ١ ، ص ٢١٥ سعيد الاحدب : تفصيل الياقوت والمرجان في اجمال تاريخ دولة بني عثمان ، ص ١٠١ •

(٨٧) السويدي : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، جـ١ ، ص‌ص ٨٣ – ٨٤ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦١ •

سقوط العاصمة الصفوية وشيكا في أيديهم[٨٨] . وقد حثه بعض الباشوات الحاضرين على انتهاز الفرصة لاسترجاع تلك المقاطعات التي كانت تحت السيطرة العثمانية قبل قرن مضى ، وفي نفس الوقت لمنع الافغان ، بالرغم من كونهم من أهل السنة ، من احتلال المزيد من بلاد فارس[٨٩] . غير أن الصدر الاعظم أخذ برأي والي بغداد حسن باشا الذي كان قد كتب اليه بوجوب عدم مهاجمة بلاد فارس والتصدي للافغان الذين لم يستولوا بعد على أصفهان ، قبل أن تعرف دوافعهم من هذا الغزو ، ولذا تقرر تأجيل اعلان الحرب على بلاد فارس[٩٠] .

كما أن القيصر بطرس الاكبر الذي كان يتربص الفرص في الشمال النائي ، دفعه تطور سير الاحداث في بلاد فارس ، وتدخل الدولة العثمانية في شيروان ، الى تدبير الخطط لغزو بلاد فارس[٩١] ، بعد أن أنهت معاهدة نيستاد Nystad (آب ١٧٢١) ، الصراع الطويل بين روسيا والسويد وأصبح في استطاعة القيصر تحقيق أهدافه التوسعية في الجنوب الشرقي للبلاد ، والتي كانت ترمي الى السيطرة على بحر قزوين وجعله بحيرة روسية لتوسيع تجارة دولته[٩٢] ، بحيث تمر تجارة بلاد فارس والهند عبر بلاده[٩٣]

---

(٨٨) تلقى الباب العالي تقريرا على جانب من الأهمية عن الموقف في بلاد فارس من والي أرضروم سلحدار ابراهيم باشا ، وعلى اثره عقد الباب العالي اجتماعه لتقرير الموقف العثماني من هذه التطورات .
انظر : سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، (مخطوط) ، ورقة ٥

(٨٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٦ وانظر :
Shay, M.: The Ottoman Empire from 1720 to 1734, P. 91.

(٩٠) سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٦ .

(٩١) Ismail Hàmi: Izahli Osmanli Tarihi, 4, P. 13.

(٩٢) Shay, M.: Op. Cit., P. 89; Creasy, E.: Op. Cit., P. 347; Wilson, A.: Op. Cit., P. 171.

(٩٣) نخلة قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، جـ١ ، ٢٨١ .

وتأمين السيطرة التامة على تجارة الحرير الفارسية[٩٤] ، وبذلك يحقق هدف تحويل طريق تجارة الحرير الى روسيا بدلا من الدولة العثمانية .

وقد كان قيام عشائر اللزجيين بغزو مدينة شماخي ، ونهبهم لمخازن التجار الروس فيها وقتل عدد كبير منهم[٩٥] ، وكذلك قيام الأوزبك بالهجوم على قافلة روسية كانت في طريقها من الصين الى روسيا[٩٦] بمثابة عود ثقاب للتدخل الروسي في بلاد فارس ، حيث أرسل القيصر سفيرا الى البلاط الفارسي في أصفهان التي كانت ما تزال محاصرة من قبل الافغان ، لتقديم الشكوى وللمطالبة بالتعويض عما أصاب بعض التجار الروس من خسائر . وعند وصول السفير الى العاصمة الصفوية ، وجد ان الشاه سلطان حسين قد خلع ، وان مير محمود الافغاني جالس على العرش . وقد اجاب مير محمود بأنه لا يمكن ان يتحمل المسئولية ، وأن على القيصر ان يحمي تجارته[٩٧] . وبذلك اعطى الحجة للقيصر للقيام بعملية الغزو .

---

(٩٤) فارس هي البلاد الرئيسية لانتاج هذه المادة ، اذ كانت تكثر في المناطق الشمالية خاصة في منطقة كيلان ، ويوضح مقال للدكتور عبدالامير محمد أمين بعنوان «التنافس بين الشركات التجارية الانجليزية» محاولات هذه الشركات لاحتكار تجارة الحرير ومحاولة شركة روسيا فتح باب المتاجرة بين اوروبا وبلاد فارس عبر روسيا منذ بداية تأسيسها في منتصف القرن السادس عشر . مجلة كلية الاداب في بغداد ، العدد (٦) سنة ١٩٦٣ .

(٩٥) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 11, P. 183; Curzon, Persia and the Persian question, Vol. 1, P. 373,

نخلة قلفاط : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٠

(٩٦) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 88.

ويذكر المؤرخ سايكس ان الخان الفارسي لمدينة (خيوه) مسئول عما لحق القافلة الروسية من خسائر Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 232.

(٩٧) Curzon, G. : op. cit., Vol. I, p. 373.

الغزو الروسي لبلاد فارس ١٧٢٢ (١١٣٥ هـ) :

وما أن علم القيصر بطرس الأكبر بجواب الزعيم الأفغاني حتى أبحر من استراخان[٩٨] في تموز ١٧٢٢ م على رأس جيش كبير يبلغ عـــدده ثلاثين الفا[٩٩] ، معلنا في منشور اصدره موجه الى الفرس ، بان الروس قادمون الى فارس كاصدقاء لمساعدتها ضد اعدائها الأفغانيين[١٠٠] . وبعد ان تقدم جنوبا في بحر قزوين ، نزل الى ساحل داغستان ، وبعث بالرسل حاملين نسخا مـن المنشور باللغة الفارسية والتركية الى حكام دربند وباكو وشماخي[١٠١] . وقد خضعت دربند لجيوشه في ١٤ أيلول بعد أن استسلمت له ، حيث قدم حاكمها مفتاح المدينة الى القيصر[١٠٢] .

ولقد كان في نية القيصر مواصلة التقدم على طول الساحل الى الجنوب من بحر قزوين واحتلال باكو[١٠٣] وشماخي ، الا أنه سرعان ما تخلى عن خطته عندما وصل مبعوث عثماني لانذاره بعدم التقدم الى شماخي التي أصبحت

---

(٩٨) استراخان : مدينة روسية على الضفة اليسرى لنهر الفولجا على مسيرة نحو ستين ميلا من النقطة التي يصب عندها في بحر الخزر .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٣ ، مادة استراخان .

(٩٩) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. 1, P. 373.
اما سايكس فيذكر ان القيصر هبط الفولجا على راس (٢٢) الف مقاتل
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233.
في حين يذكر نخلة قلفاط أن جيوش الغزو كانت تتألف من ٢٢ الف مـن المشاة و ٩آلاف من الخيالة و١٥ الفا من القوازق و ٣آلاف من الملاحين لخبرتهم (نخلة قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، جـ١ ، ص ٢٨١) ، امـا آرنولد ويلسون فيذكر ان القيصر اقلع في نهر الفولجا بثلاثة وثلاثين الفا من المشاة . (Wilson, A.: Op. Cit., P. 171.)

(١٠٠) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233.

(١٠١) قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، جـ١ ، ص ٢٨٢ ،
Ismail Hàmi; Izahli Osmanli Tarihi, 4, P. 13.

(١٠٢) قلفاط : المصدر السابق ، جـ١ ، صص٢٨٢ – ٢٨٣ .

(١٠٣) وهي اهم الثغور على شاطىء بحر قزوين .

تحت السيطرة العثمانية وتجنب الاحتكاك بالعثمانيين ورعاياهم الجدد ، وأنه في حالة أي تقدم روسي فان القيصر سيجد العثمانيين في حرب معه ، فآثر القيصر التوقف عند دربند لتجنب الصدام مع العثمانيين[١٠٤] ، ولتعذر التقدم بدون المزيد من التجهيزات العسكرية ، والتي يستغرق وصولها من استراخان مدة طويلة لصعوبة المواصلات وطولها ، وكانت الكثير من سفنه المحملة بالذخائر والمؤن قد غرقت في الفولجا[١٠٥] ، فعاد الى استراخان بعد أن ترك في دربند حامية قوية[١٠٦] .

وقد قوبلت عودة القيصر بارتياح في القسطنطينية بالرغم من تركه حامية في دربند ، ومما زاد في الارتياح وتخفيف حدة التوتر وصول أخبار تفيد مغادرته استرخان الى موسكو[١٠٧] .

وحينما تتفحص نتائج الحملة الروسية نجد أنها أتت بالقليل مما كان يتوقعه القيصر من الامتداد في بلاد فارس ، وانها كانت سببا في توتر علاقاته مع الدولة العثمانية الى درجة الانهيار ، حيث اعتبر العثمانيون غزوه لبلاد فارس خرقا للمعاهدة المعقودة بينهما في ١٦ تشرين الثاني ١٧٢٠ م (١٤ محرم ١١٣٣ هـ) والتي كانت قد نصت على احترام استقلال وحدود بلاد فارس

---

(١٠٤) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. 1, P. 373.

وانظر : Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233.

(١٠٥) قلفاط : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٣ ، نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٠

(١٠٦) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. 1, P. 373.

ويذكر سايكس ان عدد أفراد الحامية كان ثلاثة آلاف رجل

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233.

(١٠٧) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 90.

وبولونيا(١٠٨) . ولذا كان الخرق الروسي للمعاهدة بمثابة صدمة للصدر الاعظم داماد ابراهيم باشا(١٠٩) الذي عقد المعاهدة مع القيصر ، وتعرض لضغط شديد من الرأي العام . واغتنم العلماء ورجال الانكشارية الفرصة للضغط عليه واحراج مركزه والطعن في سياسته . وكان الصدر الأعظم يتبع سياسة سلمية نحو روسيا والنمسا وبلاد فارس ، معتقدا أن حالة الجيش والأسطول لا تسمح بخوض أية حرب أوروبية ، وأن الحرب مع بلاد فارس كثيرة التكاليف قليلـة الفوائد(١١٠) .

وقد أرسلت الدولة العثمانية القبوجي(١١١) باشي نيشلي محمد أغا مبعوثا الى القيصر الذي قابله في شباط سنة ١٧٢٣ م (١١٣٥ هـ) ، وسلمه رسالة من السلطان أحمد الثالث جاء فيها أنه لما كان اللزجيون مسلمين وهم تحت الحماية العثمانية ، فان السلطان لا يمكنه القبول بجعلهم تحت السيطرة الروسية ، واذا رغب القيصر بالسلام فعليه التخلي عن فتوحاته في داغستان وترك دربند(١١٢) . وناقش المبعوث نفس المضمون مع القيصر شفهيا ، الا أن القيصر اضطره الى السكوت حين أطلعه على الرسائل التي استلمها من سكان

---

(١٠٨) يذكر كريسي أنه لمن العسير أن تقرأ بدون أن تبتسم ابتسامة باهتة حين تجد ان روسيا والدولة العثمانية قد عقدتا فيما بينهما معاهدة سلام أبدي عام ١٧٢٠ .
Crasey, E.: Op. Cit., P. 346.
وللاطلاع على المعاهدة ، انظـر :
Summer, B.H.: Peter the Great and the Ottoman Empire, P. 59.

(١٠٩) تولى منصب الصدارة العظمى سنة ١٧١٨م ، ومن أول الاعمال التي قام بها توقيعه نيابة عن بلدة معاهدة بساروفتيز . وللاطلاع على سياسة الدولة العثمانية خلال فترة صدارته (١٧١٨ ــ ١٧٣٠) راجــع :
Shay, M.: Op. Cit., P. 17 - 27.

(١١٠) عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ١ ، ص ١١٨ .

(١١١) القبوجي كلمة تركية يراد بها حاجب السلطان أو رسوله الذي يوفد في مهمات رسمية .

(١١٢) تاريخ جلبي زاده ، ص ٧ .

دربند وباكو ، اذ كان القيصر قد استلم وهو في طريقه اليهما رسالة من نائب حاكم دربند امام قلي بيك تعبر عن قبول السكان للحماية الروسية ، كما قابل مبعوثا من باكو يحمل رسالة بنفس المعنى (١١٣)

ولما كان الباب العالي قد طلب من مبعوثه أن ينجز مهمته بسرعة ، فقد طلب المبعوث من القيصر جوابا سريعا . وفي أوائل آذار غادر المبعوث موسكو بعد أن طلب منه القيصر ابلاغ السلطان بأنه من الأفضل للبلدين الاتفاق على ما يمكن أن يحصل عليه كل منهما نتيجة لغزو بلاد فارس ، أو بمعنى أخر الاتفاق على تقسيم الاسلاب مسبقا . وبهذا يمكن تجنب مخاطر الصدام ، واكد القيصر حرصه على السلام مع الدولة العثمانية . أما اذا حاولت الوقوف في وجه روسيا ، فانه سوف يتصرف بشكل يحبط أي أطماع لها في البلدان الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين(١١٤) .

ولم يكن العثمانيون ميالين للأخذ باقتراح القيصر ، لاسيما حين علموا بأحتلال الروس لكيلان(١١٥) ، وكان الحاكم الفارسي فيها قد أرسل مبعوثا الى القيصر عارضا تسليم مركزها رشت التي كانت محاصرة من قبل الافغان ، لروسيا ، التي هلهلت لهذه الفريسة السهلة ، حيث سارع القيصر بارسال جيش الى هناك في أوائل سنة ١٧٢٣ م (١١٣٥ هـ) ، ففتحت رشت أبوابها للقادم الجديد ، وبذا وقع الجزء الأكبر من اقليم كيلان في قبضة الروس(١١٦) .

---

(١١٣) نفس المصدر ، Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 89.

(١١٤) تاريخ جلبي زاده ، ص ٧ ،

Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 89.

(١١٥) يذكر كروسنكي ان الروس اخذوا يتوسعون في فتوحاتهم على طول ساحل بحر قزوين حتى وصلوا الى اقليم كيلان الذي يحد هذا الساحل من الغرب الى الجنوب فأخضعوه لسيطرتهم

(Krusinski, J.: Op. Cit., Vol., II, P. 183)

(١١٦) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. I, P. 374.

وقد حاول نيبلوييف Nepluyev السفير الروسي في القسطنطينية جعل العثمانيين يتقبلون الأمر الواقع ، حيث ذكر لهم أنه طالما قد سيطرت روسيا على بحر قزوين بشكل لا نقاش فيه ، فيجب أن تخضع مقاطعاته الساحلية لسيطرتها ايضا • غير أن العثمانيين رفضوا ذلك ، وذكر الصدر الأعظم داماد ابراهيم في رسالة بعثها الى نيبلوييف بأن على القيصر أن يحترم معاهدة السلام الموقعة بين الدولتين في سنة ١٧٢٠م (١١٣٣ هـ) ، وأن يترك محاولاته ومشاريعه التوسعية في بلاد فارس ، وأنه من الضروري الاعتراف بالحماية العثمانية للزجيين الذين فتحوا اقليم شيروان والذين يعتنقون نفس المذهب الذي يعتنقه العثمانيون(١١٧) •

وقد كاد توتر الوضع بين الدولتين أن يؤدي الى وقوع الحرب بينهما ، غير أنه أمكن تجنبها بفضل جهود دي بوناك De Bonnac السفير الفرنسي لدى الباب العالي ، حيث طلب القيصر من كامبريدون Campredon السفير الفرنسي لدى روسيا ، أن يكتب الى دي بوناك ليقوم بدور الوسيط بين سفيره في القسطنطينية والحكومة العثمانية • وقد قام دي بوناك بذلك ضمن حدود امكانياته الدبلوماسية ، حيث لم تكن لديه صلاحيات كاملة ولا تعليمات من حكومته(١١٨) •

وبينما انحسر خطر الحرب بين روسيا والدولة العثمانية الى حد ما ، ازدادت العقبات في طريق التسوية السلمية لخلافاتهما حول بلاد فارس ، باعلان الدولة العثمانية الحرب على طهماسب وغزوها لبلاد فارس •

---

(١١٧) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٦٣ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 90.

(١١٨) Shay, M.: Op. Cit., PP. 105 - 6.

الغزو العثماني لبلاد فارس ١٧٢٣ (١١٣٦ هـ) :

كانت الدولة العثمانية قد أصدرت أوامرها الى الحاميات على الجبهة الفارسية بأن تكون على أهبة الاستعداد ، وأوعزت الى والي بغداد حسن باشا بمراقبة تطور الاحداث في بلاد فارس ، وقد أرسل والي بغداد مبعوثا الى أصفهان لتقديم التهنئة للفاتح الأفغاني مير محمود ، ولتسليمه رسالة يستوضحه فيها عن دوافعه وراء هذا الغزو[١١٩] .

ويرى المؤرخ سليمان فائق أن والي بغداد لم يكن يبغي من وراء ارسال مبعوثه سوى معرفة قوة مير محمود العسكرية[١٢٠] . وقد بعث مير محمود سفيره الخاص محمد صادق خان الى بغداد حاملا رسالة جوابية الى واليها ، جاء فيها : « أنه رأى من واجبه الديني وحميته الأسلامية أن يطهر البلاد من الكفرة الفسقة الذين عاثوا في الأرض فسادا ، وأنه على الشريعة الاسلامية السمحاء ، وليست له أطماع وأغراض أخرى ، كما وأنه من الموالين للدولة العثمانية ويستمد منها العون لشد أزره في سبيل المحافظة على شعائر الدين الاسلامي ، وازالة الكفر والفسوق من بين المسلمين »[١٢١] . وحث المبعوث الافغاني والي بغداد حسن باشا على تقديم المساعدة لمير محمود وتقويته ليتمكن من الاستيلاء على البلاد الفارسية كلها ، ويكون حليفا مخلصا للدولة العثمانية[١٢٢] .

وقد كتب والي بغداد الى الباب العالي يعلمه بأن البلاد الفارسية أصبحت لاحول لها ولا قوة ، سواء في مواجهة عدو خارجي أو مواجهة متمردين من الداخل ، وذلك كما شاهدها مبعوثه اليها[١٢٣] ، الذي عاد ليخبر سيده بأن

---

(١١٩) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، مخطوط ، ورقة ٧ .

(١٢٠) حروب الايرانيين في العراق ، مخطوط ، ورقة ٧

(١٢١) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦

(١٢٢) نفس المصدر .

(١٢٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٦ .

بلاد فارس فريسة يسهل اقتناصها ، وذكر أنه قد آن الأوان لمهاجمتها ، وأنه لن يوجد وقت أنسب للقيام بذلك ، مرغبا اياه في اغتنام الفرصة ، وبعث الى الباب العالي برسالة مير محمود(١٢٤) .

وقد وصل كتا بوالي بغداد وبطيه رسالة مير محمود الى العاصمة العثمانية في الوقت الذي كان فيه الصدر الأعظم داماد ابراهيم باشا يتعرض لضغط شديد من الرأي العام ، الذي كان يطالبه بالتصدي للغزو الروسي في بلاد فارس ، فأعلنت الدولة العثمانية انها مضطرة للتدخل في بلاد فارس لكي تمنع تقدما روسيا اكثر في تلك البلاد ، وبحجة انقاذها من الفوضى وشد أزر مير محمود في جهاده ضد الفرس(١٢٥) وكان ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا قد أقام بلاطه في تبريز وراح يجمع حوله الاتباع، وبدأ اتصالاته مع روسيا لتساعده على محاربة الأفغان وطردهم من البلاد(١٢٦) .

وقد استحصلت الحكومة العثمانية على فتوى من شيخ الاسلام مفتي القسطنطينية ، تدعو الى الجهاد لانقاذ البلاد الفارسية من الفوضى(١٢٧) . كما صدرت فتاوى من علماء الدين تدعو لمحاربة الفرس(١٢٨) . ويعلق المؤرخ عباس العزاوي على ذلك بأن الغرض من تلك الفتوى كان الاستيلاء على البلاد الفارسية ، فأتخذ الدين وسيلة لتهييج الرأي العام ، ولم يتخلف شيخ الاسلام

---

(١٢٤) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٨ ، محمد سعيد المدرس : كلشن معارف ، جـ٢ ، ص ١١٩٩

(١٢٥) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٦ ،

Ismail Hàmi: Isahli Osmanli Tarihi, 4, PP. 13-14.

وانظر : Crasey, E.: Op. Cit., P. 348.

(١٢٦) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. I, P. 286.

(١٢٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٧ .
وانظر نص الفتوى باللغة التركية في تاريخ جلبي زاده ، ص‌ص ١٦-١٧ ، السويدي : حديقة الزوراء ، جـ١ ، ص‌ص ٩٥ - ٩٦ .

(١٢٨) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٧

عن اصدار فتوى مثل هذه ، وهكذا كان يفعل الفرس في حروبهم مع العثمانيين ...[١٢٩]

وفي أوائل سنة ١٧٢٣ م (١١٣٥ هـ) أعلنت الدولة العثمانية الحرب على بلاد فارس[١٣٠] ، وصدر الأمر السلطاني بعدم التعرض للأقاليم التي هي تحت السيطرة الأفغانية[١٣١] . وقد تحرك الجيش العثماني من عدة جهات نحو غربي وشمال غربي بلاد فارس ، وتولى قيادة الجيش الذي يقوم بغزوها من الغرب والي بغداد حسن باشا ، بينما تولى والي أرضروم سلحدار ابراهيم باشا قيادة الجيش الذي يغزو الاقاليم الشمالية الغربية منها ، ومنح الواليان رتبة « سر عسكر »[١٣٢] أو « القائد العام » .

وقد استطاع الجيش العثماني الذي بدأ بشن هجومه ناحية الشمال الغربي من بلاد فارس ، أن يتقدم بسرعة عبر جورجيا ويحتل مدينة تفليس في العاشر من شهر تموز (٦ شوال ١١٣٥)[١٣٣] كما تمكن والي بغداد حسن باشا الذي كان يقود جيشا مؤلفا من انكشارية وسباهية[١٣٤] بغداد وقوات شهرزور والموصل وبيكات الاكراد والكثير من العشائر العراقية ، من التوغل في بلاد فارس واحتلال مدينة كرمنشاه دون مقاومة في ١٦ تشرين الاول (١٠ محرم ١١٣٦) ، بعد أن خرج اليه حاكمها عبدالباقي خان وسلمه مفاتيح المدينة[١٣٥] .

---

(١٢٩) تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٠٦ .

(١٣٠) اونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٢ .

(١٣١) تاريخ جلبي زاده ص ١٧ ، العزاوي : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٠٥ .

(١٣٢) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٧ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٨ و ٩ ، كلشن معارف ، ج٢ ، ص ١١٩٩

(١٣٣) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٦٨ وانظر :
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 96.

(١٣٤) كانت السباهية بمثابة الفرسان النظاميين في الجيش العثماني .

(١٣٥) تاريخ جلبي زاده ، ص ٢٠ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٩ و ١٠ ، اونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص‌ص ١٦٢ — ١٦٣ .

وبعث والي بغداد بقوات استطلاعية من جيشه الى لورستان وأطراف همدان، وبعد ذلك تقدم الجيش العثماني للاستيلاء على أقليم أردلان ، وكان حاكمه على قلي خان قد كاتب والي بغداد عن استعداده لقبول الحماية العثمانيـة ، الا أنه استبدل بحاكم آخر هو عباس قلي الذي قرر مقاومة العثمانيين . غير أنه سرعان ما استسلم مع أتباعه عند اقتراب الجيش العثماني من (سنة)[136] ، فسقطت أردلان وأصبحت من ممتلكات السلطان[137] .

وجردت حملة أخرى لقتال حاكم لورستان ، أمير عشائر اللور ، علي مردان خان الذي تعهد بتأييد طهماسب ميرزا ورفض الاذعان للعثمانيين ، فتمكن عبدالرحمن باشا والي شهرزور من الاستيلاء على منطقته (خـرم آباد) ودحره فأضطر الى الاستسلام[138] .

وفي نفس الوقت بدأت القوات العثمانية التي كان يقودها عبدالله باشـا الكوبريلي والي (وان) بتهديد مدينة تبريز مقر ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا الذي اضطر الى مغادرتها الى أردبيل[139] ، ومن هناك أسرع في ارسال مبعوث الى روسيا للتفاوض بشأن عقد معاهدة تحالف معها[140] . وبينما كان المبعوث الفارسي في طريقه اليها ، تمكن الروس من الاستيلاء على مدينة باكو التي استسلمت لهم في تموز (١٧٢٣) ، بعد أن عانت من ضربها بالقنابـل

(١٣٦) بلدة معروفة في ايران ، اهلوها كرد ، واليها تنسب الاسرة السنوية في بغـداد .

(١٣٧) سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقـة ١٢ وانظر : لونكريك المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(١٣٨) تاريخ جلبي زادة ، ص ٢٠ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٠٧ .

(١٣٩) منصوري‌زادة : نتائج‌الوقوعات ، جـ٣ ، ص٢٩ ،

Gilanentz: Op. Cit., P. 2.

واردبيل بلدة في شرق آذربيجان بالقرب من بحر قزوين .

(١٤٠) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٨٨ ،

Gurzon, G.: Op. Cit., Vol. I, P. 374.

من البحر[١٤١] . وبالرغم من ذلك واصل المبعوث رحلتــه الى موسكو وبدأ مفاوضاته فور وصوله اليها .

وفي الوقت نفسه قام طهماست بأرسال مبعوث الى القسطنطينية ، في محاولة لايقاف التقدم العثماني داخل البلاد الفارسية . وعند استقبال الصدر الأعظم داماد ابراهيم للمبعوث ، استعرض معه الموقف في بلاد فارس ،وحاول أن يبرر له التدخل العثماني بأنه طالما أن الافغان قد احتلوا العاصمة الصفوية أصفهان ، واستولى الروس على دربند وباكو ، فكان لابد للدولة العثمانية أن تبادر بأرسال قوات لاحتلال الأقاليم التي تطالب بها قبل أن تقع في أيــدي الاعداء ، وأنه اذا تنازل طهماسب عن هذه الأقاليم للدولة العثمانية ، فانهــا ستعترف به وريثا شرعيا لعرش بلاد فارس وتدعمه عسكريا . ولما كان المبعوث الفارسي غير مفوض للموافقة على ذلك ، فان بعثته انتهت دون أن تسفر عن أي اتفاق[١٤٢] ، الا انها كشفت عن تغير الموقف العثماني ازاء طهماسب . فبعد أن كانت الدولة العثمانية قد وصمته بأنه كافر وأعلنت الحرب عليه ، نجدهــا تعلن استعدادها لمساعدته فيما اذا تنازل لها عن الأقاليم التي تطالب بها .

ويبدو أن هذا التغير في الموقف العثماني يرجع الى أن الدولة العثمانيــة كانت تخشى من توصل طهماسب الى اتفاق مع روسيا يكون على حسابها ان لم تسارع الى التعامل معه بعد أن علمت بأن القيصر بطرس الاكبر كان على اتصال معه ، الا انها لم تعرف الشوط الذي قطعته المباحثات بينهما[١٤٣] .

---

(١٤١) Ibid; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233.

وانظر : قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(١٤٢) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٧٠

وانظر كذلك : تاريخ جلبي زاده ، ص ١٩

(١٤٣) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 99;

وفي الثالث والعشرين من كانون الاول ١٧٢٣ م ، ظهرت في الصحف التي وصلت من فيينا الى العاصمة العثمانية ، الترجمة الكاملة ، عن صحف سان بطرسبرج ، لنص معاهدة تحالف روسية فارسية عقدت في ٢٣ أيلول من نفس العام ، الأمر الذي أثار الدولة العثمانية التي كانت علاقتها مع روسيا تمر في هذه الفترة بأزمة خطيرة بسبب الاستيلاء الروسي على باكو ، فزادت المعاهدة من شدة خطورتها ، لاسيما أن العثمانيين لم يعلموا بهذه المعاهدة الا عن طريق الصحف(١٤٤) .

وقد تضمنت معاهدة أيلول الروسية الفارسية أربعة مواد رئيسية ، تعهدت روسيا بموجبها بان تساعد طهماسب على اقرار الأمن في بلاده وطرد الافغان منها ، ووضعه شاها على البلاد في مقابل أن يتنازل لروسيا عن دربند وباكو والمناطق المجاورة لهما ، وكذلك عن أاليم كيلان ومازندران واستراباد، ويأخذ على عاتقه تزويد الجيش الروسي الغازي بما يحتاجه من مواد تموينية ، وأخيرا تأمين الحرية التامة للتجارة بين روسيا وبلاد فارس(١٤٥) .

والجدير بالذكر أن الروس كانوا قد احتلوا دربند وباكو والجزء الاكبر من اقليم كيلان قبل عقد المعاهدة ، ولم تكن الاشارة اليها الا لمجرد التصديق على الأمر الواقع .

Shay, M.: Op. Cit., P. 108, 112.

(١٤٤) Shay, M.: Op. Cit., PP. 112 - 113.

(١٤٥) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. I, P. 374.

وانظر : قلفاط : تاريخ بطرس الكبير ، جـ١ ، ص ٢٨٥ ، مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٨٨ ، سعيد نفيسي : تاريخ اجتماعي وسياسي ايران ، جـ١ ، ص ٢٩٢ ، Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 233;

عبدالرحمن شرف : تاريخ دولت عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٢٧ .

وقد امكن تجنب وقوع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية بفضل الوساطة الفعالة التي قام بها الماركيز دي بوناك السفير الفرنسي لدى الباب العالي الذي ذكر للمسئولين العثمانيين بأن المعاهدة لا تحتوي على ما يضر بالدولة العثمانية ، اضافة الى خلو المعاهدة من أي أشارة الى جورجيا وروان أو الى أي من الأقاليم الفارسية التي سبق وأن احتلتها الدولة العثمانية أو في طريقها لاحتلالها[١٤٦] • وكانت سياسة فرنسا في ذلك الوقت منع الدولة العثمانية من توريط نفسها مع دولة ذات شأن مثل روسيا ، لأنها كانت تشعر بأن احتفاظ الدولة العثمانية بقوتها يمكن أن يكون مانعا فعالا ضد العدوان النمساوي في الغرب[١٤٧] •

غير أن شبح الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا لاح مرة أخرى عندما أوضح نيبلوييف السفير الروسي في القسطنطينية ، للحكومة العثمانية الغايات الروسية من وراء فتوحاتها في سواحل بحر قزوين ، حيث ذكر أن روسيا لا توافق على وجود أية قوة أخرى هناك وعلى الاخص القوة العثمانية ، وأن على الدولة العثمانية التوقف عن ارسال المزيد من القوات والتقدم داخل بلاد فارس ، وأن القيصر ـ وقد عقد معاهدة مع طهماسب ، باعتباره الشاه الشرعي لبلاد فارس ، بعد سجن أبيه الشاه سلطان حسين ـ يقترح على الباب العالي مشاركته في ادارة شؤون بلاد فارس ، وأنه يوافق على اعتبار حاجي داود ، أمير داغستان ، الذي وضع نفسه تحت الحماية العثمانية ، سيدا على شماخي ،

---

(١٤٦) عبدالرحمن شرف : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ؛
Shay, M.: Op. Cit., PP. 113 - 114.

(١٤٧) Lavallee, T.: Histoire de L'Empire Ottoman, PP. 365-366;
Miller, W.: The Ottoman Empire and its Successors, 1801 - 1927, P. 3.

على شرط تجريد تلك المدينة من التحصينات والحاميه العثمانية . غير أن العثمانيين لم يوافقوا على ذلك[148] ، وقد سبق لهم أن ذكروا للسفير الروسي أنه لا يمكنهم قبول طلب روسيا الاحتفاظ بفتوحاتها ، لأنه لا يمكن أن تمارس قوة أجنبية السلطة على أناس مسلمين ، كما لا يحق لروسيا أن تطلب منهم ايقاف عملياتهم العسكرية في بلاد فارس التي أصبحت بلدا لاحاكم له[149] ، وأصر العثمانيون على أن ما كان لهم من قبل سوف يكون لهم مرة ثانية ، واقترحوا أن يقوم الروس بالجلاء عن دربند وباكو كبداية ، ثم يتباحث الباب حول الاقاليم الباقية[150] .

وفي ١٣ كانون الثاني ١٧٢٤م (١١٣٦هـ) أعلن الصدر الاعظم داماد ابراهيم أنه لافائدة في المزيد من المباحثات مع نيبلوييف . وعقد المجلس العام[151] للدولة العثمانية في ١٥ كانون الثاني اجتماعا لتقرير الحرب أو السلام مع روسيا ، وبعد أن استمع المجتمعون الى خطابات من باشا بغداد ومن خان التتار وآخرين ، ذكروا فيها جميعا أن روسيا تخطط ضد الدولة العثمانية ، قرروا بالاجماع اعلان الحرب على روسيا ، وسألوا مفتي القسطنطينية أن يعطيهم « الفتوى الشرعية للحرب » فوافق على منحهم أياها[152] . فأصبح الموقف ميؤسا منه ، الا أن السفير الفرنسي في القسطنطينية الماركيزدي بوناك بذل كل مهارته الدبلوماسية للحيلولة دون وقوع الحرب[153] ، حتى استطاع أن ينقذ الموقف ،

---

(١٤٨) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 103 - 4; Shay, M.: Op. Cit., PP. 105 - 6, 112 - 3.

(١٤٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ٣٥ .

(١٥٠) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٨٣ .

(١٥١) كان المجلس العام للدولة يجتمع بأمر من السلطان عندما يتعرض أمن الدولة للخطر ، وهو يتألف من : الصدر الاعظم وشيخ الاسلام والوزراء وقواد الجيوش البرية والبحرية والصدور السابقين والقضاة والعلماء والأعيان ، ويعقد المجلس جلساته برئاسة السلطان .
انظر : احمد علي الصوفي : المماليك في العراق ، ص ٣٨ .

(١٥٢) Shay, M.: Op. Cit., P. 114.

(١٥٣) Lavallee, T.: Op. Cit., P. 366.

حيث ذكر للمسئولين العثمانيين أن مقترحات القيصر ، بالرغم من كونها شديدة، الا أنها لا تحمل أي تهديد بالحرب اذا رفضها العثمانيون ، كما أن التعليمات المعطاة الى نيبلوييف لم تكن واضحة بدرجة كافية ، وأنه من الضروري لـه الحصول على تعليمات جديدة ، بعد أن يتم شرح الموقف للقيصر بصـورة دقيقة[١٥٤] . كذلك عرض نيبلوييف بأنه سوف يقترح على القيصر حث طهماسب على طلب الصداقة العثمانية وتوقيع معاهدة تحالف معها شبيهة بتلك التي مع روسيا ، وقال بأن القيصر قد عقد هذه المعاهدة مع طهماسب لأجل اعطاء الشرعية لفتوحاته في بلاد فارس . وقد اقترح السفير الفرنسي أن يرسل أحد افراد حاشيته المقربين الى روسيا لهذا الغرض ليجلب معه وجهات نظر القيصر المعدلة . وقد وافق المسؤولون العثمانيون على هذا الاقتراح ، الا انهم ذكروا بأنهم سوف يستمرون في ترتيباتهم العسكرية[١٥٥] .

وقد غادر المبعوث الفرنسي القسطنيطينية ، متوجها الى موسكو ، حاملا معه مسودة معاهدة مقترحة ، ورسالة من دي بوناك الى كامبريدون سـفير فرنسا في روسيا ، يذكر فيها بأنه سوف يتخلى عن وساطته بين الدولتين ، ان لم يشرح القيصر موقفه بوضوح[١٥٦] .

وبعد عودة المبعوث الفرنسي من موسكو ، بدأت في القسطنطينيـة المباحثات العثمانية الروسية لاقتسا مبلاد فارس بين الدولتين بحضور السفير الفرنسي دي بوناك كوسيط . وقد عقدت ثلاثة اجتماعات مطولة خلال الفترة بين ٢١ ــ ٢٤ مايس ١٧٢٤م وكانت روسيا قد اقترحت :

---

(١٥٤) تاريخ جلبي زاده ، ص‌ص ٣٥ ــ ٣٦ .

(١٥٥) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٨٧
وانظر كذلك : Shay, M.: Op. Cit., PP. 114 - 115.

(١٥٦) كان القيصر قد التمس توسطا فرنسيا بينه وبين الدولة العثمانية .
انظـر : Lavallee, T.: Op. Cit., P. 366.

١ ـ على الامبراطورية العثمانية أن تتخلى عن كل حماية لها على داغستان ، بحيث تصبح (داغستان) حر ةمستقلة .

٢ ـ ان تكون دربند بحدودها القديمة تحت حماية القيصر .

٣ ـ ان تخضع كيلان ومازندران واستراباد للقيصر كما هو معلن في معاهدته مع طهماسب .

٤ ـ على الباب العالي عدم التدخل في معاهدته مع طهماسب[١٥٧] .

وقد كانت أهم مشكلة واجهت المجتمعين ، هي رسم خط التقسيم بين المناطق العثمانية والروسية ، وعلى وجه الخصوص في شيروان . والتعقيد هنا كان بسبب تخلي طهماسب عن قسم كبير من هذا الاقليم الى روسيا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان العثمانيين كانوا يعتبرون هذا الاقليم من ممتلكاتهم وعينوا حاجي داود حاكما عليه . وظهرت مشكلة أخرى عندما عرضت روسيا رغبتها في اعطاء مدينة تبريز الى طهماسب على أساس أنه لو لم تكن له هذه المدينة فسوف لن تكون هناك مدينة كبيرة في مملكته . وقد عارض العثمانيون هذا الاقتراح بشدة ، قائلين بأن طهماسب يمتلك أردبيل وقزوين ، وأن هاتين المدينتين تكفيانه[١٥٨] .

وللحيلولة دون وصول المباحثات الى طريق مسدود مرة أخرى ، تخلى نيبلوييف عن الاصرار على اعطاء تبريز الى طهماسب . وفي نفس الوقت تقرر رسم خط التقسيم في داغستنان وشيروان ، تاركين شماخي مركز اقليم شيروان ضمن المناطق العثمانية ، واعطاء روسيا ممرا ساحليا عريضا ومعقولا[١٥٩] ، كما سويت بعض التفاصيل الاخرى ، وبدأ وضع اللمسات الاخيرة للمعاهدة الروسية العثمانية التي استهدفت تقسيم بلاد فارس بينهما ،

(١٥٧) Shay, M.: Op. Cit., PP. 118 - 119.

(١٥٨) تاريخ جلبي زاده ، ص ص ٣٦ ـ ٣٨ .

(١٥٩) lavallee, T.: Op. Cit., P. 367.

وفي الرابع والعشرين من حزيران ١٧٢٤[١٦٠] (الثاني من شوال ١١٣٦ هـ) تم التوقيع على المعاهدة من قبل الصدر الاعظم داماد ابراهيم باشا والسفير الروسي نيبلوييف نيابة عن بلديهما • وفي الثاني من تموز وقع دي بوناك المعاهدة بصفته وسيطا ، وتم تبادل نسخ المعاهدة بين الدولتين[١٦١] •

المعاهدة الروسية العثمانية لتقسيم بلاد فارس :

ولقد تضمنت معاهدة التقسيم الروسية العثمانية مقدمة وستة مواد ، تم بموجبها تقسيم كل شمال ومعظم غرب بلاد فارس بينهما • وأشارت المقدمة الى الاضطرابات التي حدثت في بلاد فارس جراء احتلال العاصمة الصفوية أصفهان من قبل مير محمود الافغاني وقيامه بسجن الشاه سلطان حسين ، الأمر الذي اضطر الدولة العثمانية الى القيام بأرسال جيش لاحتلال بعض الاقاليم التي رأتها ضرورية ، وقيام القيصر (صديق الباب العالي الموقر) بأحتلال مدن دربند وباكو وغيرهما • وضمنت له معاهدة التحالف التي عقدها مع طهماسب في (٢٣ أيلول ١٧٢٣) ، الاحتفاظ بهذه المدن ، اضافة الى أقليم كيلان ومازندران واستراباد ، ورتب القيصر مع الباب العالي مسألة مساعدة طهماسب ، وانه سوف يستغل مركزه لضمان تنازل طهماسب عن الأقاليم التي تطلبها الدولة العثمانية لنفسها ، كما تمت تسمية الماركيزدي بوناك وسيطا من قبل كل من روسيا والدولة العثمانية •

ونصت المعاهدة على أن تحصل روسيا على الاقاليم الفارسية المجاورة لبحر قزوين ، وهي : استرآباد ومازندران وكيلان وجزء من شيروان وداغستان وبضمنها دربند وباكو • بينما تحصل الدولة العثمانية على الأقاليم

---

(١٦٠) يخطىء المؤرخ كريسي في تاريخ عقد المعاهدة حيث يجعله سنة ١٧٢٣ •
انظر : Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, P. 347.

(١٦١) Noradounghian, G.: Recueil d'Actes Internationauz de L'Empire Ottoman, Vol. 1, P. 233; Hammer, J.: Op, Cit., Vol. XIV, P. 169; Shay: Op. Cit., P. 119;

الغربية من بلاد فارس : جورجيا وآذربيجان وكردستان وهمدان وكرمنشاه .
أما طهماسب فقد تركت له الأقاليم الفارسية الباقية بشرط أن يعترف بالمعاهدة .

وقضت المعاهدة بأن لكل من الدولة العثمانية وروسيا الحق في اقامة تحصينات بالقرب من نقطة التقاء نهري كورا وآراس ، وهي النقطة التي تنتهي عندها الحدود الروسية العثمانية وتبدأ الحدود العثمانية الفارسية ، على أن تبعد مواقع هذه التحصينات ثلاثة فراسخ[١٦٢] عن خط الحدود ، وبحيث تقع مسئولية تنفيذ تثبيت الحدود على عاتق مسئولي الطرفين المتعاقدين ومسؤول آخر يعينه ملك فرنسا .

كما نصت المعاهدة على أن تصبح شماخي محل اقامة حاكم القسم التركي من شيروان ، على أن يتم تجريدها من التحصينات أو الحامية العثمانية ، ولكن يمكن ارسال القوات العثمانية اليها في حالة حدوث قلاقل واضطرابات فقط .

وجاء في المعاهدة أن القيصر يتعهد بمقتضى المعاهدة التي عقدها مع طهماسب ، باستخدام سلطته لاقناع الاخير بأن يتنازل للدولة العثمانية عن جميع الاقاليم التي اتفق عليها في المعاهدة الروسية العثمانية ، وفي حالة رفض طهماسب لهذه المعاهدة ، فان الدولة العثمانية وروسيا سوف تقومان بأجراءات مشتركة لاحتلال كافة الأقاليم التي تعود اليه ، وستأخذان الأقسام العائدة لهما بالقوة . وبعد أن يستتب السلام ، يوضع القسم المتبقى من بلاد فارس تحت حكم من يروه لائقا من الفرس وسوف يكون لهذا الشخص كامل السلطة والاستقلال . أما اذا تنازل طهماسب من خلال وساطة القيصر عن الاقاليم التي تقرر أن تحصل عليها الدولة العثمانية ، فان الدولة العثمانية ستعترف به شاها على بلاد فارس ، وتقدم له كافة المساعدات ، كما ستقوم روسيا بأرسال المساعدات الفعالة له تأكيدا للمعاهدة المعقودة بينهما ، وكذلك

---

(١٦٢) الفرسخ نحو اربعة اميال ونصف الميل .
تاريخ جلبي زاده ، ص ٣٩ .

تنفذ تعهداتها له لكي يستطيع – باعتباره الوريث الشرعي – انتزاع العاصمة أصفهان من غاصبها مير محمود ، كما اتفقتا على أن لا يعيرا أذنا صاغية لطلبات محمود ولا يعقدا أية ترتيبات معه .

وورد في خاتمة المعاهدة أنه لضمان بقاء الاقاليم الممنوحة لكل من الدولة العثمانية وروسيا بحوزتهما ، وكذلك لضمان اعادة تكوين بلاد فارس وتقويتها ، ينبغي عدم خرق هذه المعاهدة لأجل ضمان السلام الدائم(١٦٣) .

وهكذا أضفت المعاهدة الروسية العثمانية مظهرا زائفا من الشرعية لعمل روسيا والدولة العثمانية في تقطيع أوصال بلاد فارس المنهارة ، وحققت أطماعها بممارسة القوة المسلحة على بلد عاجز عن الدفاع عن نفسه ، وحقق القيصر بطرس الاكبر حلمه بالسيطرة على سواحل بحر قزوين ، وبالتالي منع الدولة العثمانية من الوصول الى هذا البحر . واعترفت الدولة العثمانية بما سبق أن تنازل عنه طهماسب لروسيا ، ولم يوضع قيد على مساعدة القيصر له . أما فرنسا فقد حققت غرضها في حفظ السلام بين الدولة العثمانية وروسيا ، لكي تستطيع الدولة العثمانية بالتالي أن تكبح جماح النمسا .

ويذكر المؤرخ كريسي أن المعاهدة كانت مجحفة بمصالح العثمانيين ، حيث امتدت سيطرة القيصر على طول بحر قزوين ، وقد كان الدبلوماسيون الروس اكثر دهاءا وحذقا من العثمانيين ، وسادوا عليهم فأذعنوا لقبول شروطهم(١٦٤) .

---

(١٦٣) راجع نص المعاهدة في : تاريخ جلبي زاده ، ص ص ٤٠ – ٤٢ ، وفي مجموعة الوثائق التي نشرها :

Hurewitz: Diplimacyin the Near and Middle East, Vol. 1, PP. 42 - 45.

وفي Noradounghian: Recueil d'Actes Internationaux de L'Empire Ottoman, Vol. I: PP. 233 - 238.

وانظر كذلك شاكر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ٣٨ .

(١٦٤) Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, P. 347.

الاستيلاء العثماني على غربي وشمال غربي بلاد فارس :

وفي الوقت الذي كانت فيه المباحثات الروسية العثمانية تجري في القسطنطينية لعقد معاهدة تقسيم بلاد فارس بينهما ، كانت القوات العثمانية بقيادة عبدالله باشا كوبريلي والي (وان) تواصل عملياتها العسكرية لاحتلال المزيد من المدن الفارسية . وقبل أن يتم عقد المعاهدة ، سقطت مدينة خوي في أيدي العثمانيين في ١٢ مايس ١٧٢٤ م (١١٣٦ هـ)[١٦٥] بعد مقاومة ضارية ، وحيث أن طهماسب لم يظهر ميلا للموافقة على الشروط التي تضمنتها المعاهدة الروسية العثمانية والخاصة بتقديم المساعدة له ، فقد واصلت القوات العثمانيين تقدمها[١٦٦] ، ووصل الى أسوار همدان في ٢٩ حزيران ١٧٢٤ (٧ شوال ١١٣٦ هـ) والي بغداد أحمد باشا على رأس جيش كبير لاحتلالها[١٦٧] ، بعد ان خلف والده حسن باشا في تولي باشوية بغداد ، وفي قيادة القوات العثمانية على هذه الجبهة[١٦٨] . وكان حسن باشا قد أحتل عددا من المدن الفارسية ومكث في كرمنشاه طوال شتاء ١٧٢٣ م وبدأ في استعداداته للتقدم لاحتلال همدان في ربيع سنة ١٧٢٤ م ، غير أن المنية وافته في أوئل تلك السنة[١٦٩] .

وقد فرض أحمد باشا حصارا شديدا على همدان ، بعد أن رفض أهلها الاستسلام[١٧٠] وكانت المدينة قد خزنت كثيرا من التجهيزات الحربية[١٧١] ،

---

(١٦٥) تاريخ جلبي زاده ، ص ٣١
وانظر :
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 102.

(١٦٦)
Lockhart, L.: Nadir Shah, P. 13.

(١٦٧) تاريخ جلبي زاده ، ص ٤٥ ؛
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 122 - 3.

(١٦٨) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٨ .

(١٦٩) السويدي : حديقة الزوراء ، ق١ ، ورقة ٦٦ ، ٧٦ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ١٣ و ١٤ ، ياسين العمري : غاية المرام ، مخطوط ، ورقة ١٩٨ ، مطبوع ، ص ٧٨ .

(١٧٠) السويدي : المصدر السابق ، ق١ ، ورقة ٧٦ ، سليمان فائق : المصدر

كما كانت تحصيناتها قوية ، ولم تتمكن المدفعية العثمانية من احداث ثلم وثقوب خطيرة في سورها[١٧٢] • وقد وصلت قوة لنجدتها بعث بها ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا تحت امرة أحد قواده ، الا أنها اندحرت وهربت[١٧٣]. وكان أهالي همدان قد أخبروه بالحصار وطلبوا منه الامداد[١٧٤] • وبعد أن أن استماتت همدان في المقاومة لمدة تزيد على الشهرين ، سقطت في أيـــدي العثمانيين في ٣١ آب ١٧٢٤ م (١١ ذو الحجـــة ١١٣٦ هـ)[١٧٥] ، حيث تمكنت المدفعية العثمانية مع الالغام التي انفجرت تحت سور المدينة من احداث ثلاث ثغرات كبيرة فيه ، اندفع خلالها الجند العثمانيون الى داخل المدينة في هجوم عنيف ، حيث جرى قتال في شوارعها دام ثلاثة أيام بلياليها أزهقت فيها آلاف الأرواح من الطرفين[١٧٦] ، وكان ذلك ايام عيد الاضحى ، فكانـــت ضحاياه النفوس التي أزهقت في هذه المجزرة البشرية[١٧٧] ، خضعت المدينة

السابق ، ورقة ٢١.

ويخطىء لونكريك حين يقول ان الحاكم الفارسي في همدان قد كتب الى اصفهان مستأذنا بالاستسلام ، لكنه لم يحصل على جواب . والمصادر التي يستند اليها في قوله هذا لم تذكر ذلك ، كما ان اصفهان كانـت خاضعة للسيطرة الافغانيـــة

لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٦٤

(١٧١) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٧٢) سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٢١ و ٢٢ . وكانت همدان محاطة بسورين متينين مدعمين بابراج على امتداديهما ، وكانت هناك قلعتان واحدة في الجانب الغربي للمدينة ، والاخرى في الشمال الغربي منها .

(١٧٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ٤٦ .

(١٧٤) سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٢١ .

(١٧٥) تخطىء شاي في تحديد مدة الحصار اذ تقول : بعد حصار دام خمسين يوما سقطت همدان في ايدي احمد باشا .

Shay, M.: The Ottoman Empire from 1720 to 1734, P. 120.

(١٧٦) تاريخ جلبي زادة، ص ٤٧، حروب الايرانين في العراق، ورقة ٢٢ و ٢٣ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٦٤ .

(١٧٧) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

بعدها للعثمانيين • وطلب الأهالي الأمان ، فأمر أحمد باشا بايقاف القتال ومنع الأسر والسماح لأي فارسي بمغادرة المدينة(١٧٨) •

وهكذا أصبح العثمانيون سادة أكثر المدن أهمية في غربي بلاد فارس، حيث كان الفرس يعلقون آمالا عليها لتحصيناتها القوية ولتعصب سكانها المذهبي(١٧٩) • ولذا استقبلت العاصمة العثمانية أنباء سقوط همدان بفرح عظيم(١٨٠) ، وأرسل السلطان الى احمد باشا كتابا يهنئه فيه بالانتصار ويثني على قيادتـــه(١٨١) •

وقد شنت قوة فارسية صغيرة بقيادة لطيف ميرزا(١٨٢) الصفوي هجوما على همدان ، الا انها دحرت بسهولة تاركة قائدها أسيرا بأيدي العثمانين ، كما تم القضاء نهائيا على جيوب المعارضة في المدينة(١٨٣) • وقد عين أحمد باشا ، قره مصطفى باشا ، والي شهرزور حاكما على همدان(١٨٤) ، وبعث بأرتال من الجيش لاحتلال ما جاورها من المدن الصغيرة فسقطت في أيديها : سنقور وكرند وبروجرد وتوسركان(١٨٥) • كما أرسل جيشا بقيـــادة والي مرعش

---

(١٧٨) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٩ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ ٥ ، ص ٢١٣ .

(١٧٩) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٢٤ .

(١٨٠) حيث اطلقت المدافع ، وخرج الناس الى الشوارع مبتهجين، وهنأ الوزراء الصدر الاعظم داماد ابراهيم باشا ، واهداه السلطان درعا ثمينا لجواهره الكثيرة ، كما ابلغ السفراء الاجانب بالنصر ، وقد امتدت الاحتفالات لمدة سبعة ايام . Shay, M.: Op. Cit., P. 120.

(١٨١) تاريخ جلبي زاده، ص ٤٧، اونكريك : المصدر السابق، هامش ص ١٦٤ .

(١٨٢) ابن احدى اخوات شاه سلطان حسين .

(١٨٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ٥٠ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٨٤) سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٢٠ ، تاريخ جلبي زاده ، ص ٦٢ .

(١٨٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٠ ، سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقـة ٢٥ .

ابراهيم باشا بابان ، لاخضاع دركزين ونهاوند ، وقد تم احتلالهما من دون مقاومة تذكر[١٨٦] .

وفي سنة ١٧٢٥ م (١١٣٧ هـ) وجه احمد باشا قوة لاحتلال لورستان ، بالرغم من عدم أحقية الدولة العثمانية في امتلاك أي جزء منها بموجب معاهدة التقسيم الروسية العثمانية ، وقد سقطت لورستان دون اراقة دماء ، حيث اضطر القائد الفارسي فيها علي مردان خان الى الاستسلام[١٨٧] ، كذلك أعاد العثمانيون احتلال مدينة بروجرد ، بسبب اندلاع الثورة فيها ضدهم . وتوغل رتل من الجيش العثماني كان يقوده والي الموصل ، جنوبا في بلاد (البختياريين)[١٨٨] القاطنين على حدود مدينة أصفهان . وعند وصوله على بعد مسيرة عدة ايام من اصفهان ، اشتبك مع الحامية الافغانية هناك ، ثم أضطر الى الانسحاب والعودة الى همدان ، بعد أن علم بأن اللريين قد تمردوا في مؤخرة جيشه وعبروا الحدود العراقية للالتحاق بالعصاة العرب من عشائر بني لام وزبيد[١٨٩] ، كما أضطر احمد باشا والي بغداد بسبب اضطراب الأوضاع في العراق الى أن يترك الجبهة الفارسية ويعود الى بغداد ، حيث اغتنمت بعض العشائر فرصة انشغاله بالحروب الفارسية فأعلنت ثورتها ، وعمت الفوضى أرجاء البلاد ، وقد استطاع احمد باشا انزال ضربات شديدة بالعشائر المتمردة[١٩٠] .

---

(١٨٦) تاريخ جلبي زاده ، ص ٥٦ ، سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٢٧ ، ٢٨ .

(١٨٧) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١٠٣ .

(١٨٨) من العشائر الفارسية ، وهم قسم هام من جنس اللور ومركزهم الرئيسي في الجبال بين شوشتر واصفهان ، ولكنهم يوجدون ايضا في مناطق ديزفول وشوشتر رامز في عربستان الشمالية وفي سهل العقيلي ، وان عشيرة البختياري تكون مجموعتين معروفتين باسم « هفت لنك » و « جهارلنك » .
لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، جـ١ ، ص‌ص ٣٦٤ ــ ٣٦٥ .

(١٨٩) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٥ .

(١٩٠) السويدي : حديقة الزوراء ، ق١ ، ورقة ٨١ ، ٨٣ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٠ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٣٥ و ٣٦ .

وفي الوقت الذي أفلحت فيه الدولة العثمانية في احتلال كافة الاقاليم في غربي بلاد فارس التي منحتها لها معاهدة ١٧٢٤ م (١١٣٦ هـ) ، وذهبت بعيدا الى ما وراء حدودها المصطنعة ، كانت قواتها التي تقوم بالعمليات العسكرية في الشمال الغربي من بلاد فارس ، تواجه مقاومة عنيفة في احتلال الاقاليم هناك . فقد تكبد الجيش العثماني الذي كان يقوده عارف أحمد باشا والي الرقة ، خسائر فادحة عند محاولته احتلال مدينة روان ، حيث قاومته المدينة بضراوة بالرغم من القصف المدفعي الشديد لتحصيناتها القوية ، والهجمات العنيفة المتتالية عليها ، والتي سقط فيها آلاف القتلى من العثمانيين . وكانت الخسائر أعظم في الجانب الفارسي . ولم تسقط المدينة الا بعد أن استنفدت معظم الذخائر والمؤن ، وبدا أن المقاومة أصبحت غير مجدية بعد وصول المزيد من التعزيزات والامدادات للجيش العثماني ، حيث كانت أوامر السلطان تقضي بالاستيلاء على روان بأي ثمن ، فأستسلمت للعثمانيين في ٢٨ أيلول ١٧٢٤م (٩ محرم ١١٣٧ هـ) بعد ثلاثة أشهر من المقاومة(١٩١) ، وقد سمح لما تبقى من أفراد الحامية بالخروج من المدينة بكل مظاهر شرف الحرب(١٩٢) .

وكان احتلال روان نصرا كبيرا للعثمانيين بالرغم من فداحة الثمن ، حيث سقط عشرون الف قتيل من رجالهم في أربع هجمات عنيفة على المدينة(١٩٣) ، وأحدثت أنباء الانتصار حماسا كبيرا في القسطنطينية(١٩٤) .

---

(١٩١) تاريخ جلبي زاده ، ص‌ص ٥٠ ــ ٥٦ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 127-128.
وانظـر :
Shay, M.: Op. Cit., P. 120; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 238.

(١٩٢)
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 238.

(١٩٣) ابراهيم افندي : مصباح الساري ونزهة القاري ، جـ١ ، ص ٢١٥ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 238.

(١٩٤) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٢٨ .

وقبل سقوط روان ، كان جيش عثماني آخر بقيادة عبدالله باشا كوپريلي والي « وان » ، والذي أوكل اليه أمر احتلال تبريز وأذربيجان[195] ، قد تمكن من احتلال نخجوان وأردوباد[196] ، وتقدم لاخضاع المعاقل الرئيسية في ضواحي مدينة تبريز ، فاستطاع احتلالها بعد دحر العديد من المحاولات الفارسية لعرقلة تقدمه ، غير أنه رد على اعقابه عندما شن هجوما عنيفا على تبريز في خريف سنة ١٧٢٤ م (١١٣٧ هـ) حيث تعرض الى هجوم معاكس ، كان من العنف بحيث سقط من قواته حوالي أربعة آلاف قتيل[197] . وبالرغم من ذلك ، فان الفرس فشلوا في فك الحصار عنهم . غير أن عبدالله كوبريلي لم تكن لديه القوة الكافية للقيام بهجوم ثان ، فأصدر أوامره بالانسحاب[198] .

وفي ربيع ١٧٢٥ ، تقدم كوبريلي مرة أخرى على رأس سبعين الف رجل لاحتلال تبريز[199] . بعد وصول التعزيزات اليه ، حيث كان قد كتب الى الباب العالي أنه ينقصه عدد كاف من الجنود لمهاجمة تبريز[200] ، وقبل أن يشن هجومه الثاني عليها ، أعاد احتلال المعاقل الرئيسية القريبة منها (مرند وزنوز) ، وقام بتأمين خطوط مواصلاته التموينية ، وذلك باحتلال قلعة ديزه الواقعة على مشارف مدينة زنوز ، والتي كانت تشكل خطرا كبيرا على العثمانيين طالما كانت بأيدي الفرس لوقوعها بالقرب من خطوط مواصلاتهم العسكرية[201] .

---

(١٩٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٨ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٨ .

(١٩٦) تاريخ جلبي زاده ، ص ٥٠ ، Shay, M.: Op. Cit., P. 120.

(١٩٧) نفس المصدر ، ص ٦٥ ، Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 130-131.

(١٩٨) تاريخ جلبي زاده ، ص ٦٥

(١٩٩) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 238.

(٢٠٠) Shay, M.: Op. Cit., P. 122.

(٢٠١) تاريخ جلبي زاده ، ص ٦٥ ، Hammer: Op. Cit., Vol. XIV, P. 132.

وفي ٢٨ تموز ١٧٢٥ (١٧ ذو القعدة ١١٣٧) شنت القوات العثمانية هجوما عنيفا على تبريز ، استطاعت فيه التغلغل في خطوط الفرس الدفاعية ، والاندفاع الى داخل المدينة، رغم المقاومة العنيفة التي جوبهت بها، وقد دار قتال في شوارعها دام أربعة ايام تكبد فيه كلا الطرفين خسائر فادحة(٢٠٢) . وتوقف القتال بعد أن أصدر عبدالله كوبريلي بلاغا يعد فيه بالسماح لأفراد الحامية الفارسية بالانسحاب من المدينة ومعهم عوائلهم وممتلكاتهم(٢٠٣) .

وبسقوط تبريز عاصمة الاقليم الفارسي آذربيجان في الاول من آب ١٧٢٥ م ، والتي تعتبر المعقل الرئيسي للفرس ، لم تبق صعوبات كبيرة امام العثمانيين لاحتلال ما تبقى من مدن الاقليم ، فسقطت في أيديهم أواخر آب مدينة كنجة بعد حصار دام يومين(٢٠٤) ، والتي سبق أن قاومت في سنة ١٧٢٣ م (١١٣٥ هـ) الجيش العثماني الذي كان بقيادة سلحدار ابراهيم باشا والي ارضروم(٢٠٥) .

ولم يمض وقت طويل حتى وصلت القوات العثمانية الى خط الحدود الذي نصت عليه معاهدة التقسيم الروسية العثمانية ، حيث تم لها في اواخر صيف ١٧٢٥ م احتلال كل جورجيا وارمينية وآذربيجان وشيروان ما عدا قسمين صغيرين من الأقليمين الأخيرين اللذين كانا في حوزة الروس . ولم

---

(٢٠٢) تاريخ جلبي زاده ، ص ٧٠ ،
يذكر سايكس ان الفرس فقدوا خلال مقاومتهم للعثمانيين ثلاثين الف رجل وفقد العثمانيون عشرين الفا.
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 238.

(٢٠٣) Ibid.
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ص ١٨٩ — ١٩٠ ،
وقد كافأ السلطان احمد الثالث ، عبدالله كوبريلي على انتصاره هذا بان اهدى اليه ثوبا فاخرا من فروة السمور.
Shay, M.: Op. Cit., P. 122.

(٢٠٤) Ibid.
تاريخ جلبي زاده ، ص ٧١ ،

(٢٠٥) على اثر اخفاق سلحدار ابراهيم باشا ، الذي انيطت اليه مهمة احتلال (كنجه وروان) ، صدر امر من القيادة العثمانية باعفائه من منصبه كقائد للحملة هناك وتعيين عارف احمد باشا والي الرقة بدلا منه .
تاريخ جلبي زاده ، ص ١٧ و ١٩ .

تكتف القوات العثمانية بذلك ، بل عبرت خط الحدود الى المنطقة التي كانت قد تركت لطهماسب ميرزا ، واحتلت مدينة أردبيل[٢٠٦] ، التي كان طهماسب قد هرب اليها ، حينما كانت مدينة تبريز التي أقام بلاطه فيها مهددة بالسقوط في ايدي العثمانيين ، ولكن الزحف العثماني على هذه المدينة ارغمه على مواصلة الفرار الى قزوين ثم الى طهران[٢٠٧] .

وقد اثار توغل القوات العثمانية وراء الحدود التي فرضتها معاهدة ١٧٢٤ م ، واحتلالها لاردبيل ، احتجاج روسيا بالرغم من عدم قيام العثمانيين بالاعتداء على حصتها في بلاد فارس واعلن الروس ان الاحتلال العثماني لمدينة أردبيل يعد نقضا للمعاهدة[٢٠٨] .

ويبدو أن هذا الاحتجاج لم يكن للدفاع عن طهماسب ، ولكن بسبب التهديد الذي يشكله وجود الحامية العثمانية في أردبيل لسلامة وأمن مقاطعاتها المتاخمة ، غير ان العثمانيين برروا عملهم بان ذكروا انهم قد احتلوا اردبيل بصورة مؤقتة لكي يمنعوا سقوطها في ايدي الأفغان[٢٠٩] .

وفي الواقع لم تذهب الدولة العثمانية بعيدا الى ما وراء حدودها المصطنعة ، الا عندما وجدت أن روسيا قد أصبحت اقل اهتماما ببلاد فارس ، وذلك بعد وفاة بطرس الاكبر في الثامن من شباط ١٧٢٥ م[٢١٠] ، بل أخذت تماطل في رسم وتثبيت خط الحدود بينها وبين روسيا في داغستان وشيروان ،

---

(٢٠٦) Gilanentz: Op. Cit., P. 2; Shay: Op. Cit., P. 123.

(٢٠٧) Lockhart, L.: Nadir Shah, P. 13.

(٢٠٨) Shay : Op. Cit., P. 123.

(٢٠٩) Ibid.

(٢١٠) Shay, M.: Op. Cit., PP. 120-121.

يذكر لوكهارت انه كان لموت بطرس الاكبر تأثير كبير على السياسة الروسية فيما يخص بلاد فارس ، حيث فقدت حركة التوسع الروسية اندفاعها بعد موته .

Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 351.

والذي كـان قد اتفق عليـه في معاهـدة التقسيم[٢١١] ، حتى بـدت المعاهدة وكأن روح الحياة قد خمدت فيها[٢١٢] •

ويبدو أن السبب الرئيسي للتقاعس العثماني يرجع الى نجاحهم العسكري في بلاد فارس ، مما جعلهم يشعرون بأن الحدود التي فرضتها معاهدة التقسيم أصبحت بحاجة الى اعادة نظر لصالحهم • وكان قد وصل القسطنطينيـة في أوائل سنة ١٧٢٥ م ، مبعوث بطرس الخاص ، الميجور جنرال الكسـندر ايفانوفيتش رومياتسيف Aleksander Ivanovich Rumynatsev حاملا معه تصديق القيصر على المعاهدة ، ومكلفا بالقيام بدور الممثل الروسي في اللجنة التي كان عليها تثبيت الحدود • وحينما وصلت أنباء وفاة بطرس ، أصبح العثمانيون أقل ميلا للمباشرة ، بل أخذوا يفكرون في رفض معاهـدة التقسيم[٢١٣] •

نشوب الحرب بين الدولة العثمانية والافغان :

وبينما كانت روسيا والدولة العثمانية تقومان بقطع أوصال بلاد فارس في الشمال والغرب ، كان مير محمود الافغاني يواصل فتوحاته في الجنوب ، وذلك بمساعدة بعض رجال القبائل الكردية الذين جندهم[٢١٤] ، والذين كانوا مستعدين للخدمة تحت لوائه باعتباره على نفس مذهبهم[٢١٥] ، وقد خضعت له مدينة شيراز بعد أن أستماتت في المقاومة ، كما استولى على عدة مـدن أخرى •

---

(٢١١) Ibid.

(٢١٢) Shay, M.: Op. Cit., P. 122.

(٢١٣) Ibid, PP. 120-122; Lockhart, L.: Op. Cit., P. 351.

(٢١٤) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص‌ص ١٨٥ ــ ١٨٦ ، Fraser, J.: Op. Cit., P. 185.

(٢١٥) Sykes, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 235.

غير أن اخفاق مير محمود في الاستيلاء على بعض الانحاء المجاورة لعربستان ، واخفاق هجماته على مدينة يزد[٢١٦] ، وتهديدات الغزو الأجنبي ، جعلت حالة محمود العقلية غاية في الاضطراب[٢١٧] ، وأصبح نزاعا الى الشك والارتياب حتى في الذين يحيطون به ، بعد أن انتشر التذمر بين قادة جيشه على اثر قيامه بسجن ابن عمه أشرف خان[٢١٨] الذي كان قائدا عسكريا فذا وأحد أصحاب النفوذ الكبير بين قومه ، وذلك خوفا من أن تؤدي شعبيته الى اغرائه بالثورة عليه[٢١٩] .

وفي السابع من شباط ١٧٢٥ (١١٣٧ هـ) قام بمذبحة في أصفهان ، على اثر سماعه بأن أحد أولاد الشاه السابق سلطان حسين ، قد هرب من الأسر وأخذ يجمع حوله الأتباع لمهاجمة أصفهان ، فأشتد خوفه الى درجة الجنون ولجأ الى الأرهاب حيث أمر بقتل جميع أفراد الأسرة الصفوية المالكة[٢٢٠] ، الذين كانوا تحت سلطانه والبالغ عددهم تسعة وثلاثين أميرا[٢٢١] ، ولم يستثن من ذلك سوى الشاه السابق واثنين من الامراء صغيري السن[٢٢٢] .

وقد كانت هذه المذبحة التي يقال انها بدأت بضربة من سيفه[٢٢٣] ، آخر عمل يقوم به مير محمود ، حيث قرر قادة الافغان عزله واسناد العرش الى ابن عمه

---

(٢١٦) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٢١٧) Fraser, J.: Op. Cit., P. 185.

(٢١٨) وهو ابن مير عبدالله الذي قتله مير محمود سنة ١٧١٧م واستولى على الحكم في قندهار .

(٢١٩) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٢٩ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٨ .

(٢٢٠) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٨٧ ؛ Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 141.

(٢٢١) Fraser, J.: Op. Cit., P. 185; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 236.

(٢٢٢) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٢٣) Fraser, J.: Op. Cit., P. 185.

أشرف خان ، بعد أن أخذ الاختلاف العقلي يظهر عليه بوضوح[٢٢٤] ، وقد عزل نفسه في القصر الملكي لا سبيل لاحد اليه[٢٢٥] ، وبعد أن عزم طهماسب ميرزا على مهاجمتهم[٢٢٦] • وفي ٢٢ نيسان ١٧٢٥م (١٥ رجب ١١٣٧ هـ) أعلن مير أشرف نفسه شاها بعد أن قتل مير محمود[٢٢٧] •

وقد عزم أشرف ، عقب توليه العرش ، على المطالبة بكافة الأقاليم الفارسية التي استولى عليها العثمانيون والروس والوصول الى تسوية معهم ، سواء بالوسائل السلمية أو بالحرب • فطلب من بعض علماء الدين الافغان فتوى بخصوص ذلك ، فأفتوا بلزوم ترك الأراضي والبلاد التي احتلها العثمانيون الى عهدة الافغان بادعاء أن تلك البلاد حريم ملكهم ومتمماته[٢٢٨] •

واعتمادا على ذلك ، طالب أشرف في رسالة بعثها الى السلطان العثماني بكافة الأقاليم التي احتلها العثمانيون في بلاد فارس ، واحتج فيها على تحالفه مع روسيا لاقتسام دولة اسلامية بينهما ، وطالبه بسحب جيوشه من بلاد فارس ، والا فان العواقب ستكون وخيمة[٢٢٩] • كما بعث اعتماد الدولة[٢٣٠] الافغاني زلاخان ، رسالة بنفس المعنى الى الصدر الاعظم داماد ابراهيم ،

---

(٢٢٤) تاريخ جلبي زاده، ص٧٣ ،سليمان فائق :حروبالايرانيين ،ورقة٢٩،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 236.

(٢٢٥) Shay, M.: Op. Cit., P. 121.

(٢٢٦) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 236.

(٢٢٧) تاريخ جلبي زاده ، ص ٧٣ ، سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٢٩ ، رضا بازوكي : تاريخ ايران ازمغول تاافشارية ، ص ٣٧٤ ، شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، Shay : Op. Cit., P. 122.
وتذكر هذه المصادر ان من أول اعمال اشرف بعد توليه العرش انه قتل كبار مؤيدي مير محمود .

(٢٢٨) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٤٨ ، ٤٩ .

(٢٢٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٧ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٩ .

بالاضافة الى محضر موقع من قبل تسعة عشر فقيها افغانيا موجه الى مفتى القسطنطينية ، يؤيدون فيه جواز تعدد الأئمة ــ أي جواز أن يكون في الاسلام أكثر من خليفة واحد ــ وذلك لكي يكون لأشرف خان حق في حكم بلاد فارس ، ومدعين نسبا قرشيا ، حيث جاء في المحضر قولهم انهم من سلالة خالد ابن الوليد ، ولهذا فهم أحق بالخلافة من آل عثمان الأتراك وأولى بها ، فالائمة من قريش[٢٣١] .

وقد حمل هذه الرسائل والمحضر الى القسطنطينية مبعوث اسمه عبد العزيز سلطان[٢٣٢] ، غادر أصفهان في الثاني من حزيران ١٧٢٥ (٢١ رمضان ١١٣٧ هـ) ، وعند وصوله اسكودار ، رفضت السلطات العثمانية السماح له بدخول العاصمة وطلبت منه الانتظار[٢٣٣] ، وقامت على الفور باتصالات عاجلة مع السفير الروسي نيبلوييف Nepluyev والسفير الفرنسي الفايكومت دي اندريزل D'Andrezel ، حيث استدعاهما الصدر الأعظم داماد ابراهيم الى مقابلته ، وأخبرهما بوصول المبعوث الأفغاني ، وبأن حكومته سوف تستقبله كحامل رسائل من حاكم يحمل نفس المذهب الديني للعثمانيين[٢٣٤] . غير ان السفير الروسي عارض ذلك وطلب عدم التحادث معه ، وكانت حجته هي ان

---

(٢٣٠) اعتماد الدولة : لقب منح لأول وزير فارسي في عهد الصفويين ، ويلقب ايضا « وزير أعظم » . وكان لاعتماد الدولة سلطان عظيم باعتباره أكبر رئيس اداري في الدولة ، ولم يكن للأمر الشاهاني صفة الا اذا كان ممهورا بخاتم « اعتماد الدولة » . دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٣ ، مادة « اعتماد الدولة » .

(٢٣١) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٧ . وانظر العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، صص ٢١٧ ــ ٢١٨ ، الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، جـ١ ، ص ١٠٧ .

(٢٣٢) كان سائسا البغال ثم تدرج في الوظيفة الى ان اصبح آمرا لحامية مدينة جلفا الارمنية .
Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 11, P. 185.

(٢٣٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٧ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 143.

(٢٣٤) Lockhart, L.: The Fall of the safavi Dynasty, P. 353.

سفراء زعيم المتمردين ليس لهم الحق في تقديم اقتراحات للباب العالي ، وأن الاستماع اليه يتعارض مع المعاهدة التي عقدت بين روسيا والدولة العثمانية . وكان رد الصدر الأعظم هو أنه طبقا لقوانين الدولة العثمانية لا يمكنه تجنب سماع صوت المسلمين الذين لهم مسألة مع سيدهم السلطان العثماني(٢٣٥) ، وأكد بأن الحكومة العثمانية عند سماعها لما سيقوله المبعوث سوف لن تتصرف بسالا يتلائم مع معاهدة ١٧٢٤ م(٢٣٦) .

وقد أثار فحوى الرسائل واللهجة المتغطرسة التي كتبت بها ، ومحضر العلماء الافغان الذي يطعن في صحة الخلافة العثمانية ، استياء المسؤولين العثمانيين عند استلامهم لها من قبل المبعوث الافغاني الذي سمح له بدخول العاصمة في ٢٥ كانون الثاني (٢١ جمادي الاول ١١٣٨) ، وحظي بمقابلة الصدر الأعظم(٢٣٧) . وجرت مناقشات حادة مع المبعوث الافغاني الذي شدد على الدين ولام العثمانيين على تحالفهم مع روسيا لخلع حاكم هو أحق بحكم بلاد فارس من طهماسب ميرزا الصفوي الذي كانت الدولة العثمانية قد وصمته في أول الأمر بأنه كافر وأعلنت الحرب عليه ، وأنه كان يجب عليها اكمال قهر الصفويين بدلا من الحرب بين المسلمين أنفسهم ، وطالب الاعتراف بأشرف خان كحاكم لبلاد فارس ، وأكد حقه في فرض سلطته على كافة الاقاليم التي احتلتها كل من الدولة العثمانية وروسيا(٢٣٨) .

---

(٢٣٥) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 189-190.

(٢٣٦) Shay, M.: Op. Cit., P. 123.

وانظر : Lockhart, L.: The Fall of the safavi, P. 353.

(٢٣٧) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٨ ، Harmmer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 143.

(٢٣٨) نفس المصدر

Ismail Hakki, uzuncarsili: Osmanli Tarihi, Cilt 4, Kisim, I, P. 183.

وانظر : Shay, M.: Op. Cit., P. 123.

وقد عقد المسؤولون العثمانيون سلسلة من الاجتماعات لتقرير ما سيفعلونه ، وطبيعة الرد الذي يجب ارساله الى أشرف[٢٣٩] ، فان الحجة الافغانية قوية ، كما كان الرأي العام في القسطنطينية مجمعا على التأييد ، وكان قلقهم مبررا حيث استلموا في هذا الوقت رسالة من أحمد باشا والي بغداد يعرض فيها عليهم أمر دعاية خطرة من هذا النمط بدأت تبث في جيشه[٢٤٠] ، حيث ذكر بأن علماء أشرف ينشطون ببث الشكوك بين الجنود العثمانيين الذين بدأوا يتساءلون عما اذا كان من الشرع محاربة الافغان الاشقاء[٢٤١] .

واخيرا أحال الباب العالي مطلب أشرف خان وفتوى علماء الدين الافغان الى دار الافتاء ، وطلب اصدار فتوى حول ما اذا كان ممكنا للمسلمين اتباع امامين في آن واحد ، والامر الشرعي الواجب اتباعه ازاء شخص تجرأ على طلب السيطرة على الاقاليم التي انقذتها الدولة العثمانية من نير الفرس ، ومنح نفسه سلطات وعظمة الامام[٢٤٢] .

وقد اجتمع الشيخ عبدالله مفتي القسطنطينية وعلماء دار الأفتاء ، وكتبوا محضرا ردا على علماء الافغان فندوا فيه فتواهم ، واستند شيخ الاسلام مفتي القسطنطينية الى الحديث الشريف القائل : « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » ، وأصدر فتوى مؤداها أنه لا يصح اجتماع امامين الا اذا فصل بين مملكتيهما حاجز طبيعي عظيم ، والا فيعد الثاني باغيا وقتاله واجب ، وبخصوص الشخص المشار اليه فانه اذا ما استمر على عدم طاعته للسلطان العثماني ولم يترك مطلبه ، فانه يعد متمردا ويجب أخضاعه[٢٤٣] .

---

(٢٣٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٨ .
(٢٤٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٤ .
(٢٤١) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 146.
(٢٤٢) تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٩ وانظر : سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٤٩ .
(٢٤٣) نص الفتوى في تاريخ جلبي زاده ، ص ٨٩ .

وبعد أن وصم أشرف بأنه باغ ومتمرد ، أعلنت الدولة العثمانية الحرب رسميا عليه(٢٤٤) ، وصدرت الأوامر الى أحمد باشا والي بغداد بالتحرك لمهاجمته(٢٤٥) . أما المبعوث الافغاني فقد أمر بترك القسطنطينية في الحال ، فغادرها وهو مستاء في ١٢ آذار ١٧٢٦ (٨ رجب ١١٣٨ هـ) عائدا الى أصفهان(٢٤٦) .

وعندما وردت الى أشرف خان أنباء الفتاوى في العاصمة العثمانية ، وأعلان الحرب عليه ، بدأ في تحصين دفاع عاصمته أصفهان ، حيث كانت فكرته المبدئية البقاء في موقع الدفاع ، فأقام سورا داخلها لحماية مركزها(٢٤٧) . أما الدولة العثمانية ، فقد أرسلت امدادات كبيرة الى بلاد فارس ، لدعم قواتها هناك . وأصدرت الأوامر لاحتلال مدينة قزوين ، التي كانت في حوزة الافغان(٢٤٨) . وفي أواخر خريف ١٧٢٦ م (١١٣٩ هـ) استلم أشرف معلومات تفيد بأن جيشا عثمانيا كبيرا بقيادة أحمد باشا قد تحرك من همدان متقدما باتجاه اصفهان عن طريق خرم آباد(٢٤٩) ، وعندئذ أمر أشرف بتدمير جميع القرى المحيطة بها ، حتى يصعب على العثمانيين الوصول اليها ومهاجمتها(٢٥٠) ، ورأى أن من الافضل التصدي للجيش القادم قبل اقترابه

---

(٢٤٤) يذكر كروسنسكي انه لم تمكن هناك حتى ذلك الوقت حرب علانية بين العثمانيين والافغان . Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. 11, P. 190.

(٢٤٥) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٠٨ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٤٩ .

(٢٤٦) Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 190; Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 147; Shay, M.: Op. Cit., P. 124.

(٢٤٧) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ .

(٢٤٨) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٣٦ ص ١١٧ .
يذكر كروسنسكي ان القوات العثمانية شنت هجوما على قزوين واستطاعت الاستيلاء عليها .Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 190

(٢٤٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٠٩ .

(٢٥٠) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ ، Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 190.

من أصفهان ، فسار بقواته لملاقاته وقتاله ، وكان تعداد الجيش العثماني سبعين الف مقاتل(٢٥١) ، بينهم عدد كبير من الاكراد ، ومجهزا بسبعين مدفعا(٢٥٢) ، في حين كان جيش أشرف يعد بحوالي سبعة عشر ألف مقاتل(٢٥٣) ، ذخائرهم غير كافية ومدفعيتهم قليلة ، على انهم وكما سنرى كانوا متفوقين بذخيرة الدبلوماسية فقط(٢٥٤) .

وحينما أصبح العثمانيون على بعد ثمانين ميلا من همدان ، أخبرهم كشافوهم بأنهم قد شاهدوا الافغان وهم يتقدمون باتجاههم وأنهم اصبحوا على بعد اثنى عشر ميلا منهم ، فأرسل أحمد باشا قوة استطلاعية لمعرفة قوتهم ، غير ان اشرف خان علم بها ، فطوقت بالحصار وقطعت عن الجيش الرئيسي قبل ان يخف لاسعافها (٢٥٥) فأبيدت عن اخرها بعد ان ابلت بلاء حسنا (٢٥٦) وقد ذهل أحمد باشا وهاج غضبه لهول الصدمة ، الا أن الأسوأ من ذلك كان بانتظاره ، حيث أرسل أشرف من يوزع بين صفوف الجيش العثماني ، منشوراته التي تتضمن استنكار الحرب بين المسلمين(٢٥٧) . وبعث بأربعة من علماء الدين الافغان الى المعسكر العثماني ليقابلوا أحمد باشا ويسألوه لماذا الحرب بين المسلمين ، وعند مقابلتهم له ، خاطبه اكبرهم سنا قائلا بأن مليكه قد أرسله

---

(٢٥١) اما لونكريك فيذكر ان عدد افراد الجيش العثماني الذي تحرك لقتال اشرف خان لا يقل عن مائة الف رجل (لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٥) ، في حين يذكر سايكس ان عدد افراد الجيش كان ستين الف رجل
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 240.
Ibid.

(٢٥٢) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٠٩ ، شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٣
(٢٥٣) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 152.
(٢٥٤) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
(٢٥٦) نفس المصدر ، ص ص ١٦٥ — ١٦٦ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 152-3.

(٢٥٧) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ . وتجدر الاشارة انه في الوقت نفسه تمكن الافغان من احتلال مدينة قزوين مرة اخرى على اثر ثورة نشبت فيها ضد الحامية العثمانية .
Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 191.

ورفاقه لحث العثمانيين على الامتناع عن قتال أخوانهم المسلمين ، والاتحاد بدلا من ذلك في الحرب المقدسة ضد الأعداء ، وأضاف العالم الافغاني قائلا : بأن أشرف مندهش من سلوك العثمانيين لتحالفهم مع روسيا لاجل القضاء على ملكه الذي هو أحق به من غيره ، علما بأنه بالاضافة الى كونه يعتنق نفس مذهب العثمانيين ، ينحدر من صلب رسول الله محمد (ص) ، وختم قوله بأن أشرف في حل من دم العثمانيين ان أصر احمد باشا على مهاجمته وقتاله . وقد أجابه أحمد باشا بأنه جاء ليحاربهم بأمر مولاه سلطان المسلمين الذي يجب على أشرف أن يخضع له(٢٥٩) ، وبينما كان أحمد باشا مستمرا في نقاشه معهم ، سمع آذان الصلاة ، فنهض العلماء الافغان وأخذوا يصلون في وسط اعدائهم(٢٦٠) ، وهم يطلبون الى الله تعالى بصوت عال ان يمنع الحرب بين المسلمين وأن يهدي القلوب الى الاتحاد ولا يجعل خراب المسلمين على يد المسلمين ، فكان لذلك وقع عظيم في النفوس . فعندما رجع العلماء الى معسكرهم ، تبعهم عدد كبير من الاتراك والاكراد هاربين من المعسكر العثماني

وخوفا من أن تسري روح التمرد بين الجنود ، أمر أحمد باشا بهجوم عاجل على الجيش الافغاني(٢٦١) ، واذ ذاك ظهر تأثير الدعاية الافغانية بأشد مظاهرها ، حيث امتنع أغلب جيشه عن التقدم والهجوم(٢٦٢) ، وعندما دارت رحى الحرب بين الطرفين في صحراء (أنجدان) بالقرب من أصفهان ، هرب عدد كبير من الجنود الاكراد الى صفوف الافغان وتمرد معظم أمرائهم(٢٦٣) .

---

(٢٥٨) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٦ .

(٢٥٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ١١٠ ، وانظر شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 240.

(٢٦٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٦ .

(٢٦١) شاهين مكاريوس : المصدر السابق ، صص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢٦٢) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٢٦٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ١١٠ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين ، ورقة ٥٠ و ٥١ .

ويذكر مؤلف (كلشن معارف) في حديثه عن هذه الموقعة « أن الجنود الاكراد الذين كانوا في ميسرة الجيش ، أخذوا حينما أغارت عليهم فرقة من الجيش الافغاني ينسحبون ، دون أن يقوموا بمقاومة أو دفاع ... »[٢٦٤] .

وكتب جلبي زاده في تاريخه ، وهو المؤرخ الرسمي لهذه الفترة ، يقول ان سبب تمرد الاكراد يعود الى أن أشرف خان قد أرسل الهدايا والخلع الى امرائهم بصورة خفية ، وانه ذكر في رسائله السرية اليهم أن العثمانيين اذا استولوا على أصفهان ، فانهم يصبحون رعايا مستعبدين ، واذا عاضدوه فانه سيمنحهم حكم بعض الايالات الفارسية مع توجيه رتبة الخانية الى كل منهم[٢٦٥] . ويردد المؤرخون العثمانيون[٢٦٦] الآخرون نفس السبب .

اما المؤرخ الكردي محمد امين زكي فانه يعلل ما حدث بأن الاكراد قد قاموا بهذا العمل لعدم ثقتهم بالحكومة العثمانية ، ولكنه في نفس الوقت يذكر « أن وعود أشرف خان ووعيده لم يذهبا – بالطبع – سدى ، بل أثرا تأثيرهما البليغ ، وفضلا عن ذلك فان الدعايات التي كان يبثها مأمورو أشرف ودعاته باسم المواعظ الدينية قد أنهكت الجيش العثماني ، فأنخدع بها الكرد والترك على السواء ، وأن المواعظ والنصائح الدينية التي كان يذيعها بعض العلماء الافغانيين المبثوثين ، في تكلف وتصنع ، بين ظهراني الجيش العثماني ، قد ملأت آذان المأخوذين بالتعصب الديني ، فكان كل منهم يدعو الى الاستسلام ولا يرى ضرورة لمواصلة الحرب .... »[٢٦٧] .

---

(٢٦٤) محمد سعيد المدرس : كلشن معارف ، جـ٢ ، ص ١٢٣٤ .
(٢٦٥) تاريخ جلبي زاده ، ص ١١٠ .
(٢٦٦) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٣ ، محمد سعيد المدرس : كلشن معارف جـ٢ ، ص ١٢٣٤ ، ويذكر المؤرخ سليمان فائق اقوال الكركوكلي وجلبي زاده عن هذه الواقعة .
انظر : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٥٣ و ٥٤ .
(٢٦٧) تاريخ السليمانية ، ص ٧١ .

ومهما يكن من أمر ، فان أحمد باشا بالرغم من قيامه باعادة تشكيل وتقوية جناح جيشه الأيمن الذي كان يقوده أحد الاكراد البابانيين[٢٦٨] ، فقد بقي قسم كبير من قواته خاملا ، وعند قيامه بمهاجمة الافغان رد على أعقابه وفشل في محاولتين لاحقتين[٢٦٩] . وبعد ان أدرك استحالة الاستمرار بالمعركة تحت هذه الظروف ، تراجع بقواته المبعثرة الى همدان[٢٧٠] ، تاركا في أرض المعركة اثنى عشر الف قتيل[٢٧١] ، كما ترك مدافعه وذخائره الحربية غنيمة للافغان[٢٧٢] . وكاد الاندحار أن يكون تاما لو أتبع اشرف انتصاره هـذا بهجوم مباشر ، الا ان القائد الافغاني كان في حاجة الى الوصول الى تفاهم مع السلطان العثماني ، بسبب نمو قوة عدوه طهماسب ميرزا[٢٧٣] ، الذي كان في هذا الوقت قد اتخذ بلاطه الصغير في اقليم مازندران[٢٧٤] تسانده قوات قبيلة القاجار[٢٧٥] القوية في استرآباد ، حيث انضم اليه زعيمهم فتح علي خان[٢٧٦] بعد أن ناشده طهماسب بأن يساعده ضد الافغان ، كما التحقت به قوة أخرى من المحاربين الافشار والاكراد يقودها نادر قلي[٢٧٧] الذي كانت

---

(٢٦٨) لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٦٦ .

(٢٦٩) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 81.

(٢٧٠) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٥١ .

(٢٧١) لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٦٦ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 240.

(٢٧٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ .

(٢٧٣) نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٩٧ .

(٢٧٤) كان طهماسب قد اقام بلاطه في طهران الا انه اضطر الى مغادرتها الى مازندران في كانون الاول عام ١٧٢٥م على اثر قيام الافغان بحصارها.

(٢٧٥) تعد قبيلة القاجار ذات أصل تركي ، وقد استقرت لمدة طويلة في ارمينية ، وكان تيمورلنك هو الذي احضرها الى بلاد فارس ، وهي احدى قبائل قزل باشي التي كانت تساند الاسرة الصفوية .

(٢٧٦) جد مؤسس السلالة القاجارية اغا محمد خان الذي تولى حكم بلاد فارس سنة ١٧٩٥ .

(٢٧٧) سنتناول اعمال نادر بالتفصيل في الفصل الثالث .

شهرته كقائد عسكري قد انتشرت في شمالي بلاد فارس[٢٧٨] . وكان وضع طهماسب باعتباره الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة من أبناء الشاه سلطان حسين ، قد جعل منه الرمز الوحيد لاستقطاب كل أبناء وطنه الذين ظلوا على ولائهم للاسرة الصفوية . ولهذا ترك أشرف قوات أحمد باشا تتراجع دون أن يتعرض لها ، وأعاد الى العثمانيين جميع الذين أسرهم بدعوى انهم اخوان له في الدين ، وكذلك كافة الذخائر الحربية التي استولى عليها[٢٧٩] ، وذلك لأجل التعبير عن حسن نياته .

وقد سببت أخبار الكارثة التي حلت بجيش أحمد باشا ، انزعاجا كبيرا لدى المسؤولين في القسطنطينية ، وقرر الباب العالي ارسال قوات جديدة من ولايات الدولة الأوروبية ، حيث كان الاعتقاد بأن هؤلاء أقل تجاوبا مع دعاية أشرف ، وأرسل تعزيزات سريعة الى احمد باشا الذي كان قد تراجع الى كرمنشاه[٢٨٠] ، ومن هناك عرض الموقف العسكري على الباب العالي[٢٨١] .

وفي نهاية صيف ١٧٢٧ م (١١٤٠ هـ) أصبح تحت قيادة أحمد باشا جيش يبلغ تعداده ستين الفا ، فتقدم مرة أخرى لمحاربة أشرف ، غير أن تقدمه كان فاتحة السلم مع الافغان[٢٨٢] . فعند وصوله الى همدان ، ارسل اليه أشرف مبعوثه اسماعيل حاملا مقترحاته للسلام[٢٨٣] .

---

(٢٧٨) Malcolm,J.: The History of Persia, Vol. II, P. 33;
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part IA, P. 81;
Sykes, P.: Op. Cit., 11, P. 240.

(٢٧٩) تاريخ جلبي زاده ، ص ١١٠ ، شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٦٦ .

(٢٨٠) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٥٦ و ٥٧ ، لونكريك المصدر السابق ، ص ١٦٦ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 81.

(٢٨١) الكوكوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٢ .

(٢٨٢) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٧ .

(٢٨٣) تاريخ جلبي زاده ، ص ١٢٩ ، سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٥٧ .

ويبدو أن تهديد طهماسب المتزايد قد حدا به الى أن يعجل بطلب عقد الصلح مع العثمانيين ، كما ذكر بأن ابن عمه حسين الذي كان المسيطر على قندهار ، قد تحرك منها للانتقام لموت أخيه مير محمود[٢٨٤] ، وكان أشرف قد أمر بقتله بعد استيلائه على أصفهان سنة ١٧٢٥ م . وقد أخبر أحمد باشا الباب العالي بطلب أشرف، فصدرت اليه أوامر تقضي بفتح باب المفاوضات[٢٨٥] ، ووصل الدبلوماسيون من القسطنطينية للمشاركة في المباحثات[٢٨٦] . وكانت الدولة العثمانية راغبة ايضا في انهاء الحرب بسبب نفقاتها الباهظة ، وتنامي عدم التعاطف معها في داخل القسطنطينية في هذه الحرب الدائرة بين المسلمين ، وبسبب دعاية أشرف البارعة التي أثمرت في أضعاف معنوية الجنود العثمانيين، والتي أجبرت الباب العالي أخيرا على التفكير الجدي في السلام[٢٨٧] .

وفي ١٣ تشرين الاول ١٧٢٧م (٢٦ صفر ١١٤٠هـ) توصل الجانبان العثماني والافغاني الى عقد معاهدة تتكون من اثني عشر مادة ، وذلك بعد مباحثات جرت في همدان استمرت عشرة أيام[٢٨٨] . ومما جاء في هذه المعاهدة :

١ ــ اعترف أشـرف بأن السلطـان العثماني خليفـة المسلمين ، في مقابل الاعتراف به شاها على بلاد فارس ، وحقه في ذكر اسمه في الخطبة والنقـــود .

---

(٢٨٤) Shay, M.: Op. Cit., P. 126.

(٢٨٥) سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٥٨ .

(٢٨٦) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٧ . Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 192 - 193.

(٢٨٧) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 156.

(٢٨٨) سليمان فائق : المصدر السابق ، ورقة ٥٧ و ٥٨ ، Shay, M.: Op. Cit., P. 125. لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٧ . وعن تاريخ عقد المعاهدة انظر :

يبقى جميع ما احتلته الدولة العثمانية من بلاد فارس تحت سيطرتها ،

٢ ـ وهي (كرمنشاه وهمدان وسنة واردلان* ونهاوند وخرم آباد ولورستان ومكري ومراغه وخوي وسركان وتبريز وكافة ممالك آذربيجان وكنجة وقره باغ وروان واردوباد ونخجوان وتفليس ، وجميع ولاية كرجستان وايالة شماخي وولاية شيروان) . وتعاد الى الدولة العثمانية الاماكن التي استولى عليها الافغانيون في السنة السابقة ، وهي : سلطانية وابهر وزنجان وطارم .

٣ ـ تدخل منطقة الحويزة القريبة من البصرة في اطار الدولة العثمانية .

٤ ـ يعيد أشرف الى الدولة العثمانية كل ما استولى عليه من مدفعية في حربه معها .

٥ ـ ألا يساعد السلطان العثماني أعداء المملكة الجديدة .

٦ ـ تتعهد الدولة العثمانية بحماية قوافل الحجاج الفرس الى العتبات المقدسة في العراق والحجاز .

٧ ـ تعيين الخبراء لتحديد ورسم الحدود بين الدولتين .

٨ ـ يتعهد كل من الطرفين بعدم التدخل في شؤون كل منهما .

وتناولت المعاهدة مسائل التمثيل الدبلوماسي وتسليم المجرمين وتنظيم التجارة(٢٨٩) .

ولكن المنافع التي منحتها المعاهدة لكل من الدولة العثمانية والافغان لم تدم طويلا ، بسبب انبعاث القوة الفارسية الهائلة على يد نادر ، الذي تزعم

---

(٢٨٩) للاطلاع على نصوص المعاهدة راجع :
معاهدات عمومية مجموعة سي ، جـ٢ ، ص‌ص ٣١٢ ـ ٣١٥ ، تاريخ ←

المقاومة الفارسية ضد الفاتحين الافغان ، واستطاع أن يطردهم من بلاده ، كما أجبرت الدولة العثمانية بحد سيفه على التنازل عن كافة مكتسباتها الحدودية ، ووافقت روسيا على أن تتخلى عن الاقاليم الفارسية التي احتلتها وأعادتها الى بلاد فارس ، بعد أن ادركت أن الوضع في بلاد فارس ، قد تغير تماما في غير صالحها ، بالاضافة الى التأثير المناخي المميت لأقاليم بحر قزوين على قواتها المتواجدة هناك •

جلبي زاده ، ص ١٢٩ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٥٨ و ٥٩ ،

Hamer, J.: Op. Cit., Vol, XIV, PP. 155-156; Aitchison, C.: Acollection of Treaties, Engagements and Sanads, Vol. XIII, Appendix, No. I; Shay, M.: Op. Cit., P. 125;

شاكر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ص ٤٠ – ٤٢ .

ويذكر كروسنسكي وهو معاصر لهذه الفترة ، ان هنالك بنودا اخرى سرية ، اشيع بان الطرفين قد اتفقا عليها . كما ينفرد دون المؤرخين الاخرين بجعل تاريخ عقد المعاهدة في اواخر ايلول ١٧٢٧م ،

Krusinski, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 194 - 5.

الفصل الثالث

أثر الصراع بين نادر شاه والعثمانيين على العراق

أثر الصراع بين نادر شاه والعثمانيين على العراق

سبقت لنا الاشارة في الفصل الثاني ، الى ظهور شخصية نادر قلي ، على مسرح الحوادث في بلاد فارس ، ولابد لنا أن نتعرض لمجرى الاحداث التي بدأ خلالها نجمه بالظهور ، قبل أن نتناول الحروب التي خاضها في سبيل تحرير بلاد فارس من الاحتلال الاجنبي ، وتوسيعه لحدودها ، حيث وصلت قواته الى العراق ، ووسط آسيا والهند ، فأصبح يعد بحق « آخر الفاتحين الآسيويين العظام »[1] .

وكان نادر[2] الذي ينتمي الى فرع كيركلو من قبيلة الافشار[3] التركمانية ، قد استطاع في تلك الفترة من الفوضى والتمزق التي سادت بلاد فارس على أثر الغزو الأجنبي الأفغاني والروسي والعثماني ، أن يستولى على قلعة منيعة في خراسان ، والتي عرفت بعد ذلك باسمه (قلعة نادري) ،

---

(١) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 240.

(٢) ولد نادر وترعرع في خراسان ، وكانت ولادته في الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٦٨٨ (٦ محرم ١١٠٠هـ) ، وبدأ حياته راعيا كأبيه ، غير انه اختط سلم النجاح منذ دخوله في خدمة (بابا علي بيك احمد لو) الذي كان حاكما لمدينة ابيورد ، وزعيما لقبائل الافشار فيها . وعند موت احمد لو ــ وبعض الروايات تتهم نادر بتدبير قتله ــ اصبح نادر حاكما على ابيورد ، وبدأ نجمه بالظهور على مسرح الاحداث . للاطلاع على حياته الاولى ، راجع :

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 247-8; Encyclopaedia Britanica, (U.S.A. 1965), Vol. 15, P. 1146;

محمد حسين ميمندي : حياة نادر شاه افشار ، ص ٣ــ٥ .

(٣) كان الافشار وهم من التركمان ، قد نزحوا من تركستان الى بلاد فارس ←

واتخذ منها مقرا لقيادته[٤] • ثم هاجم مدينة نيسابور التي كان يسيطر عليها جند مالك محمود[٥] سستاني حاكم مشهد ، واستولى عليها بعد أن أوقع الهزيمة بحاميتها[٦] • وأخذت شهرته كقائد عسكري تنتشر في شمالي بلاد فارس ، وقد سمع ببسالته وجرأته ، طهماسب ميرزا المدعي بالعرش الصفوي ، والذي كان قد اتخذ بلاطه في فرح آباد في اقليم مازندران ، تسانده قوات قبيلة القاجار[٧] • ولذا رغب في كسبه الى جانبه ، فبعث اليه بأحد قواده يطلب المساعدة منه ضد مالك محمود حاكم مشهد الذي كان من أعداء طهماسب[٨] •

وقد استجاب نادر لهذا الطلب ، والتحق بطهماسب في سنة ١٧٢٦م[٩] (١١٣٩ هـ) على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل من الافشار والاكراد[١٠] ، ولابد أن يكون نادر قد اكتشف بذكائه قيمة اقامة علاقة حميمة مع الأمير الصفوي الذي كان باعتباره الابن الوحيد الباقي للشاه

ابان الاحتلال المغولي ، وسكنو اذربيجان ، ثم هاجروا ايام الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٠–١٥٢٤) الى خراسان ، اقصى الاقاليم الشرقية في بلاد فارس . ميرزا مهدي : جهانكشاي نادري ، ص ٢٦–٢٧.

(٤) دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٩٥ ، .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 247, 249.

(٥) احد المغامرين الذين استغلوا فترة الفوضى التي سادت بلاد فارس اثناء الغزو الافغاني ، فجمع قوة من الرجال وتمكن من قتل حاكم مشهد الافشاري واعلن نفسه قائدا للجيش وحاكما مستقلا لمقاطعة تون .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 228.

(٦) Ibid, P. 249.

(٧) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 33.

(٨) Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 307.

(٩) رضانور : تورك تاريخي ، جـ٥ ، ص١٢٤ ، دونالدولبر : المصدر السابق ، ص ٩٥ ، اما لوريمر فيحدد سنة ١٧٢٧م تاريخ التحاق نادر بطهماسب .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 82.

(١٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٧ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 241.

السابق ، قد جعل منه نقطة استقطاب لجميع أبناء بلده الذين يكنون مشاعر الطاعة للأسرة الصفوية . ولذلك فقد أعلن نادر عقب استيلائه على مدينة نيسابور ، أنه فتحها باسم الشاه طهماسب[١١] ، كما أنه لابد أن يكون قد اعتقد بأنه سوف يستطيع بتحالفه مع طهماسب الذي كان بحاجة الى امكانياته وقيادته ، أن يكون ذا اليد العليا عليه ، وبالتالي يصبح العقل المدبر لكل شيء ، وهذا ما حدث فعلاً فيما بعد .

لقد استطاع نادر الذي عهد اليه طهماسب باسترجاع خراسان[١٢] ، أن يستولي على مشهد عن طريق خيانة قائد قواتها ، الذي فتح له أحد أبوابها[١٣] . ثم توجه نادر نحو مدينة هرات التي كانت تحت السيطرة الافغانية ، فتمكن من اخضاعها وانزال الهزيمة بالأفغان الأبداليين الذين كانت شوكتهم قد ضعفت بسبب نزاعاتهم الداخلية[١٤] .

وقد كان الاستيلاء على مدينتي مشهد وهرات الهامتين ، الخطوة الأولى نحو اعادة السلطة الصفوية في بلاد فارس ، كما كان خدمة كبيرة قدمها نادر الى الأسرة الصفوية ، حيث ترتب عليها ازدياد أعداد المتطوعين ، وأصبحت هذه القوات الأمل الوحيد في جميع أنحاء بلاد فارس لتحريرها من نير الاحتلال الاجنبي[١٥] . وبسبب خدمات نادر ، كافأه طهماسب بأن أنعم عليه بلقب « طهماسب قولي خان »[١٦] أي عبد طهماسب ، وعينه قائدا عاما لقواته ، ووقع على عاتقه واجب عظيم ، هو انقاذ بلاده من الأفغان المغتصبين[١٧] .

(١١) نوار : الشعوب الاسلامية ، ص٣٠٢ ، Ibid, P. 249.

(١٢) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(١٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 249-250.

(١٤) ميرزا مهدي خان : دره نادر ، ص ٧٢٥-٧٢٧ .

(١٥) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 33.

(١٦) احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، ج٢ ، ص ٤٠ ، رضانور : تورك تاريخي ج٥ ، ص ١٢٥ ، Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 82. ومما يجدر ذكره هنا ان المصادر الفارسية لم تشر الى هذا اللقب .

(١٧) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٧ .

طرد الغزاة الافغان من بلاد فارس عام ١٧٢٩ م (١١٤١ هـ) :

كان الزعيم الافغاني مير أشرف خان ، يراقب عن كثب التطورات التي حصلت لصالح طهماسب ميرزا بعد ظهور نادر على مسرح الأحداث ، واحتلال مدينتي مشهد وهرات ، وقد وصلت اليه تقارير تشير الى قوة طهماسب المتنامية . ونية حليفه نادر مهاجمة أصفهان ، واستعادة العرش الصفوي . فبدأ أشرف بتقوية دفاعات المدينة ، وأسرع في ارسال قوات الى قزوين لتدعيم الحامية الأفغانية هناك(١٨) .

وفي تموز ١٧٢٩ م أفادت التقارير التي وصلت القسطنطينية بأن أشرف يخطط لمهاجمة طهماسب ، وأنه بسبيل ارسال مبعوث الى الدولة العثمانية للحصول على مساعدتها(١٩) .

وبالاضافة الى انشغال أشرف بطهماسب ، فقد كان عليه أن يتدبر امره بالنسبة لابن عمه حسين الذي كان المسيطر على قندهار ، حيث ذكر أنه قد تحرك منها للانتقام لموت أخيه مير محمود(٢٠) الذي قتله أشرف عقب استيلائه على الحكم في أصفهان سنة ١٧٢٥م(٢١) (١١٣٧هـ) .

وفي أيلول غادر أشرف أصفهان على رأس جيش يقدر بثلاثين ألف مقاتل ، زاحفا نحو خراسان لمهاجمة طهماسب ، قبل أن تتجمع قوات كبيرة تحت لواءه ، وعندئذ بدأ نادر استعداداته للمجابهة الكبرى مع الافغان ، ثم تحرك هو وطهماسب من مشهد على رأس جيش تعداده ستة عشر ألفا ، للتصدي للقوات الزاحفة ، والتقدم الى اصفهان(٢٢) وعند نهر مهماندوست

---

(١٨) Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, PP. 328-9.

(١٩) Shay, M.: The Ottoman Empire from 1720 to 1734, P. 128.

(٢٠) Ibid, P. 126.

(٢١) تاريخ جلبي زادة ، ص ١٩٢ ، سليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق ، ورقة ٢٩ .

(٢٢) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 95.

دارت معركة كبيرة بينهما ، هزم فيها الأفغان هزيمة منكرة[23] واضطر أشرف الى التقهقر بقواته الى أصفهان ، بعد أن فقد اثنى عشر ألفا من قواته ، بينما فقد الفرس أربعة آلاف[24] . غير أن أشرف اتخذ موقفا دفاعيا عند قرية مورجا خور على بعد ٥٧ كيلو مترا شمال أصفهان ، واستعد لخوض معركة فاصلة مع القوات الفارسية التي واصلت تقدمها لاحتلال أصفهان ، ولكن الكارثة حلت بقواته مرة أخرى ، حيث ألحق الفرس المنتصرون هزيمة أخرى بهم ، تراجع على أثرها أشرف الى أصفهان مع من بقي من قواته[25] .

لقد فتحت هذه الموقعة الحاسمة الطريق أمام القوات الفارسية الى العاصمة أصفهان ، التي اضطر أشرف — وقد عاقه نقص المؤن والرجال — الى التخلي عنها[26] ، وهرب مع فلول جيشه الى شيراز ، بعد أن قتل الشاه السابق سلطان حسين ، ويذكر فريزر « ان ضغط الظروف وحده حال دون وقوع مذبحة عامة »[27] . وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٧٢٩م دخل نادر بقواته الى أصفهان ، ووضع حدا للفوضى التي عمت المدينة عقب هرب أشرف منها ، وشدد الحراسة على مداخلها بعد أن بدأ سكان القرى المجاورة لها بعمليات نهب فيها . غير أنه ارسل في البحث عن الأفغان المتخفين ، فقتل الكثير منهم ، وقام بتوزيع الأسلاب التي تركها الافغان ، على جنوده مكافأة على شجاعتهم . ثم أرسل الى طهماسب يبلغه باحتلال أصفهان ، ويدعوه للقدوم

---

(٢٣) ميرزا مهدي خان : دره نادره ، ص ٧٢٧ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 241.

(٢٤) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 96.

(٢٥) ميرزا مهدي خان : المصدر السابق ، ص ٧٢٨ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 242.

(٢٦) Shay, M.: Op. Cit., P. 132.

(٢٧) Fraser, J.: Historical and descriptive Account of Persia, P. 186.
وانظر ايضا شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٥ .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 242.

واعتلاء العرش • وكان نادر ــ وهو في زحفه الى اصفهان ــ قد بعث طهماسب الى طهران التي انسحب منها الافغان[٢٨] •

وأسرع طهماسب الى اصفهان ، التي مضى على مغادرته لها مهزوما سبع سنوات ونصف ، وعين قائده نادر حاكما على أقاليم خراسان وسستان وكرمان ومازندران مكافأة له على جهوده ، كما منحه حق جمع الضرائب لدفع رواتب جنده[٢٩] •

ثم زحف نادر بجيشه صوب الجنوب ، لتعقب الافغانيين الذين كانوا يستجمعون قوتهم هناك • وعند زركان ــ على بعد ٣٢ كيلومترا شمال شرق شيراز ــ انتصر عليهم ، وفشل أشرف في أن يحصل من نادر على صلح مشرف[٣٠] ، فهرب من شيراز ومعه مائتان من رجاله ، وتفرق جيشه الى عدة جماعات فرت كل منها من ناحية ، محاولة الرجوع لبلادها قندهار[٣١] • وقد هب الفرس في وجه هؤلاء الفارين حتى قتلوا أكثرهم[٣٢] ، وأفلح عدد منهم في الوصول الى سواحل الخليج العربي[٣٣] • أما أشرف الذي كان يشق طريق هربه الخطر باتجاه قندهار مع قلة من رجاله ، فقد قتله أحد رجال البلوج في الصحراء الممتدة بين شيراز وسستان ، وأرسل رأسه وماسة كبيرة وجدت معه الى الشاه طهماسب[٣٤] (كما يجب أن نطلق عليه الآن بعد أن اعتلى

---

(٢٨) Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 334.

(٢٩) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ •
وانظر ايضا نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٠٦ •
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 250.

(٣٠) Ibid, PP. 242 - 3.

(٣١) Fraser, J.: Historical and descriptive Account of persia, P. 186; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 243.

(٣٢) مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٩٦ •

(٣٣) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 83.

(٣٤) Fraser, J.: Op. Cit., P. 186;
مكاريوس : المصدر السابق ، ص ١٩٦ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٩ •

العرش) • وبذلك تلاشت قوة الافغانيين الذين حكموا بقوة السلاح أجزاء من بلاد فارس •

ولاعادة قيام الدولة الصفوية ، كان على نادر أن يواجه القوى العثمانية والروسية التي كانت تحتل أجزاء واسعة من بلاد فارس ، وهذا ما كلفه ثمنا باهضا في الأرواح والأموال •

نشوب الحرب بين نادر والعثمانيين :

كان انبعاث القوة الفارسية الهائلة على يد نادر ، قد جعل الدولة العثمانية تردد في تقديم المساعدة لأشرف ، الذي أرسل مبعوثا الى القسطنطينية طالبا العون ، لأنه كان مشرفا على الهزيمة[٣٥] ، وفي نفس الوقت رفضت الدخول في أي اتفاق مع طهماسب أو اعطائه ضمانات تتعارض ومعاهدتها مع أشرف •

وكان طهماسب قد أرسل عدة مرات مبعوثين الى القسطنطينية للحصول على مساعدة العثمانيين ، ولكن الدولة العثمانية في الحقيقة كانت تماطل حتى تظهر نتيجة الصراع بين أشرف وطهماسب[٣٦] •

وبعد هزيمة أشرف وسقوط أصفهان ، وجه نادر اهتمامه صوب العثمانيين الذين كانوا يحتلون أجزاء كبيرة من بلاد فارس ، وقد أرسل طهماسب الى السلطان العثماني رسالة يعلمه فيها باسترداد أصفهان ، ويطلب منه ـــ وهذا بدون شك بتحريض من نادر ـــ اعادة الاقاليم التي احتلتها قواته اليه[٣٧] •

وفي حزيران ١٧٣٠ م (١١٤٢ هـ) وصل القسطنطينية مبعوث من طهماسب[٣٨] يدعى رضا قلي خان شاملو ، أعاد المطالبة بتلك الاقاليم ، وهدد بالحرب في حالة الرفض • وقد نجح المبعوث الفارسي في عقد معاهدة مع

---

(٣٥) Shay, M.: Op. Cit., P. 130.

(٣٦) Ibid.

(٣٧) Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, P. 344.

(٣٨) Shay, M.: Op. Cit., P. 133.

العثمانيين تنص على اعادة هذه الاقاليم ، على أن تدفع بلاد فارس للدولة العثمانية مبلغا سنويا كتعويض عن خسائرها المادية التي تكبدتها[٣٩] .

غير أن نادر الذي كان يفضل السيف على القلم ، لم ينتظر توقيع هذه المعاهدة ، فقام بهجوم مفاجيء على الحامية العثمانية في نهاوند ، وذلك بحجة تأخر المفاوضات التي كانت تجري في القسطنطينية ، واستطاع احتلال المدينة في الاول من تموز ١٧٣٠ م (١٥ ذي الحجة ١١٤٢ هـ) بعد أن أباد حوالي الفين من جنود الحامية فيها وقتل قائدها[٤٠] . ثم توجه على رأس قواته لتحرير المدن الاخرى من الاحتلال العثماني ، وقد تمكن من استعادة همدان وأردلان وكرمنشاه[٤١] ، وبدأ يعد العدة لطرد العثمانيين من أذربيجان ، فاسترد قصبتها تبريز ، وأرسل قسما من جيشه الى أردبيل ، التي انسحبت الحامية العثمانية منها عند اقتراب القوات الفارسية[٤٢] .

وبالرغم من أن الباب العالي قد أعلن الحرب رسميا على بلاد فارس ، وبدأت الاستعدادات الحربية على نطاق واسع ، الا أن احراز الفرس المزيد من الانتصارات ، قد سبب هياجا كبيرا في العاصمة العثمانية[٤٣] ، وقامت في الثامن والعشرين من أيلول ١٧٣٠ م (١٥ ربيع الاول ١١٤٣ هـ) حركة عصيان

---

(٣٩) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 216.
وانظر : Lockhart L.: The Fall of the Safavi Dynsty, P. 344.

(٤٠) ابراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه ، مخطوط ، ورقة ٥٥ .

(٤١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٥ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٤٤ .

(٤٢) ميرزا مهدي خان : دره نادره ، ص ٧٢٩ .
Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 102.

(٤٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص١٤٠–١٤١ ، رضانور : تورك تاريخي ، جـ٥ ، ص ١٢٦ .
Creasy, E.: Op. Cit., P. 349.

خطيرة قادها القائد الألباني الأصل بترونا خليل مع سبعة عشر من الانكشارية ، ساندها الشعب وكبار رجال الجيش[٤٤] .

وقد فشلت جميع الجهود التي بذلها الصدر الأعظم داماد ابراهيم باشا لتهدئة الثائرين الذين فرضوا سيطرتهم على العاصمة[٤٥] ، وظلوا لمدة ثلاثة أيام متتالية يطالبون برأس الصدر الأعظم وعدد من كبار رجال الدولة باعتبارهم مسئولين عن هذه الهزيمة لعدم ميلهم للحرب ، ورغبتهم في عقد الصلح مع الفرس[٤٦] ، مما اضطر السلطان احمد الثالث ـ الذي فقد شعبيته لعيشة البذخ والترف التي انغمس فيها هو وكبار موظفيه[٤٧] ـ الى أن يستجيب لمطلبهم ، خوفا من أن يطيح تمردهم به ، فأعدم الصدر الاعظم داماد ابراهيم[٤٨]

---

(٤٤) كامل باشا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤١ وانظر محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٦ .
وينفرد كريسي بجعل تاريخ حدوث العصيان في العشرين من أيلول .
Creasy, E.: Op. Cit., P. 349.

(٤٥) كامل باشا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤١ .

(٤٦) ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جـ١ ، ص ٢١٥ ، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٦ ،
Lavallee, T.: Histoire de L'Empire Ottoman, P. 366;
Creasy, E.: Op. Cit., P. 350.

(٤٧) Creasy, E.: Op. Cit., P. 349.

(٤٨) بدأ ابراهيم (داماد) حياته كاتبا في الحريم السلطاني حيث تعرف على الامير احمد الذي اصبح فيما بعد السلطان احمد الثالث (١٧٠٣–١٧٣٠) ، وشغل ابراهيم باشا اوائل عهد السلطان احمد الثالث منصب كاتب سر ، ثم عين رئيس حسابات وامين خزائن في الاقاليم وفي سنة ١٧١٥م (١١٢٨هـ) صحب الداماد علي باشا في حملته على المجر وتولى ابلاغ السلطان اخبار الكارثة التي اصابت الحملة . وفي العام التالي (٣تشرير الاول ١٧١٦م/١٦شوال١١٢٨هـ)اسند اليه منصب قائمقام الصدارة ، وبعد اشهر قلائل زوجه السلطان من ابنته الاميرة فاطمة فاصبح دامادا ،وعيناخر الامر صدرا اعظمفيالتاسع منمايس١٧١٨م/الثامنمن جمادى الاخرة ١١٣٠هـ ، وشغل هذا المنصب حتى اعدم . انظر :
دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الاول ، مادة ابراهيم باشا .

واثنين من ذوي الشأن[٤٩] . لكن انصياعه لهم لم يمنعهم من العصيان عليه ، فأعلنوا اسقاطه عن العرش ، ونادوا بابن أخيه محمود سلطانا ، فأذعن السلطان احمد ، وتنازل دون معارضة[٥٠] .

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة العثمانية منشغلة بثورة الانكشارية، كان نادر قد أستطاع استرجاع كل غربي بلاد فارس ، وأغلب أجزاء أذربيجان، وكان باستطاعته اكمال دحر العثمانيين لولا قيام الأفغان الأبداليين بثورة في هرات[٥١] ، مما اضطره الى أن يوافق على الهدنة الحربية التي طالب بها العثمانيون بعد سلسلة الهزائم التي لحقت بهم[٥٢] ، ورفع الحصار الذي كان قد فرضه على مدينة روان ، وزحف بجيشه صوب هرات[٥٣] .

هزيمة الشاه طهماسب امام العثمانيين عام ١٧٣١م (١١٤٤هـ) :

وبينما كان نادر يقود حملته ضد الافغان الابداليين في هرات ، تحرك الشاه طهماسب من أصفهان في كانون الثاني ١٧٣٠م (جمادى الآخرة ١١٤٣هـ) على رأس جيش تعداده عشرون ألفا ، بهدف طرد العثمانيين من الاقاليم التي مازالت تحت سيطرتهم ، والتصدي للقوات العثمانية التي بدأت زحفها صوب بلاد فارس[٥٤] ، وقد أغراه بذلك النبلاء الفرس في أصفهان[٥٥] . وكان الباب

(٤٩) سعيد الاحدب : تفصيل الياقوت والمرجان في اجمال تاريخ دولة بني عثمان ، ص ١٠٢ — وانظر : تاريخ جودت ، جـ١ ص ٧٤ .

(٥٠) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٤١ ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٧ .

(٥١) عن ثورة الافغان في هرات ، انظر ميرزا مهدي خان : درهنادره ، ص ص ٧٣١—٧٣٣

(٥٢) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 102.

(٥٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 250.

(٥٤) Fraser, J.: Op. Cit., P. 103.

(٥٥) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 52.

العالي قد أصدر أوامره الى أحمد باشا والي بغداد بالتحرك نحو الجبهة الفارسية ، واستعادة المدن التي احتلها نادر[٥٦] •

وقد اتجه طهماسب في زحفه نحو مدينة تبريز ، حيث انضمت اليه هناك قوات نادر ، وواصل تقدمه الى روان للاستيلاء عليها ، ولكن بالرغم من الحصار الذي فرضه على المدينة ، اضطر الى التراجع أمام حصونها[٥٧] ، في الوقت الذي استطاع فيه احمد باشا والي بغداد أن يستعيد كرمنشاه وأردلان من دون حرب ، حيث استسلمت الحامية الفارسية فيهما[٥٨] •

وعند ذاك أسرع طهماسب الى همدان التي بدأت القوات العثمانية تتقدم نحوها[٥٩] ، رغم أن نادر كان قد نصحه بالبقاء في تبريز بدون أن تغريه الآمال في معركة غير مضمونة[٦٠] • وبالقرب من قرية كوريجان التي تبعد اثنين وثلاثين كيلومترا عن همدان ، استطاع العثمانيون أن يوقعوا به هزيمة كبيرة ، وذلك في السادس عشر من أيلول ١٧٣١ م (١٣ ربيع الاول ١١٤٤هـ)[٦١] ، وهرب طهماسب من ميدان المعركة باتجاه طهران[٦٢] ، بعد أن أضاع نصف جيشه تقريبا وأكثر مدفعيته وذخائره ، حيث لقي الآلاف من جنوده مصرعهم ، ووقع الآخرون أسرى في أيدي القوات العثمانية[٦٣] •

---

(٥٦) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ض ٢٥ •

(٥٧) ميرزا مهدي خان : درەنادره ، ص ٧٣٣ •
Fraser, J.: Op. Cit., P. 103.

(٥٨) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص٢٦ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٦٨ •

(٥٩) عبدالرحمن شرف : تاريخ دولت عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٦ •

(٦٠) Shay, M.: Op. Cit., P. 138.

(٦١) شمعداني زادة : مراي التواريخ ، مخطوط ، ورقة ١٤٨ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٩ •
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 254.

(٦٢) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٢٦ ، ٢٨ ، كامل باشا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٣ •

(٦٣) تاريخ صبحي ، جـ١ ، ص ٩٦ ، الكركوكلي : المصدر السابق ، ص‌ص ٢٦-٢٧

وبعد أن أحرز احمد باشا ذلك النصر ، استعاد همدان من دون عنف ، حيث أعلنت حاميتها الاستسلام ، كما احتل مدينة أبهر . وقد أرسل اليه السلطان الجديد محمود الأول خلعة ووساما ، ورسالة يثني فيها على قيادته[٦٤] وأمر بأن يبقى في همدان « كي يفيد من كل ثغرة » من أجل السلام[٦٥] .

وفي الوقت نفسه استطاعت القوات العثمانية التي كانت بقيادة علي باشا حكيم أوغلو حاكم روان أن تحتل أورمية ومراغه وتبريز وضواحيها[٦٦] . وبذلك خسر الشاه طهماسب كل ما سبق أن حصل عليه نادر[٦٧] ، واضطر الى مفاتحة العثمانيين بعقد الصلح ، لاسيما وأن فرقتين من جيشه قد تمردتا عليه ، كما ان قوات عثمانية كبيرة بدأت تتقدم باتجاه بلاد فارس من عدة جبهات[٦٨] . وقد وصلت الى احمد باشا والي بغداد أوامر سلطانية تقضي بفتح باب المفاوضات ، وذلك بعد أن عقد الصدر الأعظم طوبال عثمان باشا اجتماعا لمجلسه تقرر فيه انهاء الحرب[٦٩] .

ويرى لونكريك أن الفتنة التي مرت بها العاصمة العثمانية ، والتي أدت الى عزل السلطان احمد الثالث ، هي التي حدت بالصدر الاعظم طوبال عثمان باشا الى التعجيل بالصلح ، قبل أن يهدد نادر الدولة بساعده القوي تهديدا ثانيا[٧٠] . وقد استغرقت المفاوضات التي دارت في همدان ، بين احمد

---

(٦٤) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٢٧ ، احمد راسم : عثماني تاريخي جـ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٦٥) Shay, M.: Op. Cit., P. 139.

(٦٦) احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ ، عبدالرحمن شرف : تاريخ دولت عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٣٦ وانظر
Shay, M.: Op. Cit., P. 139.

(٦٧) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 250.

(٦٨) احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٦٩) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٤٠ ، ص ١٤٨ .

(٧٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ ، ص ١٦٩ .

باشا والي بغداد ومحمد رضا قولي خان الممثل الشخصي للشاه طهماسب ، عدة أشهر[٧١] . وفي اليوم العاشر من كانون الثاني ١٧٣٢م (رجب ١١٤٤هـ) أمضيت معاهدة الصلح التي عرفت باسم «معاهدة احمد باشا» . وقد نصت على اعتبار نهر آراس حدا لبلاد فارس ، وتخلى الشاه طهماسب للعثمانيين عن كنجه وتفليس وروان ونخجوان وكاخت وكارتلي وشيروان وشماخي وداغستان ، في مقابل أن يعيدوا له تبريز وأردلان وكرمنشاه وهمدان والحويزة ولورستان[٧٢] .

وتناولت المعاهدة التي تضمنت ثماني مواد تنظيم الحج والتجارة وتبادل التمثيل الدبلوماسي بينهما ، ولكن لم ترد فيها أية اشارة الى اطلاق سراح الأسرى الفرس[٧٣] .

غير أن هذه المعاهدة أثارت الرأي العام في القسطنطينية ، وتعرض الناس لها بالانتقاد عندما سمعوا بالتخلي عن تبريز والأراضي المجاورة لها الى الفرس[٧٤] ، وأمر السلطان ـ الذي لم تنل بنود المعاهدة رضاه ـ باجتماع المجلس الأعلى للدولة للنظر في أمرها . وقد قرر المجتمعون عدم التخلي عن تبريز ، وأصدر السلطان أمرا بعزل الصدر الأعظم طوبال عثمان باشا والمفتي وقائد قوات تبريز ، لأنهم كانوا راغبين في السلام[٧٥] .

---

(٧١) احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ ، وانظر لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٧٢) عن هذه المعاهدة ، انظر :
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 258; Lavallee, T.: Op. Cit., P. 367;
، احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ـ٣٨٥ و ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جـ١ ، ص ٢١٦ .

(٧٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 251.

(٧٤) Shay, M.: Op. Cit., P. 140.

(٧٥) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٤٠ ، ص ١٥١ .

وكان الفرس قد رفضوا أثناء المفاوضات التخلي عن تبريز(٧٦) ، التي تعتبر البرج الرئيسي في الدفاع عن آذربيجان . وبالرغم من أن ذلك لم يكن أمرا مستحبا لدى الدولة العثمانية ، الا أن الصدر الاعظم طوبال عثمان وافق على ذلك ، لأنه رأى من الأفضل أن تنتهي الامور باقرار السلام على حساب مدينة تبريز ، بدلا من الاصرار على الاحتفاظ بها وارجاء المفاوضات ، حيث كان يرى أن الحرب مع بلاد فارس في غير صالح الدولة العثمانية ، لأنها كثيرة التكاليف قليلة الفوائد(٧٧) .

وعندما علم نادر بأمر هذه المعاهدة ، ثار غضبه وأعلن أنها خيانة للمصالح القومية كلها(٧٨) ، وأرسل خطابا الى الشاه ، والى عدد من وزرائه ، يوءنبهم على عقدها ، ويبلغهم بمدى سخطه ، وبضرورة نقض هذه المعاهدة الشائنة(٧٩) . كما أصدر بلاغا للاحتجاج على المعاهدة التي جعلت حدود الامبراطورية الفارسية نهر آراس ، وتركت الكثيرين من رعاياها أسرى في أيدي الاعداء(٨٠) ، وقال فيه :

« بما ان البنود جاءت ضد مصلحة ومنفعة الامبراطورية ، فنحن نجد أنه ليس من الضروري الموافقة عليها ، اضافة الى أن الملائكة التي تحيط بضريح الخلفاء العظام ، وامراء المؤمنين ... ترغب أمام عرش الله باطلاق سراح الأسرى المسلمين ... »(٨١) .

---

(٧٦) Shay, M.: Op. Cit., P. 139.

(٧٧) انظر : Ibid, PP. 139 - 140.

(٧٨) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 83.

(٧٩) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 104.

(٨٠) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 53.

(٨١) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 251.

وكتب أيضا رسائل الى حكام الأقاليم وقادة الجيش في البلاد ، شاجبا المعاهدة ومهددا بالموت لكل الذين يرفضون القتال[٨٢] . وقد ذكر في رسالته الى حاكم اقليم فارس : « انني سوف أزحف في الحال بجيش فخور بالنصر ، خبير بالحصار ، عديد كالنحل ، شجاع كالأسد ... دع حاملي الكؤوس يخبرون عدونا ان يغطي رأسه بالتراب ، فان الماء الذي فارق قناته سيعود اليها » ، واختتم رسالته بتهديد جميع الفرس المعارضين لتجدد الحرب مع العثمانيين ، بأنهم سيعتبرون في صف الاعداء ، وأن الذبح هو ما يستحقونه ، ومن الأثم السماح لهم بالوجود[٨٣] .

وفي نفس الوقت اتخذ نادر خطوة رسمية ، بأن أرسل مبعوثا الى القسطنطينية مع رسالة مختصرة تطالب « باعادة أقاليم بلاد فارس أو الاستعداد للحرب »[٨٤] .

وأصبح الموقف أكثر خطورة عندما علم الباب العالي بأن آن ايفانوفا Anne Ivanova قيصرة روسيا والشاه طهماسب عقدا معاهدة سلام بينهما[٨٥] ، تقرر فيها أن تعيد روسيا الى بلاد فارس الأقاليم الفارسية القزوينية التي تحتلها[٨٦] .

وكانت روسيا قد تخلت منذ وفاة بطرس الاكبر سنة ١٧٢٥م عن سياسة التوسع الخارجي ، وأدرك مستشارو القيصرة آن Anne ان الوضع في بلاد فارس قد تغير تماما في غير صالحهم ، يضاف الى ذلك التأثير المناخي المميت

---

(٨٢) Ibid.

وانظر ابراهيم افندي : مصباح الساري ،جـ١ ، ص ٢١٩ ، شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٩٩ .

(٨٣) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 55.

(٨٤) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 251.

(٨٥) Shay, M.: Op. Cit., P. 151.

(٨٦) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 253.

ـ لأقاليم بحر قزوين ـ على القوات الروسية المتواجدة هناك ، فتقرر التخلي عن هذه الأقاليم(٨٧) • وأثمرت المباحثات الروسية الفارسية عن عقد معاهدة رشت Resht في الاول من شباط ١٧٣٢ م (٤ شعبان ١١٤٤ هـ) ، والتي نصت على اعادة مازندران واستراباد وجيلان الى بلاد فارس • أما باكو ودربند، فتقرر أن تبقى في حيازة روسـيا الى أن يتم طرد العثمانيين من آذربيجـان وأرمينية وجورجيا ، والتي تشكل جزءا من الدولة الفارسية(٨٨) •

وبذلك تنازل الروس عن الأقاليم الفارسية القزوينية • أما العثمانيون فكان على نادر أن يطردهم بحد سيفه •

وقد أشارت التقارير التي وصلت العاصمة العثمانية ، الى تزايد نشاط نادر العسكري وقرب استئنافه الحرب مع العثمانيين ، حيث أعلن عن عزمـه على استرداد شرف بلاد فارس الذي أساءت اليه شروط السلام مع السلطان العثماني ، مما أدى الى استمرار الباب العالي في استعداداته العسكرية(٨٩) •

---

(٨٧) Frye, N.: Persia, P. 77.

وتقول الرواية الفارسية ، ان نادر ارسل انذارا الى القائد الفارسي يطلب منه ترك البلاد والا فانه سيرسل الفراشين ـ الخدم ـ لطرده ، فارسل البلاط الروسي مبعوثا لى مشهد ـ حيث كان نادر معسكر هناك ـ لطلب ايضاح عن هذه الاهانة ،ولكن نادر رفض اعطاء أي جواب فوري ، وترك المبعوث في المعسكر الفارسي لبعض الوقت ثم بعث في طلبه ، وقد كان خارجا لتوه من انتصار عسكري ، فوجده المبعوث الروسي جالسـا على الارض يأكل الخبز ويديه وثيابه ملطخة بالدماء ، وعندما استفسر عـن سبب استدعائه أجابه نادر بانه رغب أن يراه كيف يأكل الطعـام بيدين مغطاة بالدماء : ويمكنك ان تخبر سيدك بان مثل هذا الرجل لن يتخلى عن جيلان •

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 253.

(٨٨) علي اكبر بينا : تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جـ١ ، ص٢٦ •

Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 114;

Curson, G.: Op. Cit., Vol. I, P. 375.

وانظـــر : Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 253.

(٨٩) Shay, M.: Op. Cit., P. 142.

وبعث نادر الذي كان حينذاك في مدينة مشهد ، برسالة الى الشاه طهماسب يطلب منه مغادرة أصفهان على رأس جيشه للتقدم سويا ضد العثمانيين . وعندما رفض الشاه هذا الطلب ، زحف نادر الى أصفهان على رأس جيش تعداده ستون ألفا ، وعند وصوله اليها في آب ١٧٣٢ م (ربيع الاول ١١٤٥هـ) قام بمقابلة الشاه طهماسب حيث وبخه على عقد المعاهدة مع العثمانيين ، وحاول أن يقنعه بضرورة الاستمرار في الحرب معهم وبكل قوة وضراوة ، ولكن الشاه لم يكن راغبا في الغاء المعاهدة مع العثمانيين[٩٠] ، وبذلك أعطى الحجة لنادر لتحقيق الهدف الذي يسعى اليه وهو الوصول الى العرش . حيث تمكن نادر بعدها من تنحية الشاه عن العرش ، وارساله سجينا الى مازندران تحت حراسة مشددة[٩١] ، كما اعتقل جميع المقربين اليه[٩٢] . وأعلن تنصيب ابن الشاه طهماسب الطفل عباس ميرزا الذي لم يزل في المهد ، شاها ، وذلك في السابع من تموز ١٧٣٢ م (١٧ ربيع الاول ١١٤٥هـ) .

ولما كان الشاه الجديد الذي عرف باسم « الشاه عباس الثالث » يبلغ من العمر ثمانية أشهر ، فقد وضع نادر نفسه وصيا على العرش[٩٣] ، وألغى لقب طهماسب قلى خان ــ الذي عرف به منذ دخوله في خدمة طهماسب سنة

---

(٩٠) Fraser, J.: The Historry of Nadir Shah, P. 104.

(٩١) Ibid, P. 107.

وفيه تفصيل عن عملية تنحية الشاه .

وانظر ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جـ١ ، ص٢١٩–٢٢٠ ، العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٣٣ .

اما شاي فتذكر بان نادر سمل عيني الشاه طهماسب وارسله الى سجن ناء في خراسان .

Shay, M.: Op. Cit., P. 142.

(٩٢) العزاوي : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٢٣٣ .

(٩٣) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص١٩٩ .

Fraser, J.: Op. Cit., P. 108.

١٧٢٦م ــ واتخذ لقب (وكيل الشـــاه)[٩٤] • وبذلك أصبحت بينه وبين العرش الفارسي خطوة واحدة في امكانه أن يخطوها متى شاء[٩٥] •

وهنا ينبغي أن نتساءل : لماذا لم يعتل نادر العرش بعد خلعه للشـــاه طهماسب ؟ ويبدو لنا أن نادرا لم يكن غافلا عن حقيقة هامة ، وهي أنه مازال هناك شعور قوى بالولاء في جميع بلاد فارس للأسرة الصفوية ، ولهذا من الحكمة أن ينتظر حتى يزداد عدد العناصر غير الفارسـية الأصل في جيشه ، كما أنه كان هو الشاه الحقيقي ولكن يعوزه الاسم فقط ، ولهذا فهو يستطيع أن ينتظر دون أن يخوض أية مغامرة حتى يحين الوقت المناسب ويولى نفسه بعد ذلك حاكما على بلاد فارس • ولاشك أن تلك السلسلة من الأحـداث تشكل في مجموعها بداية لخطة دقيقة تم رسمها مقدما •

هجوم نادر قلي على بغداد عام ١٧٣٢م (١١٤٥ هـ) :

لقد أحدث خلع طهماسب من العرش قلقا في القسطنطينية ، اذ أسـرع الباب العالي في تعبئة قواته ، وحاول التـــأثير على الامراء الفرس بأن أعلن استعداده لتقديم الحماية والمساعدة لهم لاعادة ملكهم الى العرش[٩٦] •

أما نادر الذي كان قد أعلن عن عزمه على استرداد شـرف بلاد فارس الذي أساءت اليه شروط السلام مع السلطان العثماني ، فانه بدأ زحفه من العاصمة أصفهان في خريف ١٧٣٢م (١١٤٥هـ) لمحاربة العثمانيين[٩٧] ، بعد أن اطمأن الى وضعه في العاصمة بتعيين الضباط المخلصين له في مراكز مهمة ،

---

(٩٤) احمد راسم : عثماني تاريخي ، جـ٢ ، ص٣٨٥ ، العزاوي العراق بين احتلالين ،جـ٥ ، ص٢٣٣ ٣ ويذكر المؤرخ الفارسي غلام مقتدر ان نادر اتخذ لقب (نائب السلطنة ووكيل الدولة) .
غلام مقتدر : نبرد هاي بزرك نادر شاه ، ص ٥٤ .

(٩٥) لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٧٠ .

(٩٦) Shay, M.: Op. Cit., P. 142.

(٩٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص٢٩ ، شمعداني زاده : مراي التواريخ مخطوط ، ورقة ١٥٤ .

وإبعاد المسئولين المشكوك في ولائهم الى أقاليم بعيدة(٩٨) . وبعث برسالة الى احمد باشا والى بغداد يتوعده فيها وينذره بأنه زاحف نحو بغداد لفتحها حيث خاطبه قائلا : « ليكن معلوما لديكم ، يا باشا بغداد ، اننا نطالب بجميع الايرانيين الذين أسروا في الحرب الأخيرة .. نحن سائرون حالا على رأس جيشنا المظفر لنتنسم هواء سهول بغداد العليل ، ولنستريح في ظل أسوارها »(٩٩) .

وقد أسرع احمد باشا بتحصين مواقع الحدود في درنة ومندلي وبدرة(١٠٠) ، وعزز حامياته في زهاب وقصر شيرين . ثم أصلح مراكز الدفاع الموجودة في سور بغداد ، وأخبر الباب العالي بسرعة دنو الخطر(١٠١) . وذكر في رسالة بعثها الى القسطنطينية ، بيد مبعوثه عثمان أغا الجوقدار « ... ليس لدينا جيش يعتمد عليه ، اتفقت كلمتنا أن تتخذ الحصار في بغداد ... نطلب الاهتمام للأمر واتخاذ العدة اللازمة من جميع جهاتها »(١٠٢) . وقد اسرعت الدولة العثمانية بأرسال نجدات كبيرة الى بغداد(١٠٣) .

أما نادر فقد اقترب بقواته التي تقدر بمئة ألف مقاتل من الحدود العراقية ، وبدأ بمهاجمة المواقع التي قام أحمد باشا بتعزيزها ، فاستطاع أن يحتل موقع زهاب بعد أن فاجأ القوات العثمانية هناك ، بمهاجمتها ليلا من جهة غير متوقعة(١٠٤) . ثم بدأ توغله في الأراضي العراقية ، وبدلا من أن يتجه

---

(٩٨) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 109.

(٩٩) لونكريك : اربعة قرون ، ص١٦٩–١٧٠ .

(١٠٠) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٢٩ .

(١٠١) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، جعفر الخياط : صور من تاريخ العراق جـ١ ، ص١٣١ .

(١٠٢) العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص٢٣٣–٢٣٤ .

(١٠٣) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١١٧ ، الكركوكلي دوحة الوزراء ص ٢٩ .

(١٠٤) ميرزا مهدي خان : جهانكشاي نادري ، ص١٩١–١٩٢ ، دره نادره ، ص٧٣٥ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

مباشرة الى بغداد تظاهر بأنه زاحف بجيشه نحو كركوك ، على أمل أن يخدع احمد باشا ويجعله يتحرك من بغداد لملاقاته[105] .

وبالقرب من طوز خورماتو[106] ، توقف نادر وأرسل قسما من قواته لغزو كركوك[107] ، ولكن القوات الفارسية واجهت مقاومة شديدة فعجزت عن احتلالها ، وعندئذ قامت بتدمير القرى المجاورة لهـا[108] . وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات فارسية تقدر بثمانية آلاف مقاتل يقودها (نركزخان) تشن هجوما على الموصل ، الا أن واليها حسين باشا الجليلي تمكن من صدها والحاق الهزيمة بها ، فاضطرت الى التقهقر بعد أن قتل قائدها نركز خان ، والتحقت بالجيش الرئيسي الذي كان قد اقترب في زحفه من بغداد[109] .

وكان نادر قد واصل تقدمه من طوز خورماتو وتمكن من دحر القوات العثمانية المتواجدة بالقرب من شهربان[110] ، كما حاصر بعد عبوره نهر ديالى بهرز ، وصار على بعد عدة مراحل من بغداد ، فرقة اســتطلاع عثمانية كانت

---

(105) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٢٩ .

(106) قرية تقع الى الشرق من الطريق المباشر المار من بغداد الى الموصل ، والى الشمال الغربي من كركوك .

(107) ميرزا مهدي خان : جهانكشاي ، ص١٩٣ .

(108) صفحة من تاريخ نادر شاه ، نبذة تاريخية كتبها احد نصارى كركوك المعاصرين لنادر ، ونشرها نرسيس صائفيان في مجلـة لغة العرب الجزء الخامس ، السنة السابعة ، مايس ١٩٢ . ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(109) ياسين العمري : غاية المرام ، ص ١٨٠ ، زبدة الاثار الجلية ، ص ٨٨ ، محمد امين العمري : منهل الاولياء ، جا ، ص ١٤٧ ، سليمان صائغ تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص٢٧٤ .
ومما يجدر ذكره هنا انه لم ترد اية اشارة في المصادر الفارسية الى قيام القوات الفارسية بمهاجمة الموصـــل .

(110) قضاء تابع لمحافظة ديالى ، وهي تبعد عن بغداد حوالي١٥٨ كيلومترا .

قد ارسلت للتعرف على حقيقة العدو ، فقتل وأسر عددا كبيرا من أفرادها ، كما قتل قائدها محمد باشا حاكم كوى[١١١] .

وفي أواخر كانون الاول ١٧٣٢م (رجب ١١٤٥هـ) بدأ نادر بفرض حصاره على الجانب الشرقي من بغداد ، وقد عسكر بالقرب من قصبة الامام الاعظم أبي حنيفة ، وعزم على العبور الى الجانب الايمن لنهر دجلة ، لتطويق بغداد من جميع جهاتها وكان احمد باشا والي بغداد قد قام بتحصين هذا الجانب ، لمنع أية محاولة فارسية للعبور[١١٢] . وفي العشرين من كانون الاول ١٧٣٣ م (شعبان ١١٤٥ هـ) ، احبطت أول محاولة لهم[١١٣] .

غير ان نادر استعان بمهندس أوروبي كان يرافقه في الحملة ، في انشاء جسر عائم من جذوع النخيل على بعد عدة أميال من شمال بغداد ، وبعد الانتهاء منه ، تمكنت ثلة من القوات الفارسية تعدادها الفان وخمسمائة مقاتل ، يقودها نادر نفسه ، من العبور الى الجانب الأيمن من نهر دجلة ، وذلك في الخامس عشر من شباط (الاول من رمضان ١١٤٥ هـ) ، ثم عبرت بالزوارق قوات أخرى تتألف من ألف وخمسمائة مقاتل ، فتكون من ذلك رتل قوي زحف الى الكرخ[١١٤] ، فتصدت لهم القوات العثمانية بقيادة قره مصطفى باشا ، وأسرع احمد باشا في ارسال تعزيزات كبيرة الى هناك[١١٥] . وقد جرت معركة عنيفة رجحت فيها كفة العثمانيين في أول الامر ، حتى خاف نادر

---

(١١١) ميرزا مهدي خان جهانكشاي نادرى ، ص ١٩٤ ، محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٢٩–٢٣٠ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٧١ .

(١١٢) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١١٧و١١٨ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٩–٣٠ .

(١١٣) لونكريك : أربعة قرون ، ص ١٧١ .

(١١٤) ميرزا مهدي خان جهانشاي نادرى ، ص١٩٦–١٩٧ ، محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣١ وانظر لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(١١٥) السويدي : المصدر السابق ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٢٠ ، الكركوكلي المصدر السابق ، ص٣٠ .

على حيـاته ، الا أن نجـدات فارسـية عبرت بسـرعة ، فتغير الموقف ، وانسحبت القوات العثمانية الى المدينة بعد أن تكبدت خسائر كبيرة[116] ، تاركة مدافعها ومعداتها هناك[117] .

واذ ذاك أمر احمد باشا سكان جانب الكرخ بالانسـحاب العام الى الجانب الأيسر[118] (الرصافة) ، ليكونوا في حماية سـوره المنيع ، وقد صحب هذا الانتقال عبر دجلة أهوال ومصاعب كبيرة حيث يذكر الكركوكلي « وكانت السـفن لا تكاد تكفي لنقـلهم من جانب الى جانب ، ومن جراء الازدحام هلك خلق كثـير من النـاس ، بمن فيهم الشـيوخ والعجـائز والاطفال »[119] .

وقد خف نادر لاحتلال رأس الجسـر في جانب الكرخ[120] ، وبعث قسما من قواته لاحتلال سـامراء والحـلة وكربـلاء والنجف والحسـكة والرماحية[121] .

لقد أصبح الموقف في بغداد حرجا تماما ، بعد أن أحكم الفرس الحصار حولها ، وبدأت الهجمـات تتوالى من الجانبين[122] ، فأدرك الفرس ضعف مدفعيتهم وعدم كفايتها للاسـتيلاء على بغداد ، التي كان سـورها محكما

---

(١١٦) لونكريك : اربعة قرون ، ص١٧٢ .

(١١٧) ميرزا مهدي خان : جهانكشـاي نادرى ، ص١٩٨ ، محمد حسين حسين قدوسي : نادر نامه ، ص ٢٣١ .

(١١٨) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٢

(١١٩) الكركوكلى : دوحة الوزراء ، ص ٣٠ .

(١٢٠) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(١٢١) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 287.
وانظر كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٤٥ محمد حسين قدوسي : المصدر السابق ، ص٢٣١ .

(١٢٢) محمد حسين قدوسي : المصدر السابق ، ص٢٣١ ــ ٢٣٢ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

وخندقها عميقا ، حيث لم تتمكن المدفعية الفارسية من احداث ثغرات خطيرة فيه ، ولذا لم يكن أمامهم غير الاستمرار في الحصار حتى تستسلم لهم(١٢٣) .

وفي الوقت نفسه كانت حامية بغداد قليلة العدد ، غير قادرة على القيام بهجوم فجائي خارج السور ، فلجأ نادر الى الأساليب النفسية للتأثير على معنويات المحاصرين ، فكان يرسل أرتالا من جيشه بصورة خفية ليلا الى اطراف بغداد ، ثم يعودون بوضح النهار وكأنهم نجدة قادمة الى الفرس(١٢٤) .

والواقع أن الحالة داخل المدينة المحاصرة أصبحت مضطربة ، فقد كان الضيق آخذا بالاشتداد ، حيث قلت الاقوات ، ويأس الناس من أمل وصول الامدادات العسكرية من الباب العالي ، رغم أن احمد باشا والي بغداد كان يشرف بنفسه على شؤون الدفاع ومناوشة العدو ، وعلى ادامة المقاومة وبث الروح المعنوية لاطالة أمد الثبات والصمود ، حيث كانت تذاع من وقت لآخر وبايعاز منه ، أخبار تنبىء بقرب وصول الامدادات(١٢٥) . لكن ويلات المجاعة أخذت شكلا مروعا في المدينة ، بحيث أكل الناس لحم الحمير والكلاب والقطط ، فانتشرت الاوبئة بصورة هائلة ، وبلغت الحالة ــ كما يصفها الشيخ عبدالرحمن السويدي ــ أنه أثناء خروجه من مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني بعد انقضاء صلاة الجمعة متجها نحو منزله ، شاهد في طريقه امرأة منكبة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع من لحمه وتضعه في حجرها(١٢٦) .

وفي هذه الأثناء ورد كتاب من مفتي الجيوش الفارسية الى علماء بغداد ــ بناء على أمر من نادر ــ يقول لهم فيه :

---

(١٢٣) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ ، ريجاردكوك : مدينة السلام ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(١٢٤) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(١٢٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣١ .

(١٢٦) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ مخطوط ورقة ١٢١ و ١٢٢ .

« اننا علمنا بما وصلت اليه الحالة بكم ، وعلمنا أنكم تنقصكم الأقوات والعساكر والعتاد ، وأن الناس قد أهلكتهم المجاعة ، فأنتم وحدكم المسئولون عنهم عند الله . قولوا لاحمد باشا أن لا يلقي الناس الى التهلكة عبثا ، وأن يستسلم فان ذلك أولى له من الدمار التام »(١٢٧) .

فلما بلغ الباشا ذلك قال للعلماء اكتبوا له « انني لا أسلم حجرا من أحجار بغداد حتى اقبر في مكاني هذا ، وأن ذخيرتنا كافية ومددنا كثيرة العدد متواصلة المدد ، ولم يكن توقفنا عن مناوشتكم في بعض الايام دون علة او حكمة ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »(١٢٨) .

وبالرغم من أن الباشا قد بقي رابط الجأش قوي العزم ، الا ان الاستمرار في المقاومة أصبح مؤديا لهلاك المئات من نفوس الجائعين ، وكاد الجند أن يتمردوا على قادتهم لولا ما كان يبلغهم من وجود اتصالات مع الفرس لعقد هدنة أو صلح(١٢٩) . ولو لم يصل جيش مسعف ، بعث به السلطان العثماني لفك الحصار عن بغداد ، لما كان في امكان أحمد باشا انقاذ المدينة(١٣٠) . فقد وصل الموصل في أوائل حزيران ١٧٣٣ م (محرم ١١٤٦ هـ) طوبال عثمان باشا الصدر الأعظم السابق ، على رأس جيش تعداده ثمانون ألفا ، بعد زحف من القسطنطينية استغرق ستة شهور تقريبا(١٣١) . وبعث برسالة الى احمد باشا يخبره فيها بأنه قادم لنجدته(١٣٢) ، فاشتدت العزائم ، واستماتت المحاصرون في الدفاع(١٣٣) .

---

(١٢٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣١ وانظر السويدي : المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٢٢ .

(١٢٨) السويدي : المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٢٢

(١٢٩) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣١ .

(١٣٠) Malcolm, J.: Op. Cit., II, P. 56; Sykes, P.: Op. Cit., II, P. 251.

(١٣١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٧٤ وانظر : كامل باشا تاريخ سياسي دولت علية ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(١٣٢) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣٣ ،

(١٣٣) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص٣٣ .

وعندما تأكد نادر الذي كان مرابطا ينتظر استسلام بغداد ، من صحة اقتراب القوات العثمانية ، أصدر أوامره بتشديد الحصار على المدينة[١٣٤] ، وبعث كتابا الى طوبال عثمان باشا ، الذي كان قد وصل في زحفه الى كركوك، تمنى له فيه رحلة سريعة نحو حتفه ، وعند اقترابه من سامراء — على بعد ٩٦ كيلومترا الى الشمال من بغداد — تسلم كتابا آخر من نادر يعلمه فيه بأنه جاهز لملاقاته في أي وقت ومكان يختاره هو[١٣٥] . ثم زحف نادر على رأس قوة كبيرة مؤلفة من خمسين ألف مقاتل[١٣٦] لمجابهة القوات القادمة قبل وصولها الى بغداد ، تاركا اثنى عشر ألفا من قواته لمواصلة حصار بغداد[١٣٧] .

وعندما علم طوبال بذلك عن طريق دوريات الجند الاستطلاعية ، التي كان يرسلها لمعرفة تحركات نادر العسكرية ، توقف عن المسير ، وعسكر على ضفاف دجلة بالقرب من سامراء ، وأمر ضباطه بالاستعداد للمواجهة[١٣٨] .

وفي صباح اليوم التاسع عشر من تموز ١٧٣٣ م (٦ صفر ١١٤٦هـ) ، التحمت طلائع القوتين[١٣٩] ، في معركة كانت في ضراوتها واحدة من أشد

---

(١٣٤) نفس المصدر .

(١٣٥) لونكريك : أربعة قرون ، ص ١٧٤ ، محمد حسين قدوسي نادر نامة ص٢٣٣ — ٢٣٤
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 251.

(١٣٦) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(١٣٧) ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جـ١ ، ص٢٢٠ ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص١٤٥ ، محمد حسين قدوسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٣—٢٣٤ العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٤١ .
اما لونكريك فيقول ان القوة التي تركها نادر لتديم الحصار كانت مؤلفة من ثمانية الاف مقاتل . (لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٦) .

(١٣٨) لونكريك : المصدر السابق ، ص‌ص ١٧٤—١٧٥

(١٣٩) ابراهيم افندي : المصدر السابق ، جـ١ ،ص ٢٢ ، منصوري زادة : نتائج الوقوعات ، جـ٣ ، ص٣٢ ، مينورسكي : تاريخچه نادر شاه ، ص٦٥ ، قدوسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 290.

المعارك التي خاضها العثمانيون والفرس[١٤٠] ، وتمكنت قوات نادر في بدايتها من دحر خيالة العثمانيين ، الا أن تقدم قوة المشاة العثمانية ، أعاد التوازن الى المعركة[١٤١] . فشن الفرس هجوما عنيفا أرغم خط الدفاع العثمـاني على التقهقر ، وتم الاستيلاء على قسم كبير من مدفعيته ، فأصبح موقف العثمانيين حرجا ، ولكن طوبال عثمان باشا واجه الموقف الصعب برباطة جاش ، ورفض فكرة مستشاريه الذين أشاروا عليه بالتقهقر ، وزج بقواته الاحتياطية المؤلفة من عشرين ألف مقاتل الى ساحة المعركة ، فأستطاعت الحد من الهجوم الفارسي ، واستعادت المدفعية التي فقدتها[١٤٢] ، مما دفع نادر أن ينزل بنفسه الى قلب المعركة ، فسقط مرتين على الأرض ، وهرب حامل لوائه من الميدان معتقدا أن نادر قد قتل ، وبلغ جنده درجة الاعياء من الحر والعطش ، فبالاضافة الى أشعة شمس تموز المحرقة ، لم يكن بوسع الفرس الحصول على الماء لسيطرة العثمانيين على ضفاف دجلة ، فأضطر نادر الى الانسحاب من أرض المعركة ، بعد أن أضاع سيطرته على الفلول المتفرقة من جيشه[١٤٣] .

وهكذا بعد قتال مرير دام تسع ساعات متواصلة ، انتهت المعركة بهزيمة تامة وساحقة لقوات نادر[١٤٤] ، وأرسلت رسائل الظفر من ميدان الموقعة[١٤٥] الى السلطان ، والى باشا بغداد[١٤٦] .

---

(١٤٠) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 57; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1197; Sykes, P.: Op. Cit., II, P. 252.

(١٤١) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P.. 252.

(١٤٢) لونكريك : اربعة قرون ، ص١٧٥ ، محمد حسين قدوسي : نادر نامة ص ٢٣٤ .

(١٤٣) قدوسي : المصدر السابق ، ص٢٣٤-٢٣٥ ، Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 57.

(١٤٤) تاريخ صبحي ، جـ١ ، ص ٩٧ ، ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جـ١ ، ص ٢٢ ، احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ ، لونكريك : اربعة قرون ص ١٧٦ .

(١٤٥) كان ميدان الموقعة عند قرية الدجيل على ضفاف دجلة ، على بعد ٦٢ كيلو مترا الى الشمال من بغداد . انظـــر :

وقد كانت خسائر الفرس تقدر بثلاثين ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير ، اضافة الى فقدانهم لمدفعيتهم وذخائرهم[147] ، في وقت فقد فيه العثمانيون حوالي عشرين ألفا من رجالهم[148] . ويمكن أن يعزى صمود العثمانيين الى شخصية قائدهم البطولية وثباته في المعركة ، فقد كان خلالها « يوجه رجاله بحكمة كبيرة وعزم » على حد قول طبيبه الفرنسي الخاص جان نيكوديم في رسالة له الى السفير الفرنسي في القسطنطينية الماركيز دي فينليوف مؤرخة في ١٠ آب ١٧٣٣ م . ويستطرد الكاتب الفرنسي في وصفه لطوبال يوم المعركة قائلا : « وبعد أن صلى ، امتطى صهوة جواده ، وهو عمل لم يقم به خلال الحملة ، اذ كان محمولا على محفة بسبب اعتلال صحته ، ولا يمكن أن أعزو القوة التي أظهرها الآن الى شيء سوى روحه العسكرية ، والحماس المتأجج في داخله ... فقد رأيته ممتطيا جواده كأنه في عنفوان الشباب ، قابضا بيده على سيفه ، فكانت سيماه تبعث في الناظرين اليه الحماسة والنشاط ، وعيناه تتألقان حين يصدر أوامره بخفة مدهشة وفكر متيقظ »[149] .

Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 290; Lavallee, T.: Op. Cit., P. 367.

(١٤٦) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(١٤٧) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣٥ .
وانظر لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
اما فريزر فيقول ان خسائر الفرس في المعركة تقدر بـ (٦٠ الف جندي) ، وكذلك فقد العثمانيون مايقرب من هذا العدد .
Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 110.

(١٤٨) Lavallee, T.: Op. Cit., P. 367.

(١٤٩) انظر نص رسالة نيكوديم الى السفير الفرنسي في :
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 514-528.
وفي الرسالة وصف مسهب لمعركة التاسع عشر من تموز ١٧٣٣ م (٦ صفر ١١٤٦هـ)
وانظر لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٧٥ .
Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, PP. 353-4.

لقد انقذ النصر الذي احرزه طوبال عثمان باشا بغداد من السقوط بايدي الفرس ، فقد هرب نادر جريحا ومعه فلول قواته المنهزمة عن طريق بجز باتجاه الاراضي الفارسية.[150] وقام احمد باشا عند وصول انباء الانتصار ، بمهاجمة القوة الفارسية المرابطة عند اسوار بغداد ، فقتل معظم افرادها،[151] واستطاع الباقون الهرب الى بلاد فارس بمساعدة اعراب بني لام[152] فتخلصت بغداد من الحصار الذي عانت منه الويلات طيلة سبعة شهور[153] ابدى فيها احمد باشا صمودا عظيما ، لولاه لاستسلمت بغداد في وقت مبكر[154] .

وفي مساء الثالث والعشرين من تموز ١٧٣٣ م (١٠ صفر ١١٤٦ هـ) وصل طوبال عثمان باشا الى قرب اسوار بغداد فاستقبله احمد باشا[155] ، ثم دخل المدينة التي كانت اقرب ماتكون الى مقبرة كما يقول نيكوديم[156] . وقد قدر عدد الذين ماتوا فيها جوعا خلال فترة الحصار باكثر من مائة الف ، رميت جثث الالوف منهم في النهر وبقيت جثث الباقين تملأ الهواء بعدواها فجاءت بالمرض اثر المجاعة[157] .

---

(١٥٠) ابراهيم افندي : مصباح الساري ، جا ، ص ٢٢٠ ، احمد راسم : عثماني تاريخي ج٢ ، ص ٣٨٦ ، Shay, M.: Op. Cit., P. 144.

(١٥١) يبالغ لونكريك حين يقول ان القوة الفارسية ابيدت عن اخرها ولم يسلم منها انسان . (لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٦) .

(١٥٢) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص٢٣٥ .
ومما يجدر ذكره هنا ان بني لام كانوا يسببون كثيرا من المتاعب لباشا بغداد بتحالفهم المستمر مع الفرس ومناصرتهم لهم عند قيامهم بأي غزو للعراق .
انظر العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ١٦٥ .

(١٥٣) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٢٦ .

(١٥٤) الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، جا ص ١١٣ .

(١٥٥) لونكريك : اربعة قرون في تاريخ العراق ، ص ١٧٦ .

(١٥٦) Jean Nicodem (Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 257).

(١٥٧) لونكريك : المصدر السابق ، ص١٧٧ .

وقد استقبلت القسطنطينية اخبار انتصار طوبال عثمان باشا ، وانتهاء حصار بغداد ، بفرح عظيم ، وامتدت الاحتفالات ثلاثة ايام بلياليها ، وانهالت على طوبال الالقاب والتفويضات ، حيث انعم عليه السلطان محمود الاول بلقب (الغازي)[١٥٨] . وقد تفاخر الصدر الاعظم علي باشا حكيم اوغلو امام السفير الفرنسي في القسطنطينية الماركيزدي فيلنيوف Villeneuve بأن طوبال عثمان جمع غنائم من الحرب تكفي لتحصين وتسليح مدينة جديدة[١٥٩] .

وقد وصف انقاذ بغداد بأنه كان بالنسبة للعثمانيين يضارع في اهميته انقاذ السلطان مراد الرابع لعاصمة الخلفاء من قبل[١٦٠] . وقد سمى الناس (طوبال واحمد) مجددى الامبراطورية[١٦١] . غير ان الابتهاج كان لمدة قصيرة ، اذ لم يؤد الانتصار الى السلام المنشود ، فقد عزم نادر ــ الذي لم تضعف هذه الكارثة من روحه[١٦٢] ــ على القيام بمحاولة اخرى في ميدان القتال[١٦٣] .

نادر يشن هجوما ثانيا على بغداد :

استطاع نادر في اقل من ثلاثة اشهر بعد هزيمته ، ان يعيد بناء جيشه[١٦٤] وكان قد عبر الحدود العراقية وتوقف عند همدان التي وصلها في الرابع من آب ١٧٣٣ م (٢٢ صفر ١١٤٦هـ)[١٦٥] حيث لحقت به معظم فرق جيشه التي كانت قد تشتت ، وابلغهم بان لديه معلومات وثيقة تفيد بان طوبال عثمان باشا قد قام بتسريح قسم من جنوده ، وان بغداد ماتزال في قحط[١٦٦]

---

(١٥٨) احمد راسم عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ .

(١٥٩) Shay, M.: Op. Cit., P. 144.

(١٦٠) جعفر الخياط : صور من تاريخ العراق ، جـ١ ، ص ١٣٧ .

(١٦١) Shay, M.: Op. Cit., P. 144.

(١٦٢) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1198.

(١٦٣) Shay, M.: Op. Cit., P. 144.

(١٦٤) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 252.

(١٦٥) مينورسكي : تاريخجه نادر شاه ، ص ٦٥ .

(١٦٦) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 110.
وانظـر : السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٢٦ .

ولذا فانه قد عقد العزم على مهاجمتها مرة اخرى ، لانه لن يتوقع الرحمة من بلاده بعد ماحدث له ، واقسم الا يعود اليها ابدا الا منتصرا وقال ان الكارثة التي حلت بجيشه كانت من صنع القدر ولانستطيع ان نحاسب القدر(١٦٧) . ورفع من معنويات جنده وشجعهم ومنحهم اجازة ليستريحوا ويستعدوا للحرب مرة ثانية ، ووزع عليهم مائتي الف تومان(١٦٨) (ما يعادل ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه انجليزي تقريبا) تعويضا لهم عما لحق بهم من خسائر(١٦٩) . وقد لعبت شخصيته وشهرته الواسعة دورا كبيرا في تدفق المتطوعين اليه من كل انحاء بلاد فارس(١٧٠) .

اما بالنسبة للجيش العثماني ، فان طوبال عثمان باشا قد قام بتسريح الجيوش الاجيرة الى ولاياتها العربية والكردية(١٧١) ، اعتقادا بأن الجيوش الفارسية لايمكن ان تقوم لها قائمة بعد تلك الهزيمة النكراء(١٧٢) ثم انسحب من معسكره قرب بغداد عائدا الى القسطنطينية(١٧٣) ، اذ لم يكن بوسعه ان يطعم حتى البقية الباقية من جيشه حيث كانت بغداد في قحط ، وقد طلب في كتبه الى القسطنطينية جميع انواع النجدة والتجهيزات ولكن لم يصل منها شيء(١٧٤) ويعود هذا الى ان القائد العثماني طوبال بعد ان حقق هذا الانتصار اصبح ضحية للمؤامرات والمكائد في القسطنطينية(١٧٥) .

---

(١٦٧) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 110.

(١٦٨) عملة فارسية فضية .

(١٦٩) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣٧ ، مينورسكي : تاريخه نادر شاه، ص٦٥

(١٧٠) Fraser, J.: Op. Cit., P. 111; Sykes, P.: Op. Cit., II, P. 252.

(١٧١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٧٧ .

(١٧٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣٤ .

(١٧٣) منصوري زادة : نتائج الوقوعات ، جـ٣ ، ص ٣٢ .

(١٧٤) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

وانظـــر :

(١٧٥) Shay, M.: Op. Cit., P. 144.

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 252.

اما احمد باشا فقد كان يتوقع ان نادراً لا محالة سيعيد الكرة ، فرمم سور بغداد واصلح الخندق والقلعة[176] . وكتب ايضا الى القسطنطينية يطلب نقودا وقوات ، وبعث مع طلبه تقارير عن نشاط نادر في الاستعداد لهجوم اخر ، ولكن لم يرسل اليه الا كلمات وتعبيرات دبلوماسية[177] .

وفي الثاني من تشرين الاول ١٧٣٣م (٢٢ ربيع الثاني ١١٤٦هـ) زحف نادر من همدان على رأس جيشه الذي اعيد بناؤه[178] ، للقيام بهجوم جديد على بغداد ، بعد مضي اقل من ثلاثة اشهر على هزيمته الاولى[179] ولما كان طوبال عثمان باشا مايزال باطراف كركوك في طريق عودته الى القسطنطينية ، فقد جعل نادر وجهته الاولى جيش عثمان لا بغداد ، لانه ليس من الممكن ان ينجح أي حصار كان وفي ساحة المعركة جيش يقطع على المهاجمين اتصالهم بقاعدتهم[180] ، وبعث برسالة الى طوبال يهدده بأنه بعد ان ينتصر عليه سوف يتوجه الى القسطنطينية[181] .

وعلى هذا سار نادر بجيشه شطر كركوك ، فاستعد طوبال عثمان لمهاجمته رغم قلة المؤن والعتاد لديه[182] ، غير انه تمكن من جمع قوات صغيرة من الولايات المجاورة كالموصل وديار بكر ، واسرع بارسال قوة مؤلفة من ستة الاف مقاتل من قواته التي تقدر بخمسين الفا الى الحدود بقيادة بولات باشا حاكم ادنة ، لصد القوات الفارسية ومنع تقدمها ، الا انها اضطرت الى التراجع بعد عدة اشتباكات ، ولم تتمكن من الصمود امامها[183] .

---

(١٧٦) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٧٧ .

(١٧٧) Shay, M.: Op. Cit., PP. 144-5.

(١٧٨) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣٧ ، مينورسكي : تاريخجه نادر شاه ، ص٦٥

(١٧٩) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 83.

(١٨٠) لونكريك : المصدر السابق ، ص١٧٨ .

(١٨١) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٤٠ ص١٦٢ .

(١٨٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣٤ .

(١٨٣) لونكريك : المصدر السابق ، ص١٨٧ .
وانظر ايضا قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٣٧ .

وقد تقدمت القوات الفارسية لمسافة كبيرة باتجاه كركوك ، وعند وصولها سهل ليلان جنوبي شرقي كركوك في الرابع والعشرين من تشرين الاول ١٧٣٣م (١٥ جمادى الاولى ١١٤٦هـ) ، حدثت اشتباكات بينها وبين فصائل من قوات طوبال عثمان باشا . وقد تمكن نادر من الاستيلاء على حصن سورداش ، ودارت معركة في التاسع من تشرين الثاني مع القوات العثمانية التي كانت بقيادة مميش باشا والي الموصل عند مضيق اق دربند ، وبعد بدء المعركة وصل في الحال طوبال عثمان باشا على رأس قواته التي التحمت في حرب دامية مع الفرس[١٨٤] .

ولما كانت القوات الفارسية تواقة لازالة الهزيمة التي لحقت بها من قبل ، فقد قامت بهجوم عنيف والقت بنفسها وسط الجيش العثماني ، وعندئذ ترك طوبال محفته وامتطى جواده ، وقام بمحاولات مستمية ، ليستجمع قوى رجاله[١٨٥] ، ولكن حدث هجوم اخر جعل العثمانيين يتقهقرون ثانية ، وسقط طوبال صريعا[١٨٦] كالجندي الشجاع والسيف في يده حتى النهاية مفضلا

---

(١٨٤) ميرزا مهدي خان : درة نادرة ، ص ٧٣٧ ، جهانكشاي نادرى ، ص ٢١٥ ، قدوسي : نادر نامة ، ص٢٣٧–٢٣٨ .
Uzunçarşili: Osmanli Tarihi, Vol. 4, P. 225.

(١٨٥) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٧٩ .
Shay, M.: Op. Cit., P. 145.

(١٨٦) يعد طوبال عثمان باشا من الشخصيات السياسية والعسكرية المهمة في تلك الفترة ، وكان قد ولد في المورة سنة ١٦٩٢م ، وتلقى تعليمه في القسطنطينية ، وفي سن السادسة والعشرين شغل منصب بكلربكي وارسل في مهمة الى حاكم مصر ، وفي خلال السفرة تعرضت سفينته الى هجوم سفينة قرصنة اسبانية ، وقد اصيب عثمان باشا بجرح خلال المعركة جعله اعرجا طيلة حياته ، فلقب منذ ذلك الوقت بطوبال اي (الاعرج) وفي سنة ١٧٢٢م (١١٣٥هـ) عين قائدا عاما (سرعسكر) للقوات في اليونان ، ثم اصبح في سنة ١٧٢٨م (١١٤١هـ) واليا للروم ايلي ، واحتل في سنة ١٧٣١م (١١٤٤هـ) منصب الصدارة العظمى حتى نحي عنه في ١٧٣٢م (١١٤٥هـ) ، وعندما شاع في القسطنطينية الخطر الفارسي المحدق ببغداد ، عين طوبال قائدا عاما للقوات في اسيا ←

الموت على الفرار[١٨٧] ، وهلك معه اكثر من ثمانية الاف من افضل قوات الروملي[١٨٨] . وغنم الفرس جميع الامتعة والمدفعية ووسائط النقل[١٨٩] ، وقدرت خسائر العثمانيين بعشرين الفا مابين قتيل واسير[١٩٠] وعندما جيء بجثة طوبال الى مقر نادر ، وقف الاخير « صامتا مدة من الزمن وهو يتأملها بخشوع تام» ثم امر بارسالها الى بغداد[١٩١] ، وعهد بتلك المهمة الى احد الاسرى العثمانيين ، وهو القاضي عبدالكريم افندي قاضي ارزنجان[١٩٢] .

وحين سمع احمد باشا والي بغداد بهزيمة الجيش العثماني ومقتل طوبال عثمان باشا ، واجه الموقف بعزيمة ثابتة ، واستعد لمقاومة الجيش الفارسي ، واصدر اوامره بالسماح للذين لايقوون على تحمل الحصار بمغادرة المدينة ، وبعث هو بعائلته الى البصرة[١٩٣] .

ليرد الخطر ، وخول السلطة التامة في جمع القوات واستخدام الموارد المختلفة في الولايات الشرقية .

انظر لونكريك : المصدر السابق ص ١٧٣-١٧٤ .

Creasy, E.: Op. Cit., PP. 351 - 2.

ومحمد ثريا : سجل عثماني ، جـ٣ ، ص٤٢٨ .

(١٨٧) Creasy, E.: Op. Cit., P. 354.

(١٨٨) Shay, M.: Op. Cit., P. 145.

(١٨٩) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(١٩٠) نادر نامة ، ص ٢٣٩ .

(١٩١) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

ويذكر كريسي ان جثة طوبال نقلت بعد ذلك الى القسطنطينية حيث دفنت هناك .

Creasy, E.: Op. Cit., P. 354.

(١٩٢) نادر نامة ، ص٢٣٩ وانظر ابراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه ، مخطوط ورقة ٥٦ وارزنجان قصبة سنجق في ولاية ارضروم ، ويقال ان معظم اهلها ارمن .

دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٢ ، مادة ارزنجان .

(١٩٣) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٢٧ ، الكركوكلي دوحة الوزراء ، ص ٣٤-٣٥ .

اما نادر قلي فقد كان واثقا تماما من ان بغداد سوف تسقط في يده بسهولة ، اذ لا امل في انقاذها بعد تلك الهزيمة التي لحقت بالجيش العثماني عند اق دربند ، فبدأ زحفه نحوها ، وبعث بقوة من جيشه بقيادة (باباخان جابشلو) بكلربكي[194] لورستان لاحتلال الحلة والنجف وكربلاء ، وذلك للحيلولة دون وصول المؤمن الى بغداد[195] . غير ان نادر عند وصوله بغداد وتطويقه لها ، تلقى اخبارا تفيد بان (محمد خان بلوج) حاكم اقليم فارس قد قام بثورة لمصلحة الصفويين ، وانه نادى بطمهاسب شاها على البلاد[196] ، مما اضطره الى طلب الصلح بشرط ان تعاد اليه المدافع التي استولى عليها العثمانيون بعد هزيمة طهماسب قرب همدان[197] .

وقد كان طلب نادر لعقد الصلح بمثابة نجدة لباشا بغداد نزلت من السماء[198] ، وبعد مفاوضات استمرت لمدة تزيد على سبعة ايام ، توصل كل من نادر واحمد باشا الى عقد معاهدة في اليوم التاسع عشر من كانون الاول ١٧٣٣م (١١ رجب ١١٤٦هـ) اعتبرت فيها الحدود بين الدولتين هي تلك التي خططتها معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩م (١٠٤٩هـ) ونصت على اطلاق سراح الاسرى من الجانبين ، واعادة المدافع المستولى عليها ، وكذلك تسهيل زيارة الحجاج الفرس للعتبات المقدسة[199] .

---

(١٩٤) بكلربكي : بيك البيكات وهو لقب حاكم ايالة .

(١٩٥) نادر نامة ، ص ٢٤٠ وانظر العزاوي : العراق بين احتلالين ،ج٥ ص ٢٤٣ .

(١٩٦) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 112.
عن هذه الثورة انظر ميرزا مهدي خان : درهنادره ، ص٧٣٨–٧٣٩ .

(١٩٧) السويدي : المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٢٨ ، الكركوكلي : المصدر السابق ،ص٣٥، ابراهيم متفرقة: تاريخ نادر شاه ، مخطوط ،ورقة٥٦

(١٩٨) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٨٠ .

(١٩٩) نفس المصدر .
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 334.

وقد ارسل اصل المعاهدة الى القسطنطينية للتصديق عليها[٢٠٠] ، وبعث نادر مع القاضي عبدالكريم افندي الذي عهدت اليه مهمة ايصال المعاهدة الى القسطنطينية برسالة الى الصدر الاعظم على باشا قال فيها ان الاصل المشترك للاتراك العثمانيين والتركمان ، هو الذي دفعه الى عقد هذه المعاهدة[٢٠١].

لكن هذا التبرير لايمكننا قبوله ، فلو لم تنشب ثورة خطيرة في فارس لما ارتضى نادر باية معاهدة لاتنص على تسليم بغداد له فقد كان سقوط بغداد في يده هذه المرة يكاد يكون امرا محتما ، وهذا مايؤكده واليها احمد باشا ، الذي اوضح في رسالة بعث بها هو الاخر الى الصدر الاعظم ، الظروف التي اضطرته الى التوقيع على هذه المعاهدة ، ومنها انه لم يكن بامكانه المقاومة لمدة شهر اخر ، وكان الحصار الثاني على بغداد قد ضرب لمدة عشرين يوما[٢٠٢]

وفي الثاني والعشرين من كانون الاول ١٧٣٣م (١٥ رجب) عاد نادر قلي الى بلاده ، لاخماد الثورة التي نشبت فيها[٢٠٣] .

وقد ادان الصدر الاعظم في اجتماع عقده لمجلسه في التاسع من شباط ١٧٣٤م (٤ رمضان ١١٤٦هـ) ، المعاهدة التي عقدها والي بغداد ، وقرر المجتمعون انه يجب ان تستمر الحرب ، وانه لا انسحاب من الاراضي الفارسية المحتلة[٢٠٤] . ورفض السلطان العثماني المصادقة على المعاهدة[٢٠٥] . وكانت انباء الهزيمة التي حلت بالجيش العثماني ومقتل طوبال عثمان باشا قد احدثت

---

(٢٠٠) نفس المصدر .

(٢٠١) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 334-5.

(٢٠٢) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، ورقة ١٢٨ .

(٢٠٣) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٤١ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ١٨٠ .

(٢٠٤) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٤٠ ص ١٧٢ .

(٢٠٥) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 253.

رعبا في العاصمة العثمانية ، واتخذت الحكومة اجراءات امن مشددة منعا لنشوب الثورة[٢٠٦] .

وعند وصول جثة طوبال الى القسطنطينية ، تعالت اصوات مطالبة بالثار للبطل الصريع ، وعين الباب العالي ، عبدالله كوبرولوزاده ـ الذي كان يومئذ على رأس جيش قوي في ارمينية ـ سر عسكر في اسيا [٢٠٧] وامر حكام الولايات بالانضمام اليه ، وبقيت القوات العثمانية على مرابطها في شرقي الحدود ، ونقل احمد باشا من بغداد الى اورفة[٢٠٨] ، فدل هذا على تجاهل المعاهدة التي عقدها[٢٠٩] .

اما نادر فقد تمكن في هذا الوقت من القضاء على الثورة التي انسحب من اجلها من بغداد[٢١٠] ، وتمكن من هزيمة قوات المتمرد محمد خان بلوج الذي نقل اسيرا الى شيراز ، حيث انتحر هناك في سجنه[٢١١] . وبعد عودة نادر الى العاصمة اصفهان في التاسع وعشرين من نيسان ١٧٣٤م (٢٥ ذو العقدة ١١٤٦هـ) ، وصل من القسطنطينية القاضي عبدالكريم افندي ـ الذي كان قد عهدت اليه مهمة ايصال معاهدة كانون الاول الى العاصمة العثمانية ـ حاملا معه رسالة من السلطان العثماني الى نادر يخبره فيها بانه خول عبدالله كوبرولو

---

(٢٠٦) Shay, M.: Op. Cit., P. 146.

(٢٠٧) تذكر شاي ان اختيار عبدالله كوبرولو خليفة لطوبال كان بسبب اسم عائلته وعلاقته مع السلطان ، وليس بسبب مقدرته الشخصية ، فلم يكن ذا خبرة عسكرية . Shay, M.: Op. Cit., PP. 145-6.

(٢٠٨) كان نقله الى حلب في اول الامر ثم الى اورفة بطلب منه . انظر : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، هامش ص ١٨٠ .
ويعزى سبب عزله الى ماكان بينه وبين الصدر الاعظم علي باشا حكيم اوغلو من خصومه . (العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ص٢٤٦).

(٢٠٩) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٢١٠) نفس المصدر، ص ١٨٠ .

(٢١١) ص ١٨٠–١٨١ .
Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 113;
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 253.

الذي عين قائدا عاما للقوات العثمانية في اسيا ، صلاحية المفاوضات للتوصل الى سلام . غير ان نادر ، الذي كان ينتظر وصول مايفيد التصديق على المعاهدة التي عقدها مع احمد باشا ، اعتبر ذلك محاولة من جانب الدولة العثمانية لكسب الوقت ، وانه ليس لدى العثمانيين نية للتوصل الى سلام على اساس الشروط التي تمت بينه وبين احمد باشا ، لذا قرر ان يضرب ضربته[٢١٢] .

وتذكر شاي ان العثمانيين لم يكونوا قادرين على شن الحرب بسبب تدمر قواتهم ، كما لم يكونوا قادرين على صنع السلام بسبب تصميم الفرس على استرجاع جميع اراضيهم المحتلة ، وان الباب العالي كان يرغب حقيقته في التخلي عن كل الاجزاء المحتلة ولكنه كان يخشى ان يزعج مثل هذا العمل الهدوء الداخلي[٢١٣] .

هزيمة العثمانيين في بلاد فارس :

وفي السابع عشر من حزيران ١٧٣٤م (١٢ محرم ١١٤٧هـ) بدأ نادر زحفه من اصفهان ، لاستعادة المدن التي كانت ماتزال بأيدي العثمانيين ، وقد تمكن من الاستيلاء على شماخي بعد ان هرب حاكمها سرخاي خان الى جبال داغستان ثم اتجه الى كنجه وضرب حصارا عليها[٢١٤] .

وبالرغم من فشل العثمانيين في فك الحصار عن كنجه ، الا انهم اوقعوا خسائر فادحة بالفرس ، كما ان تحصينات المدينة القوية جعلت من الصعوبة الاستيلاء عليها بالهجوم ، ولكن الامر يختلف عن طريق الحصار الطويل ، اذ يسهل عندئذ اقتحامها[٢١٥] ولذلك ابقى نادر جزءا من قواته لتستمر في ضرب الحصار ، واتجه على الفور الى حصار تفليس وروان بهدف اجبار

---

(٢١٢) غلام مقتدر : نبردهاي بزرك نادر شاه ، ص ٤٥ .
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 335.
(٢١٣) Shay, M.: Op. Cit., PP. 146-7.
(٢١٤) ميرزا مهدي خان : دره نادره ، ص ٧٣٩ .
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 335.
(٢١٥) ابراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه ، مخطوط ، ورقة ٥٦ ، ميرزا مهدي خان : دره‌نادره ، ص ٧٣٩ .

القائد العثماني عبدالله كوبرولو على المواجهة الشاملة . وقد نجح في ذلك حيث ترك كوبرولو موقعه الحصين قرب قارص ، وزحف الى روان على رأس قواته البالغة ثمانين الفا[216] وعند سهل بلغاورد ، بالقرب من روان ، التحم مع قوات نادر في الرابع عشر من حزيران ١٧٣٥م (٢٢ محرم ١١٤٨ هـ) في معركة عنيفة ، اسفرت عن هزيمة العثمانين ومقتل قائدهم عبدالله كوبرولو[217] كما كان من بين القتلى مصطفى باشا والي ديار بكر صهر السلطان محمود الاول ، والعديد من الضباط البارزين ، ووقوع عدد كبير من العثمانيين اسرى، وتمكنت قوات المطاردة الفارسية من قتل اعداد كبيرة من الذين هربوا في شتى الاتجاهات[218] .

ولم يلبث ان تمكن نادر من الاستيلاء على المدن التي كانت القوات الفارسية تقوم بحصارها ، وهي كنجة وتفليس وروان ، بعد ان قاومته بضراوة ، ثم توجه الى كردستان وداغستان ، حيث امن سيطرته فيهما[219] . كما استرد من الروس بعد ان هددهم بالحرب : باكو ودربند ، وذلك بموجب معاهدة كنجه التي وقعت في الحادي والعشرين من آذار ١٧٣٥م[220] . اذ ان بلاط سان بطر سبرج رأى من الافضل والاكثر فائدة لروسيا ان تبدأ حربا

---

(٢١٦) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٤٨ .
Sykes, P. Op. Cit., Vol. II, P. 253.

(٢١٧) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 337; Lavallee, T.: Op. Cit., P. 367.
ويورد غلام حسين مقتدر تفاصيل معركة بلغاورد ويجعل تاريخ وقوعها ١٨حزيران ١٧٣٥م (٢٦ محرم ١١٤٨ هـ) .
(غلام حسين مقتدر : المصدر السابق ، ص ٤٤ ، ٤٩ـ٥٠) .

(٢١٨) غلام حسين مقتدر : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢١٩) احمد راسم : عثماني تاريخي ، جـ٢ ، ص ٣٨٧ .
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, PP. 338-9;
كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية ، جـ٢ ص ١٤٨ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٨١ .

(٢٢٠) Hurewitz, J.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I, P. 46; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 254.

للفتح في الدولة العثمانية التي اضعفتها الحرب مع نادر ، من ان تحتفظ بهذه المناطق المحيطة ببحر قزوين والبعيدة عن أي مركز قوي في الامبراطورية الروسية[٢٢١] وكانت الحرب حينذاك على وشك الوقوع بين الدولتين العثمانية والروسية بسبب حرب الوراثة البولندية[٢٢٢] Polish Succession War وهكذا تخلى الروس – بعد ثلاثة عشر عاما من الاحتلال لشمالي بلاد فارس – عن اخر فتوحات بطرس الاكبر في هذه الجهات.

وقد احدثت انباء هزيمة العثمانيين استياءا شديدا في القسطنطينية ، وندم اولو الامر في الباب العالي لرفضهم معاهدة كانون الاول ١٧٣٣م[٢٢٣] ، ووجه اللوم الى الصدر الاعظم علي باشا حكيم اوغلو ، فعزل من منصبه ، وعين اسماعيل باشا والي بغداد مكانه[٢٢٤] ، كما عين احمد باشا الذي كان حينئذ واليا لاورفة ، قائدا عاما للقوات في اسيا[٢٢٥] .

وقبل ان نصف الحالة النهائية التي انتهت عليها الحرب العثمانية ، نجد من الضروري ان نتحول قليلا لنتناول الهجوم الذي شنه الفرس على البصرة في نيسان سنة ١٧٣٥م .

المحاولة الفارسية للاستيلاء على البصرة :

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الفارسية تخوض حربا مع العثمانيين في شمالي بلاد فارس ، لاستعادة المدن التي ماتزال تحت سيطرتهم ، كان الاسطول الفارسي يقوم بمحاولة للاستيلاء على البصرة . اذ امر نادر قائد الاسطول لطيف خان بمهاجمة البصرة ، مستغلا اضطراب الاوضاع فيها ، بسبب اندلاع القتال بين العثمانيين والقبائل العربية[٢٢٦] .

---

(٢٢١) Creasy, E.: Op. Cit., P. 354.

(٢٢٢) عن حرب الوراثة البولندية ، انظر :
Shay, M.: Op. Cit., PP. 147-151.

(٢٢٣) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٢٢٤) محمد سعيد المدرس : كلشن معارف ، جـ٢ ، ص ١٢٧٩ .

(٢٢٥) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٢٢٦) صالح العابد : دور القواسم في الخليج العربي ، ص ٥٦ .

وفي نيسان ١٧٣٥ م ، استطاع لطيف خان الدخول الى مياه شط العرب على رأس اسطول يتألف من ثلاث سفن من نوع الغراب[٢٢٧] وخمسين سفينة كبيرة من نوع الترانكي[٢٢٨] ، وعدد من السفن الصغيرة[٢٢٩] . وامرت قوة فارسية برية مؤلفة من ثمانين الف جندي ، بالانضمام اليه في الهجوم ، غير ان قائد الاسطول لم ينتظر وصول القوة البرية فتقدم اعلى النهر ، بعد ان التحقت به مجموعة من العرب الذين كانوا في ثورة ضد العثمانيين[٢٣٠] . وعندئذ طلب متسلم البصرة من ممثل شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة مارتن فرنش French مساهمة السفينتين الحربيتين العائدتين الى الشركة ، وهما Dean, Royal George اللتين كانتا راسيتين في الميناء ، في صد الهجوم الفارسي ، غير ان الممثل رفض طلبه ، خوفا من نقمة الفرس وغضبهم[٢٣١] وعندئذ اجبر المتسلم السفنتين ان تعملا معه ضد الاسطول الفارسي ، ووضع مائتي جندي في كل منهما ، وعند الجزء الضيق من شط العرب ، اسفل البصرة بخمسة فراسخ (١٥ ميلا) دار قتال لمدة ثلاثة ايام انتهى بانسحاب الاسطول الفارسي[٢٣٢] .

---

(٢٢٧) الغراب : سفينة ذات صاريتين او ثلاث ، تستعمل للقرصنة والتجارة وفي الامكان تثبيت بعض المدافع عليها ، وقد شاع استعمالها منذ القرن السادس عشر في الخليج العربي والبحر الاحمر .
العابد : المصدر السابق ، ص ٥٩ وانظر : عبدالامير محمد امين : القوى البحرية في الخليج العربي ، ص٣١ .

(٢٢٨) الترانكي : نوع من السفن كان شائع الاستعمال خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، وكان يسير بالمجاذيف والاشرعة معا ، وهو يستخدم في الحرب والتجارة . امين : المصدر السابق ، ص٣٢ .

(٢٢٩) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٥٤ وانظر امين : المصدر السابق ، ص ١٣

(٢٣٠) نفس المصدر .

(٢٣١) امين : المصدر السابق ص ١٣ ، ١٥ .

(٢٣٢) قدوسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

ويذكر لوريمر ان نادر استاء من مشاركة السفن الانجليزية في الدفاع عن البصرة ، وانه طلب من الانجليز ان يكفروا عن عملهم العدائي هذا ، وذلك بأن يساعدوه في احتلال البصرة ، حيث تقدم بطلب الى وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس (كمبرون) لتقديم العون له ، غير ان سلطات بومباي اصدرت اوامر حاسمة لممثلها في بندر عباس بألا يضع مؤقتا اي سفينة في خدمة الفرس او تحت تصرفهم ، اذ كانت تخشى ان يثير هذا الاجراء حفيظة العثمانيين لدرجة تجعلهم يقومون بعمل متطرف في شدته ضد الانجليز في البصـــرة[٢٣٣] .

وقد ادى هذا الموقف الى توتر العلاقات بين الشركة ونادر ، ولقي ممثلو الشركة في اصفهان وكرمان معاملة سـيئة جعلت الشركة تفكر جديا في نقل وكالتيها من هناك[٢٣٤].

توقف الحرب رسمياً بين نادر والعثمانيين :

وبعد ان استطاع نادر ان يسترد بحد سيفه الاجزاء المحتلة من بلاده ، بدأ بتهديد الاناضول[٢٣٥] ، الامر الذي اضطر الدولة العثمانية الى الدخول في مفاوضات معه من اجل الصلح ، اذ لم تكن قادرة على الاستمرار في الحرب ضده ، لتوتر علاقتها مع روسيا بسبب التدخل الروسي في حرب الوراثـــة البولندية[٢٣٦] ، حتى اصبحت الحرب على وشك الاندلاع بينهما[٢٣٧] لذا

---

(٢٣٣) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1198.

(٢٣٤) Ibid, Vol. I, Part. IA, PP. 86-7; Part. IB, P. 1198.

(٢٣٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣٧ .

(٢٣٦) محمد فريد بك : تاريخ الدلة العلية العثمانية ، ص ١٤٨ .

(٢٣٧) في الثامن والعشرين من مايس ١٧٣٦م اعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا بعد ان قامت الجيوش الروسية باحتلال قلعتين عثمانيتين قرب ازوف ، وبدات بمحاصرة هذه المدينة المهمة ، وانتهت الحرب بعقد معاهدة بلغراد في الثامن عشر من ايلول ١٧٣٩م (١٤ جمادي الاخر ١١٥٢هـ) .
Creasy, E. : op. cit., p. 327.

كان الموقف يتطلب من الدولة العثمانية ، استخدام كل جهد لصد اي هجوم روسي ، فخولت احمد باشا ، القائد العام في اسيا ، والذي كان حينئذ معسكرا في ارضروم ، صلاحية المفاوضة مع الفرس لعقد معاهدة سلام[٢٣٨] . فارسل احمد باشا مبعوثا الى نادر الذي اشتط في مطالبه هذه المرة، فطلب تعويضا عن جميع الخسائر التي لحقت ببلاد فارس منذ بدء الاحتلال العثماني لاراضيها ومن ثم ، لم يتوصل الجانبان الى اية نتيجة خلال اشهر عديدة[٢٣٩] .

وفي هذه الاثناء ، حدث ان توفى الشاه الطفل ـ عباس الثالث ـ فاصبح بأمكان نادر تحقيق هدفه في الحصول على العرش[٢٤٠] ، بعد ان تدعم مركزه تماما بالانتصارات التي حققها ، والتي اعادت الى بلاد فارس كل الاراضي التي سبق ان فقدتها ، واعادت لها السلام والامن الداخلي مرة ثانية ، فدعا قادة الجيش وحكام الاقاليم والقضاة والعلماء ، الى الاجتماع في سهل مغان[٢٤١] ، لمنح التاج الفارسي للشخص الذي يرونه مناسبا[٢٤٢] .

وكما كان متوقعا ، اجمع الحاضرون على اختيار نادر لاعتلاء العرش ، من اجل حماية بلاد فارس ، ولكنه تظاهر بعدم رغبته في قبول التاج ، وظل يرفض ذلك طيلة شهر كامل، حيث استمرت توسلات المجتمعين، ثم انتهت هذه المسرحية ، بأن اعلن موافقته على ارتقاء العرش ، ولكنه اشترط تخلي الشعب الفارسي عما جاء به مؤسس السلالة الصفوية ، والعودة الى الدين

---

(٢٣٨) لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٨١ .

(٢٣٩) نفس المصدر ، Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 339.

(٢٤٠) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 254.

(٢٤١) يمتد سهل مغان من قرب مدينة اردبيل الواقعة في شرقي اذربيجان الى مصب نهر كور .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 254.

ومما يجدر ذكره هنا ان الاجتماع عقد في الرابع من شباط ١٧٣٦ م (الاول من شوال ١١٤٨هـ) غلام حسين مقتدر : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٢٤٢) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 114;
Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, Tome. II, P. 227.
وانظر : منصوري زاده : نتائج الوقوعات ، جـ٣ ، ص ٣٣ .

القويم[٢٤٣] . وذكر ان تعصب الشاه اسماعيل المذهبي قد ادى الى تدهور البلاد الى حد كبير ، والى عزلتها عن بقية جيرانها ، والى اراقة الكثير من دماء الفرس والاتراك ، ولذا فان على الشعب الفارسي ان يتخلى عن التعصب المذهبي الذي خلق كثيرا من المآسي[٢٤٤] واضاف : « انه اذا كنتم مسلمين بحق فعليكم ان تعيدوا الوحدة بين اتباع المذاهب المختلفة» ، واعلن انه سيضيف الى المذاهب السنية الاربعة ، مذهبا خامسا هو الجعفري — نسبة الى الامام جعفر الصادق[٢٤٥] — على الشعب الفارسي ان يتبعه[٢٤٦] .

ولقد قيل ان رئيس المجتهدين نهض ناصحا نادرا بأن يحصر جهوده في القضايا الدنيوية ويترك القضايا الدينية للمختصين بها[٢٤٧] ، وذلك بعد ان اثنى على قيادة نادر وعدد الاعمال التي قام بها من اجل خير البلاد[٢٤٨] . ولكن المصير الذي تعرض له رئيس المجتهدين ، حيث امر نادر بشنقه ، جعل جميع الحاضرين يوافقون على مطلبه دون أي اعتراض[٢٤٩] .

---

(٢٤٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 254.

(٢٤٤) Lorimer. J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 84.

(٢٤٥) من المعروف ان لجعفر الصادق منزلة في قلوب المجتهدين وقد علق الدكتور علي الوردي على سبب اختيار نادر للامام جعفر فقال «الظاهر انه وجد في الامام جعفر الرجل الذي يصلح ان يكون رمزا للتقريب بين المسلمين ، فقد كان هذا الامام يعيش في نفس العصر الذي عاش فيه مالك وابوحنيفة ، وهما من كبار الائمة والمعروف عنهما انهما كانا يجلانه كل الاجلال ، وكان جعفر بالاضافة الى ذلك ينتمي الى علي بن ابي طالب من جهة ابيه ، والى ابي بكر من جهة امه وجدته ، والمأثور عنه انه كان يعلن للناس قائلا « ولدني ابو بكر مرتين» وذلك لكي يردع الغلاة .

الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، جـ١ ، ص ١٢١ .

(٢٤٦) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 229.

(٢٤٧) الوردي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١٩ ،

Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 254.

(٢٤٨) Niebuhr, C.: Op. Cit., II, PP. 229-230.

(٢٤٩) Fraser, J.: The History of Nadir Shah, P. 118.

وانظر : Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 255.

ويبدو ان محاولة نادر لاضافة مذهب خامس ، لم تخرج عن حيز الاغراض السياسة اذ يرى نيبور انه اراد بذلك الحصول على الشهرة بخلق عقيدة جديدة مما يمكن ذريته من الاحتفاظ بعرش بلاد فارس ، مثلما حدث ذلك على يد الشاه اسماعيل الصفوي ، وانه لم يكن حقيقة مهتمـــاً بالدين ، وانما كان يدفعه الى ذلك غروره وطموحه ، وربما اراد ان يوحد الاديان في ديانة واحدة عالمية ، ومن اجل هذا امر بأن يترجم له الانجيل والتوراة(٢٥٠) .

اما لوريمر فيرى ان نادراً كان يرمي من محاولته هذه تحقيق ثلاثة اهداف هي : ان يرضي جيشه ، الذي كان يتكون اساسا من (التركمان والاكراد والافغان) ، وان يجعل ضم البلاد المجـــاورة الى امبراطوريته كالهنـــد كالهند وافغانستان والدولة العثمانية امرا ميسورا ، وان يمحو اخيرا ذكر الاسرة الصفوية(٢٥١) .

ويذهب براون الى القول بأن بعض القرائن تشير الى ان نادراً كـان يحاول التشبه بعاهل الهند المشهور «اكبر شاه» المغولي الذي ابتكر دينا جديدا بغية توحيد الهنود في عقيدة واحدة(٢٥٢) وعلى هذا يعلق الدكتور الوردي بقوله «وربما اراد نادر قلي ان يفعل مثله في بلاد فارس والعراق»(٢٥٣)

---

(٢٥٠) Niebuhr, C: Voyage en Arabie, II, P. 224, 231.

(٢٥١) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 84.

(٢٥٢) Browne, E.: A Literary History of Persia, Vol. 4, P. 137.

وكان اكبر شاه الذي يعد اعظم اباطرة الهند من المغول ، مهتما بدراسة الدين المقارن ، وقد قام «عبادت خانة» اي دارا للعبادة كان يجتمع فيها علماء جميع الاديان ليتناقشوا في المسائل الدينية ، وقد اقنعت هذه المناقشات اكبر شاه بان جميع الاديان تنطوي على الخير ، وشجعته على ان يستن عقيدة جديدة منتقاة من الاديان عرفت باسم «دين الهي» ، وقد رجا مفاخرا ان تنال القبول لدى رعاياه . غير ان تنكر خلفائه المباشرين لسياسة المصالحة التي استنها وخروجهم شيئا فشيئا عن المبادىء الجوهريه لحكمة ، ادى الى اضمحلال الامبراطورية المغولية . (دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٤ مادة اكبر شاه) .

اما سايكس فيقول بأن نادرا ربما كانت تداعب اطماعه احلام السيطرة على العالم الاسلامي ، وتوحيده في امبراطورية اسلامية واحدة تضم في حظيرتها الممتلكات العثمانية كلها ايضا ، ويذهب الى ما ذهب اليه لوريمر من انه كان يأمل ان ينسى الفرس حكم الاسرة الصفوية(٢٥٤) .

ويرى لونكريك ان نادرا كان يرمي الى تسهيل معاملاته مع الدولة العثمانية وايجاد اهمية لاسرته ، ثم توحيد العناصر التركمانيـة والكرديـة والافغانية التي في جيشه ليعادل بها العناصر الاخرى التي فيه ، وما زالت مقيمة على ميلها الى الصفويين(٢٥٥) .

وبعد ان اوردنا ماذكره المؤرخون من اسباب دفعت نادرا لاحداث هذا التغيير ، يمكننا القول بأن هدفه الحقيقي كان السعي نحو اتحاد العالم الاسلامي ، ليكون في النهاية على رأس هذا العالم ، وبذلك ينتزع الخلافة من السلطان العثماني .

وما ان توج نادر شاها لبـلاد فارس في الثامن من آذار سنة ١٧٣٦ م (٢٤ شوال ١١٤٨هـ)(٢٥٦) ، حتى اصدر اوامره لكل الاقاليم بان يبتعد الناس عن التعصب المذهبي ، وان يذكروا الخلفاء بكل احترام(٢٥٧) وارسل وفدا الى السلطان العثماني كي يتفاوض من اجل السلام وفق الشروط التالية:

١ - للفرس الحق في ان يميزوا ، بعـد ان ابتعـدوا عن التعصب ، كفرقة خامسة ، تعرف باسم الجعفرية ، وعلى الدولة العثمانية ان تعترف بذلك .

---

(٢٥٣) الوردي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

(٢٥٤) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 255.

(٢٥٥) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٨١ .

(٢٥٦) ميرزا مهدي خان : درهنادره ، ص ٧٤١ ،

(٢٥٧) Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 341.

Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 230.

٢ ـ لما كان لكل مذهب من المذاهب الاربعة ركن في الكعبة ، فيجب ان يكون للمذهب الجعفري ركن ايضا .

٣ ـ الموافقة على تعيين امير فارسي خاص بالحج ، يسمح له بمرافقة الحجاج الفرس الى مكة . ويكون في مركز مساو لمركز اميري الحج السوري والمصري .

٤ ـ تبادل الاسرى بين كل من الطرفين ، ولايجوز ان يباع احد منهم او يشترى .

٥ ـ تبادل السفراء بين الدولتين(٢٥٨) .

وفي تموز ١٧٣٦ م (ربيع الاول ١١٤٩ هـ) وصل القسطنطينية الوفد الفارسي وكان برئاسة عبدالباقي خان حاكم كرمنشاه ، الذي اعطى السلطة الكاملة من اجل الوصول الى اتفاق بشأن السلام ، ومعه ميرزا ابو القاسم الكاشاني ، شيخ الاسلام في بلاد فارس ، والملا باشي علي اكبر ، رئيس المجتهدين ، وكان على هؤلاء ان يناقشوا مع علماء الدين الاتراك النقاط التي تختص بالعقيدة . ووصل مع الوفد كنج علي باشا(٢٥٩) المبعوث العثماني الذي كان قد ارسل الى بلاد فارس للتفاوض بشأن عقد معاهدة سلام ، وحضر الاجتماع الذي عقد في مغان(٢٦٠) .

---

(٢٥٨) ميرزا مهدي خان : دره‌نادره ، ص ٧٥٦ ،

Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 232.

وانظر : احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٣٨٧ ، مينورسكي تاريخچه‌نادر شاه ، ص ٧١ وينفرد نيبور دون المؤرخين الاخرين بان يضيف الى الشرط الرابع «وان تقام تجارة الدولتين» .

(٢٥٩) كان قد عين واليا على الموصل . انظـر : غلام مقتدر : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٢٦٠) احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٨٧ ،

Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 342.

وفي الجلسة الاولى من المفاوضات التي رأس الجانب العثماني فيها الصدر الاعظم محمد باشا ، قرأ خطاب نادر شاه (كما يجب ان نطلق عليه الآن بعد ماحصل على التاج) الى السلطان مع خطاباته الى الصدر الاعظم والمفتي . وفي المناقشات التي تلت ذلك ، امكن التوصل الى اتفاق — بدون صعوبة كبيرة — يتعلق بتبادل الاسرى وتبادل السفراء ، وتعيين امير الحج الفارسي ، على ان يسافر الحجاج الفرس الى مكة عن طريق النجف بدلا من الشام ، وان يحرص باشا بغداد على امنهم(٢٦٢) .

اما فيما يخص الاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب خامس من مذاهب السنة ، وتخصيص ركن له في الكعبة ، فقد رفض العثمانيون قبول ذلك ، وقرر علماء الدين الاتراك الذين ناقشوا هاتين النقطتين مع علماء الدين الفرس ، رفض اعتبار المذهب الجعفري مذهبا خامسا(٢٦٣) .

ولما لم يكن أي جانب ليسلم بالنقطتين اللتين اشتملت عليهما شروط نادر شاه ، فقد تقرر صياغة معاهدة تشمل النقاط الثلاثة الاولى فقط . وفي السابع عشر من تشرين الاول ١٧٣٦م (١١ جمادى الاخرة ١١٤٩هـ) عقدت هذه المعاهدة التي عرفت باسم «معاهدة القسطنطينية» . وقد تضمنت ثلاث مواد تختص كل مادة بواحدة من النقاط الثلاث التي توصل اليها الاتفاق ، وجاء

---

(٢٦١) غلام مقتدر : المصدر السابق ، ص٥٦ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 343.

(٢٦٢) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, PP. 232 - 3;
احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٩٠ .
ويخصوص هذه المسألة يذكر نيبور «بانه سمع في بغداد ان العثمانيين كانوا يخشون ان يحلو لنادر شاه او للذين يجيئون من بعده على عرش بلاد فارس ، ان يقوم برحلة حج مع جيشه وان ينهب بهذه المناسبة لا الحجاج في مكة فحسب ، بل الكعبة ايضا ، وان يستولي على سوريا ، ولم يكن هذا الخوف بدون اساس » .

(٢٦٣) احمد راسم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٩٠ وانظر : احمد رشيد : خريطة لي ورسلمي مكمل تاريخ عثماني جـ٢ ص ٢٥٧ .

في ملحق المعاهدة : ان تكون الحدود بين الدولتين ، هي تلك الحدود التي عينت في عهد السلطان مراد الرابع[٢٦٤] ، في معاهدة زهاب (٧ مايس ١٦٣٩).

وهكذا اعيدت الحدود الى خطوطها التقليدية وتوقفت الحرب رسميا بين الدولتين الفارسية والعثمانية ، ولكن مطالب نادر شاه الدينية ظلت امرا معلقا وقد ارسلت الدولة العثمانية وفدا الى بلاد فارس لاعلام الشاه برفضها لهذه المطالب ، فكتب نادر الى السلطان يقول : «انه مستعد ان يتوجه بنفسه الى القسطنطينية تحدوه مشاعر الصداقة والاخوة ، وانه في اجتماع واحد مع السلطان سيمكن حسم هذه المسألة الهامة بشكل يرضي كلا منهما» ولكن الموقف ظل كما هو[٢٦٥] واصبح الاعتراف بالمذهب الجعفري مجال رسائل متبادلة بين الشاه والسلطان[٢٦٦] .

وخلال السنوات ١٧٣٧ـ١٧٤٠ م (١١٥٠ـ١١٥٣هـ) انشغل نادر شاه بفتوحاته خارج بلاد فارس حيث قاد حملة ضد الافغان ، اعدائه القدامى ، استولى فيها على قندهار سنة ١٧٣٨م ، بعد حصار دام سنة كاملة ، ولم يلبث ان استولى على كابل . وفي سنة ١٧٣٩ م تقدم لغزو الهند ، فتمكن من هزيمة الجيش المغولي ، واحتلال دلهي التي استبيحت وذبح سكانها ، ثم اتم نادر فتح

---

(٢٦٤) نص المعاهدة في معاهدات عمومية مجموعة سى ، جـ٢ ، ص ٣١٥ـ ٣١٧ وانظر لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٨١ ؛
Creasy, E.: Op. Cit., P. 354;
محمد فريك بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص١٤٨ ويخطئ في تاريخ عقد المعاهدة حيث يجعلها في الرابع والعشرين من ايلول (١٨ جمادى الاولى) ، شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ص ٤٥ـ٤٦ .

(٢٦٥) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 233,

(٢٦٦) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 83.

حوض السند[٢٦٧] وتوجه في السنة التالية (١٧٤٠م) وهو في طريق عودته الى بلاده ، نحو تركستان فاستولى على بلخ وبخارى وخيوه[٢٦٨] فاضفت هذه الانتصارات تعزيزا لشهرته ، فأصبح في قمة المجد والقوة ، وامتدت حدود امبراطوريته الى اوسع ما كانت عليه في زمن الصفويين[٢٦٩] وقد اطلق على نفسه بعد هذه الانتصارات لقب «شاهنشاه»[٢٧٠] ، أي ملك الملوك .

وقد كان من الطبيعي ان يشعر السلطان العثماني بالقلق خشية ان يستأنف نادر شاه الحرب من جديد ، بعد ان عاد منتصرا في فتوحاته ، حيث انه لن يتردد ، لوحانت الفرصة ، في استغلال اخفاقه للوصول الى اتفاق بشأن المسائل الدينية كذريعة لاستئناف المشاحنات وهذا ماحدث بالفعل .

نادر شاه يشن هجوما واسعا على العراق عام ١٧٤٣م ـ ١١٥٦هـ :

ومنذ سنة ١٧٤١م (١١٥٤هـ) اخذت العلاقات الفارسية ــ العثمانية بالتدهور الى درجة خطيرة ، فكانت ايذانا بالاصطدام المسلح بينهما من جديد ، ويعود السبب في ذلك الى اصرار الشاه على تحقيق شروط كان من المستحيل على الدولة العثمانية ان تقبلها[٢٧١] فقد وصل القسطنطينية في آذار

---

(٢٦٧) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 84.
وانظر احمد راسم عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٤٠-٤١ ، شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣ ؛
Singh, K.: A History of the Sikhs, Vol. I, P. 125;
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 257-8.

(٢٦٨) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٤٩ .
للتفاصيل ، انظر فامبري : تاريخ بخارى ، ترجمة الدكتور احمد محمود الساداتـــي

(٢٦٩) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 265.

(٢٧٠) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٤٩ ، عبدالله السويدي : الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية ، ص ٤ .

(٢٧١) لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٨٢ .

١٧٤١م مبعوث فارسي[٢٧٢] طالب بالاعتراف بالمذهب الجعفري وتخصيص ركن له في الكعبة ، ولكن رفض الطلب مرة اخرى[٢٧٣] ، بناء على الفتوى التي صدرت بخصوص ذلك[٢٧٤] . وتقرر ارسال وفد الى الشاه لتسليمه خطابا من السلطان يعتذر فيه عن عدم استطاعته قبول المطالب الدينية . ووصل الوفد الى بلاد فارس في كانون الثاني ١٧٤٢م (١١٥٥هـ)، وقد اجاب نادر في رسائل بعثها الى السلطان والصدر الاعظم والعلماء ، وحملها الوفد العثماني في السابع عشر من نيسان ١٧٤٢م (١١ صفر ١١٥٥هـ) ، بأن دعوته حق ، وانهم اذا لم يؤيدوه ، فانه سوف يأخذ حقه بالسلاح[٢٧٥] فأخذت الدولة العثمانية تستعد للحرب،وعززت الحاميات في بغداد وارضروم[٢٧٦] ، غير ان نادراً لم يستطع لما يقرب من ثلاثة عشر شهرا ان يضع تهديداته موضع التنفيذ ، بسبب انشغاله بمحاربة قبائل اللزجيين في داغستان[٢٧٧] .

وفي تموز ١٧٤٣م (١١٥٦ هـ) عبرت القوات الفارسية حدود العراق الشرقية منجهة مندلي وشهرزور ، وكان نادر قد ارسلقبل ان يترك داغستان مبعوثين الى احمد باشا[٢٧٨] ، يطلب تسليم بغداد ، وجاء في رسالته اليه :

---

(٢٧٢) ارسل نادر شاه بصحبة المبعوث ـ ويدعى حاجي بيك خان الذي زار بغداد في طريقه الى القسطنطينية ـ تحفا وهدايا الى مراقد الائمة في العراق ، مع هدية الى احمد باشا والى والي بغـداد .
الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٢٧٣) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٥٩-١٦٠ وانظر لونكريك : المصدر السابق ، ١٨٢ .

(٢٧٤) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 268.

(٢٧٥) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٥٠ ص١٦٨ .

(٢٧٦) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ١٨٢ .

(٢٧٧) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, PP. 266 - 7.
وانظر : العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٦٢ .

(٢٧٨) اعيد احمد باشا الى ولاية بغداد سنة ١٧٣٦م (١١٤٩هـ) بعد ان كان قد نقل الى اورفـة . الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٣٨ .

«لست راغبا في ضررك ولا في انزال الضرر ببغداد ، انما انا انازع السلطان ، فسلم الي ولايتك وسوف لاتندم على ذلك»(٢٧٩) .

وبمجرد ان تسلم احمد باشا الخطاب ، بدأ في تموين بغداد ، وترميم سورها وحصونها ، وبعث بخطاب الى الباب العالي يعلمه فيه بأن نادر شاه بدأ زحفه بقصد الهجوم على بغداد واحتلالها . وعلى هذا انعقد المجلس العام للدولة وقرر اعلان النفير العام(٢٨٠) وتذكر المصادر الفارسية ان احمد باشا ذكر في رده على خطاب نادر ، انه يرغب في الاحتفاظ بعلاقات ودية معه وطلب مهلة لتسليمه بغداد(٢٨١) في حين تؤكد المصادر المحلية ان احمد باشا تبنى سياسة ماكرة ، اذ انه ارسل الى نادر يطلب منه ان يغزو الموصل اولا وانه في عودته سيجد ابواب بغداد مفتوحة(٢٨٢) .

ومهما كانت اجابة احمد باشا ، ففي اعتقادي انه كان يسعى بها الى كسب الوقت ، وبالرغم من ان المؤرخين المحليين يشيرون الى نجاح حيلتـه حيث بدأت العمليات العسكرية الفارسية في شمالي العراق(٢٨٣) ، الا انه يبدو ان نادر شاه نفسه لم يكن يرغب في التعرض لبغداد اولا ، وانما كان يهدف الى السيطرة على الموصل ليقطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد مما يسهل سقوط بغداد بيده(٢٨٤) . فقد سبق ان انقذت القوات العثمانية التي جاءت عن طريق الموصل بقيادة طوبال عثمان باشا بغداد من السقوط بأيدي الفرس سنة ١٧٣٢م .

---

(٢٧٩) لونكريك : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
(٢٨٠) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٥٠ ص ١٧٧ .
(٢٨١) غلام مقتدر : نبردهاي برزك نادر شاه ، ص ١١٣ .
(٢٨٢) جبرائيل جنوش اصفر : مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، مخطوط ورقة ١٣٤ ياسين العمري : غاية المرام ، ص١٨١–١٨٢ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٧٨ .
(٢٨٣) سليمان صائغ : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٧٨ ، اصفر : المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ .
(٢٨٤) عماد عبدالسلام : الموصل في العهد العثماني ، ص ١٠٤ .

ومع ذلك ، فقد ارسل نادر قوة كبيرة الى بغداد تقدر باربعين الف جندي بحجة الحصول على مؤن لجيشه(٢٨٥) ، وهو في الحقيقة يريد الحيلولة بين احمد باشا وفيما قد يفكر به من انجاد الموصل أو القيام بما قد يعرقل سير الحملة • وقد استولى جيش الشاه على جميع قرى بغداد وضياعها ، فاستعد الوالي واهل بغداد للحصار ، وانتقل اهل الكرخ الى الرصافة ، وفي نفس الوقت كانت هناك قوات فارسية كبيرة تتقدم نحو البصرة(٢٨٦) •

اما نادر شاه فقد توغل في شهرزور على رأس مائة وسبعين الفا من جنده(٢٨٧) ، وفي الخامس من آب ١٧٤٣م (١٤ جمادى الاخرى ١١٥٦ هـ) وصل كركوك ، فحاصرها ثمانية ايام اضطرت بعدها الى الاستسلام ، ثم زحف نحو اربيل واحتلها ، ومن هناك سار الى هدفه : مدينة الموصل(٢٨٨) •

وقد اثارت اخبار غزو الفرس للعراق ، وتهديدهم لبغداد واستيلاءهم على كركوك ، الذعر في القسطنطينية ، ولكن كالعادة كان كبش الفدا هو الصدر الاعظم، حيث عزل علي باشا حكيم زادة من منصب الصدارة ، وتم تعيين حسن باشا رئيس الانكشارية في مكانه(٢٨٩) • ويبدو ان اتخاذ هذا الاجراء كان منعا لنشوب الثورة ، اذ ان اختيار رئيس الانكشارية سيقابل بالموافقة من قبل الجيش ، وقد حدث مزيد من الذعر عندما وردت انباء عن حصار الفرس للموصل •

---

(٢٨٥) عثمان بن سند : واقعات العجم ، مخطوط ، ورقة ٢ .
وانظر كذلك : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٨٦ •

(٢٨٦) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٧٠ ، الكركوكلي دوحة الوزراء ، ص ٥٠ .

(٢٨٧) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٣٦٧ .

(٢٨٨) السويدي : المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٧٢ ، ميرزا مهدي خان دره نادرة ، ص ٧٥٨ ، عثمان بن سند : واقعات العجم ، مخطوط ورقة ٢ .

(٢٨٩) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٥٠ ص ١٨٤ .
وانظر كذلك : كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ص١٦٠، قدوسي : نادر نامة ، ص٢٧٥ .

حصار الموصل :

وفي الوقت الذي احتل فيه نادر شاه مدينة كركوك ، كان الباب العالي قد امر والي الموصل حسين باشا الجليلي بوضع المدينة في حالة دفاع[٢٩٠] ، واصدر اوامره الى والي حلب حسين باشا القازوقجي بالتحرك مع قواته لتعزيز قوة الموصل[٢٩١] وعند وصوله ارتفع عدد رجال حاميتها الى ثلاثين الفا[٢٩٢] .

وقبل ان يترك نادر مدينة اربيل في طريقه الى الموصل ، دعا الباشا الجليلي الى الاستسلام[٢٩٣] ، وذلك عندما بعث الملا باشي ، المجتهد الاكبر في بلاد فارس ، بخطاب ــ كتبه بامر من نادر شاه ــ الى مفتي الموصل ، يحذر فيه من مغبة المقاومة ويدعو الى الاستسلام[٢٩٤] . ولكن المفتي اجابه على لسان الوالي واهالي الموصل واعيانها بخطاب شديد اللهجة ، بعد ان شهدت المدينة اجتماعا شعبيا كبيرا ، دعا اليه الوالي ، قرأ فيه تحذير وانذار الشاه[٢٩٥] . وقد جاء في رد مفتي الموصل : «تدهشونا بما فتحتم من قلعتي

---

(٢٩٠) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٧٣ .
ينفرد المؤرخ ياسين العمري في «زبدة الاثار الجليلة» بالقول بأن والي الموصل بدأ يعد الموصل للحصار منذ ذي الحجة سنة ١٧٤٢م (١١٥٥هـ) (العمري : زبدة الاثار ، ص ٩٩ــ١٠٠) .

(٢٩١) ميرزا مهدي خان : دره نادره ، ص ٧٥٨ .
وانظر ياسين العمري : الدر المكنون في المأثر الماضية من القرون ، مخطوط ، حوادث سنة ١١٥٦هـ ، غاية المرام ، ص ١٨٢ ، زبدة الاثار الجليلة ، ص ١٠٢ .

(٢٩٢) قدوسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XIV, P. 69.

(٢٩٣) محمد امين العمري : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء ، جا ، ص ١٥٠ــ١٥١ .

(٢٩٤) انظر نص هذا الخطاب في ملاحق الكتاب .

(٢٩٥) محمد امين العري : منهل الاولياء ، جا ص ١٥١ ، ياسين : الدر المكنون ، مخطوط ، حوادث سنة ١١٥٦هـ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـا ، ص٢٧٩ــ٢٨٢ .

كركوك واربيل وترعبونا بامثال هاتيك الاباطيل كلا ستعلمون ، ثم كلا ستعلمون الرقاع بالقراع ، ونحن الاسود الضارية ، والسباع الكواسر العادية ، اسيافنا صقيلة ، وسطوتنا ثقيلة ، وحلومنا رزينة ، وقلوبنا كالحديد متينة ، وبلدتنا — بحمد الله — حصينة ... فلاسمعا لكم ولا طاعة واهلا بالسعادة والشهادة هذه الساعة ... »(٢٩٦) .

وفي العاشر من أيلول ١٧٤٣م (٢١ رجب ١١٥٦ هـ) شوهدت طلائع القوات الفارسية على مقربة من قرية «يارمجة» شرق دجلة ، على بعد زهاء خمسة كيلومترات عن مدينة الموصل ، فارسل الباشا الجليلي اخاه عبدالفتاح بك مع جزء من قواته للتصدي لها(٢٩٧) ، فهاجمت الفرس الذين كانوا تحت قيادة علي قولي خان (ابن اخ نادر شاه)(٢٩٨) ، بشجاعة عظيمة ، ولكن سرعان ماهزمت وتراجعت على اعقابها ، ولم تتمكن من العودة الى المدينة الا بصعوبة كبيرة بسبب قيام الفرس بمحاولة قطع طريق تقهقرها(٢٩٩) .

وبعد اربعة أيام وصل الشاه وجيشه الى يارمجة ، فعسكر فيها ، وامر بنصب المعابر عبر دجلة اعلى واسفل الموصل ، وارسل قسما من جيشه ليعبر الى الجانب الغربي من النهر كي يكملوا الالتفاف حول المدينة(٣٠٠) . وفي نفس الوقت بعث رسولا الى الباشا الجليلي محذرا اياه من بطشه ، فجاءه الجواب:

---

(٢٩٦) انظر نص جواب مفتي الموصل في ملاحق الكتاب .

(٢٩٧) محمد امين العمري : منهل الاولياء ، جـ١ ، ص ١٥٢ ، ياسين العمري الدر المكنون ، مخطوط ، حوادث سنة 1156هـ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢٩٨) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٧٤ .

(٢٩٩) محمد امين العمري : المصردر السابق ، جـ١ ، ص ١٥٣ ، سليمان صائغ : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

(٣٠٠) عثمان بن سند : واقعات العجم ، مخطوط ورقة٢ قدوسي : نادر نامة ص٢٧٤ — ٢٧٥ .

«وما بيننا وبينك الا السيف ، واذا ارسلت سفيرا اخر نرجعه اليك بلا رأس »[٣٠١] .

وكانت الموصل على اتم الاستعداد ، فالخنادق مهيأة ، والسور اصلحت الاجزاء المتصدعة منه ، وسددت الثلم والثغرات فيه ، والمخازن مليئة بالحبوب[٣٠٢]

وقد بدأ الفرس ، بعد ان احاطوا بالمدينة تماما ، باقامة المتاريس والاستحكامات ، حيث شيدوا في مواجهة ابراج سور المدينة ، اثنى عشر استحكاما تحتمي بها مدفعيتهم ، التي كانت تتكون من ١٦٠ مدفعا و٢٣٠ مرمية هاون[٣٠٣] . وقد فتحت هذه المدافع نيرانها في الخامس والعشرين من أيلول (٦ شعبان) ولمدة ثمانية ايام وليال بدون توقف[٣٠٤] ، وتصدع السور في عدة اماكن ، ولكن المدافعين كانوا دائما يتمكنون من اصلاحها قبل ان يجد الفرس سبيلا الى النفاذ خلالها[٣٠٥] . وتصف المصادر المحلية اطلاق القنابل من المدفعية الفارسية فتقول : «كانت نهارا تتساقط على الاسوار كالمطر ، وليلا

---

(٣٠١) محمد امين العمري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٥٤ .
وانظر سليمان صائغ : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

(٣٠٢) دومينيكولانزا : الموصل في القرن الثامن عشر ، ص٣٧ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٨٣ .

(٣٠٣) قدوسي : نادر نامة ، ص٢٧٥ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

(٣٠٤) تقدر المصادر المحلية ما القي على الموصل من قنابل في تلك المدة ، مابين اربعين الف وخمسين الف قنبلة .
السويدي : حديقة الزوراء ، مخطوط ، ق٢ ، ورقة ١٧٢ ، الكركوكلي دوحة الوزراء ، ص ٥٠ محمد امين العمري : منهل الاولياء جـ١ ص ١٥٥ لانزا : الموصل في القرن الثامن عشر ، ص٣٨ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٨٤ .

(٣٠٥) محمد امين العمري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٥٤-١٥٥ ، ياسين العمري : الدر المكنون ، مخطوط ، حوادث سنة ١١٥٦هـ .

تتناثر كنجوم من اديم السماء ، وقد ملأ رعيد صوتها تلك الافاق» ، الا ان ذلك لم يؤثر في عزيمة وصمود المدافعين(٣٠٦) .

واذا ذاك نقل نادر شاه مقر قيادته من « يارمجة » الى موقع قريب من المدينة ليشرف بنفسه على القتال ، فامر بقصف مدفعي شديد لبرج «باش طابية» في شمالي الموصل ، حيث مقر الوالي ، ادى الى تهدم جانب من البرج فخارت عزائم المدافعين واستحوذ عليهم القنوط ، لكن الوالي استخدم نشاطه كله في سبيل ادامة المقاومة ، وبذلت مجهودات عظيمة في احكام البرج من جديد(٣٠٧) . ثم تسبب احد الالغام التي زرعها الفرس في عمل فجوة واسعة في السور ، فاندفع الفرس بعنف الى الامام مهاجمين ، الا ان الذين كانوا يدافعون بشجاعة اليأس كبدوهم خسائر فادحة(٣٠٨) ، كما صدوا بعنف هجوم متسلقي السلالم التي نصبت على السور ، ففشل الفرس في محاولة النفاذ الى المدينة وتكبدوا عددا كبيرا من القتلى(٣٠٩) .

---

(٣٠٦) سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٣٠٧) تقرير حسين باشا القازوقجي الذي رفعه ووالي الموصل الى الباب العالي بعد انتهاء الحصار . (نص التقرير في ملاحق كتاب منية الادباء لمؤلفه ياسين العمري) وانظر : تاريخ عزي ، جـ١ ، ص ٢٣٥ ، سليمان صائغ : المصدر السابق ، جـ١ ص٢٨٤ـ٢٨٥ .

(٣٠٨) لانزا : الموصل في القرن الثامن عشر ، ص٣٨ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص ١٨٥ .

(٣٠٩) محمد امين العمري : منهل الاولياء ، جـ١ ، ص١٥٩ ، عماد عبدالسلام الموصل في العهد العثماني ، ص١١٠ـ١١١ .
ومن الطريف ان نذكر هنا ان القس سليمان صائغ يرجع انتصار اهل الموصل في رد الفرس الى شفاعة العذراء والقديسين ، اذ كانت هناك اشباح على سطح كنيسة العذراء تحمل السلاح وتقاتل وترجع المقذوفات المتجهة الى المدينة الى العدو ، ولهذا سعى الوالي حسين باشا الجلبي الى تجديد كنيسة العذراء التي تهدمت خلال الحرب كما جدد ورمم كنائس اخرى .
سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص٢٨٨ـ٢٨٩ .

(٣٠٦) سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٨٤ .

وبعد ان وجد نادر شاه ثبات اهل الموصل وصمودهم ، وفقده للكثير من رجاله ونفاد مؤنه ، يئس من امل الاستيلاء على المدينة ، وادرك عدم جدوى القتال ، فاضطر ان يطلب الصلح(٣١٠) لاسيما وان انباء مثيرة للقلق وافته من بلاده عن ظهور مدعين اثنين بالعرش الصفوي(٣١١) ، ونشوب اضطرابات في اقليم شيروان(٣١٢) .

ويذكر نيبور ان حصار الموصل اظهر ضعف نادر شاه في عمليات الحصار اذ يقول : «ان اعداءه كانوا يرهبونه في ساحات القتال ، ولكنه كان لايعرف شيئا من فنون حصار القلاع ، اضافة الى ان الفرس كانوا لايحسنون فن المدفعية . فقد هاجم نادر شاه المدينة من الجهة الشمالية الغربية عند الباب العمادي حيث كان من اشد جهات سور المدينة حصانة ، كما كانت هذه الجهة خالية من السكان تقريبا»(٣١٣) .

وقد ارسل الباشا الجليلي الى نادر شاه ــ الذي فاتحه بالصلح ــ وفدا مؤلفا من قاضي الموصل ومفتي الشافعية وأحد وجهاء المدينة ، فلما وصلوا الى

---

(٣١٠) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ مخطوط ، ورقة ١٧٢ ، الكركوكلي دوحة الوزراء ، ص٥٠ــ٥١ ، محمد امين العمري : منهل الاولياء ، جـ١ ، ص١٥٩ ، ياسين العمري : زبدة الاثار الجليلة ، ص١٠٣ ، غاية المرام : ص١٨٢ ، ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، جـ٢ ، ص٧٩ــ٨٠ ، الصائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص ٢٨٦ .

(٣١١) وهما سام ميرزا الذي زعم انه واحد من سلالة الشاه سلطان حسين والاخر صافي ميرزا ، المعروف ب (الياس محمد علي رفسنجاني) ، الذي اعلن انه ابن الشاه سلطان حسين .

(٣١٢) محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص٢٧٦ ، غلام مقتدر : المصدر السابق ، ص ١١٤ .
وانظر : رحلة نيبور الى العراق ، ص ١١٦ ، سروا ليس بدج : رحلات الى العراق ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

(٣١٣) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ص١١٦ .
والجدير بالذكر انه كان للموصل سبعة ابواب هي : الباب العمادي وباب سنجار وباب البيض وباب الجديد وباب لجش وباب الطوب وباب الجســـر .

مقر الشاه عند قرية القاضية على بعد سبعة كيلو مترات عن مدينة الموصل ، استقبلهم بحفاوة واثنى على بسالة اهل الموصل ثم قال لهم : «انا من الاصل ما كان لي دعوى مع اهل الموصل ، ولكن كان مرادي تصحيح عقيدتي واظهار ما هو حق .. »(٣١٤) . وقد تم عقد الصلح ، ومن ثم تبودلت الهدايا الثمينة(٣١٥) .

وفي الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٧٤٣م (٤ رمضان ١١٥٦هـ) انسحب نادر شاه بجيشه الى كركوك(٣١٦) بعد حصار للموصل دام اكثر من اربعين يوما(٣١٧) ، ثم توجه الى بغداد ، تاركا معظم جيشه في قره تبه(٣١٨) ، وعند وصوله اليها عقد صلحا مع واليها احمد باشا ، الذي اشترط عليه العودة الى بلاده(٣١٩) .

ولما كانت هناك قوات فارسية تحاصر البصرة ، فقد اصدر نادر شاه اوامره فورا برفع الحصار عنها(٣٢٠) .

---

(٣١٤) محمد امين العمري : منهل الاوليا ، جـ١ ، ص ١٦٠–١٦١ .

(٣١٥) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٨٥ ، سليمان صائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، ص٢٨٦ .

(٣١٦) لونكريك : نفس المصدر ، ص١٨٦ .
وعن تاريخ الانسحاب انظر : منهل الاولياء ، جـ١ ، ١٦٢ .

(٣١٧) واقعات العجم ، مخطوط ، ورقة ٢ ، رحلة نيبور الى العراق ، ص١١٦ الصائغ : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٨٨ .
كافأ السلطان العثماني محمود الاول ، والي الموصل حسين باشا الجليلي لصموده وشجاعته ، بان ملكه قرية « قره قوش » التي كانت من خواص ولاية شهرزور . العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٣١٨) احدى نواحي كركوك ، وتقع في الجنوب الشرقي منها .

(٣١٩) السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط ، ورقة ١٨٦ .

(٣٢٠) قدوسي : نادر نامة ، ص ٢٧٦ .

وكان الفرس قد بدأوا في الثامن والعشرين من آب ١٧٤٣ م (٧ رجب ١١٥٦هـ) بمحاصرة البصرة، بقوات تبلغ اكثر من اثني عشر الف رجل [٣٢١]. وقبل بدء الحصار استلم متسلم البصرة رستم اغا رسالة من حاكم الحويزة — الذي عينه الشاه قائدا للقوات الزاحفة الى البصرة — يطلب فيها تسليم المدينة، غير ان المتسلم بعد ان تشاور مع اعيان اهل البصرة رفض هذا الطلب [٣٢٢]. ومن ثم، بدأت القوات الفارسية بالعبور الى الضفة الغربية لشط العرب، وفرضت الحصار على المدينة، وقد انضمت اليها قبيلتا (المنتفق وبنو لام) [٣٢٣] العربيتان، اللتان كانتا لعدة سنوات من قبل في ثورات متقطعة ضد العثمانيين [٣٢٤] وبعث حاكم الحويزة برسالة ثانية كرر فيها طلبه بتسليم المدينة، لكن المتسلم رفض طلبه ايضا [٣٢٥].

وقد وجد توماس دوريل Thomas Dorill المقيم الانجليزي في البصرة، نفسه في وضع حرج، اذ خشى ان تكرر سلطات البصرة ما فعلته سنة ١٧٣٥م (١١٤٨هـ) عندما استولت على سفينتي شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة واستخدمتها في قتال الفرس، ولتفادي تعقيد الامور، اصدر المقيم اوامره الى السفن الانجليزية، بمغادرة الميناء، بل وامر بابعاد فرقاطة [٣٢٦]

---

(٣٢١) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1199.

(٣٢٢) صورة من الرسالة والاجابة عليها محفوظة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في بغداد تحت رقم (٣٠٩).

(٣٢٣) احمد كسروى: تاريخ بانصد سالة خورستان، ص١١٩.

(٣٢٤) عن هذه الثورات، انظر: الكركوكلي: دوحة الوزراء، ص ١٩، ٤١، ٤٣، ٤٨ ويصف لونكريك بني لام بانهم مناصري الفرس العلنيين.
(لونكريك: اربعة قرون، ص ١٩٠).

(٣٢٥) صورة من الرسالة الثانية والاجابة عليها محفوظة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في بغداد تحت رقم (٣٠٩).

(٣٢٦) فرقاطة (من الكلمة الايطالية Fregatta) وهي نوع من السفن الصغيرة المقاتلة ذات المجاذيف.
جب وبوون: المجتمع الاسلامي والغرب، جـ١، ص ١٣٩.

كانت تقوم بخدمته ، ورفض اعارتها الى المتسلم الذي امر حينئذ بالقاء القبض عليه وسجنه عدة ايام ، فاضطر الى الاذعان ، خشية ان تزداد العواقب سوءا[٣٢٧].

وبينما كانت البصرة تصد هجمات الفرس المتتالية ، وصلت اوامر نادر شاه بايقاف القتال ورفع الحصار ، فانسحبت القوات الفارسية في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٧٤٣[٣٢٨] ، بعد حصار للبصرة دام اكثر من ثلاثة اشهر .

مؤتمر النجف :

ولما لم يحقق نادر شاه اية فائدة من هجومه على العراق ، عزم على ان يحقق نصرا في ميدان اخر ، فقد دعا الى عقد مؤتمر لعلماء الدين المسلمين في النجف الاشرف للتباحث في المعتقدات التي تسبب التنافر بينهما لازالتها ، فكتب الى احمد باشا والي بغداد يطلب منه ان يرسل اليه احد علماء الدين لحضور المؤتمر ، فندب اليه الشيخ عبدالله السويدي ، احد كبار المجتهدين في بغداد[٣٢٩] .

وفي الثاني عشر من كانون الاول ١٧٤٣م (٢٤ شوال ١١٥٦هـ) عقد في مدينة النجف الاشرف مؤتمر ترأسه الشيخ عبدالله السويدي الذي طلب منه نادر شاه الا يشترك كمجادل بل كحكم[٣٣٠] حضره مجتهدو المسلمين في بلاد فارس وافغانستان وما وراء النهر[٣٣١] (بخارى وما اليها) — الذين كانوا

---

(٣٢٧) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1199.
وانظر عبدالامير محمد امين : القوى البحرية ، ص ١٩ .

(٣٢٨) Lorimer, J.: op. cit., vol. I, part, IB. p. 1199.

(٣٢٩) السويدي : حديقة الزوراء ، ق ٢ ، ورقة الكركوكلي ، دوحة الوزراء ص ٥١

(٣٣٠) انظر كتاب الشيخ عبدالله السويدي نفسه والمعنون «الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية» . ص ١٩ . وانظر كذلك : الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٥٦ .

(٣٣١) اسماء هؤلاء العلماء في : عبدالله السويدي : الحجج القطعية ، ص ١٨-١٩ ، الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٥٥ .

برفقة نادر عند مجيئه للعراق — وكذلك السيد عبدالله الحائري الذي كان حينذاك من كبار مجتهدي العراق • وفي المؤتمر كان علي اكبر الملا باشي الفارسي ، وهادي خواجه الملقب ببحر العلم قاضي بخارى الحنفي ، المتحدثين الاساسيين ، وسرعان ما اصبح واضحا ان الشاه كان قد رتب الامور بعناية من قبل مع الملا باشي علي اكبر والعلماء الفرس الاخرين ، اذ عندما كان الملا باشي يسأل سؤلا اثناء المحاورة فيما يتعلق بالامور التي تسبب التنافر بين المسلمين ، كان يعتمد ارضاء الحاضرين في المؤتمر من خلال اجاباته التي يذكر نصها الشيخ عبدالله السويدي(٣٣٢) • وفي النهاية توصل علماء الدين في بلاد فارس ومجموعتا علماء الافغان وما وراء النهر الى اتفاق بخصوص جميع الخلافات •

وفي اليوم التالي لانعقاد المؤتمر وقع كل العلماء وثيقة دون فيها جميع ما قرروه والتزموه ، كما وقعها الشيخ عبدالله السويدي وصدق عليها بوصفه حكما(٣٣٣) وفي هذه الوثيقة نجد ان علماء المسلمين قد اتفقوا على رفع كل محدثات الشاه اسماعيل الصفوي ، وعدم تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وان كل من يخالف ما ورد في هذه الوثيقة عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وانه يستحق غضب الشاه وهدر دمه ومصادرة امواله(٣٣٤) •

---

(٣٣٢) الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية ، ص ٢٠–٢١ •
وانظر الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٥٦–٥٧ •

(٣٣٣) الحجج القطعية ، ص ٢١ •

(٣٣٤) للاطلاع على محضر المناظرات والوثيقة التي وقعها العلماء ، راجع :
عبدالله السويدي : النفحة المسكية في الرحلة المكية ، مخطوط ضمن مجموعة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في بغداد ، الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، عبدالرحمن السويدي : حديقة الزوراء ، ق٢ ، مخطوط • الكركوكلي : دوحة الوزراء عباس جواد البغدادي : نيل المراد في احوال العراق وبغداد ، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في بغداد ، مؤتمر النجف ، مقتطف من مذكرات عبدالله السويدي مع مقدمة وتطبيقات لمحب الدين الخطيب ويذكر ميرزا مهدي في كتابه «جهانكشاي نادرى» ان نسخة فارسية من المحضر حفظت في خزانة الامام علي (ع) في النجف •

وبعد انفضاض المؤتمر ، قابل نادر شاه ، الشيخ عبدالله السويدي ، ومما قاله له : «لاتظن ان هذا العمل يدعوني الى الفخر ، لان هذا من توفيقات الباري عز وجل الذي يسره لي ووفقني له ، حيث كان رفع سب الصحابة على يدي مع ان ال عثمان منذ كان السلطان سليم الى يومنا هذا ، كم جهزوا عساكر وجنودا ، وصرفوا اموالا ، واتلفوا انفسا ، ليرفعوا السب فما توفقوا اليه . وانا لله الحمد رفعته بسهولة ..»[٣٣٥] .

ان ماتمخض عنه مؤتمر النجف ماهو الا نتيجة ظاهرية للاتفاق بين علماء المسلمين ، وان اول صورة لفشل استمرار نتائج المؤتمر القاء القبض على كبير المجتهـــدين في العراق ، الذي ارســـله نادر الى مكة المكرمة ليصلي بالمسلمين في موسم الحج ، ومعه كتاب الى الشريف سعود أمير مكة ، وارساله سجينا الى دمشق ثم الى القسطنطينية[٣٣٦] .

تجدد الحرب بين نادرشاه والدولة العثمانية عـــام ١٧٤٥م (١١٥٨ هـ) :

كان نادر شاه قد تلقى وهو في العراق ، تقارير مزعجة عن ثورات في اجزاء مختلفة من بلاده[٣٣٧] وعن استعدادات عثمانية على الحدود بالقرب من ارمينية، لذا اسرع في ٣٠ من كانون الثاني ١٧٤٤ (١١٥٧هـ) بالعودة الى بلاده[٣٣٨] ولما كان احد مدعي العرش الصفوي ـــ وهو صافي ميرزا[٣٣٩] قد بدأ تقدمه مع اتباعه من ارضروم عن طريق قارص الى الحدود الفارسية ، تسانده قوات عثمانية ضخمة ، فقد توجه نادر شاه على رأس قواته الى تلك الجهات[٣٤٠] .

---

(٣٣٥) عبدالله السويدي : الحجج القطعية ، ص٢٥ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٦١ .

(٣٣٦) العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٧٠ .

(٣٣٧) كامل باشا : تاريخ دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص ١٦٠ .

(٣٣٨) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص١٨٦ .

(٣٣٩) كان صافي ميرزا الذي اعلن انه اخو الشاه طهماسب ، قد التجا الى الدولة العثمانية سنة ١٧٣٠م (١١٤٢هـ) ابان الاحتلال الافغاني ، بعد ان استطاع الهرب من العاصمة بمساعدة احد الارمنيين ، وقد حدثت ←

وفي التاسع والعشرين من تموز ١٧٤٤م (١٨ جمادى الاخرة ١١٥٧هـ) توغل نادر داخل الحدود العثمانية حتى بلغ قارص ، وقطع طريق ارضروم باحتلاله عددا من المواقع المهمة ، ثم قام بمهاجمة قلعة قارص بشدة ، ولكن بالرغم من القتال الدامي الذي دار عندها ، فأنه لم يستطع اقتحامها . وعند سماعه بأن قوات عثمانية كبيرة في طريقها الى قارص ، انسحب بقواته الى داخل حدود بلاده[341] وبالرغم من ذلك فان القيادة العثمانية لم تعط الاوامر للجيش بترك الحدود الشرقية ، حيث كان السلطان العثماني محمود الاول مصمما على وضع حد لنادر شاه ، واصدرت اوامرها الى قائد القرم والى ولاة ديار بكر والموصل بالتحرك مع قواتهم نحو الحدود الفارسية . وقد تمكنت هذه القوات التي بدأت زحفها من وان ، من محاصرة المدن الفارسية الواقعة على الحدود واحتلالها[342] ، في الوقت الذي كان هناك جيش عثماني ضخم يتقدم من قارص بقيادة محمد باشا الصدر الاسبق ، وقد تهيأ نادر شاه للقاء هذا الجيش في نفس المكان الذي دحر فيه القائد العثماني عبدالله كوبر ولو سنة ١٧٣٥م (١١٤٨هـ) قرب روان[343] .

اقامته منذ ذلك الوقت في جزيرة رودس في سلانيك ، ثم جلب الى القسطنطينية ، واخذ العثمانيون يناصرون قضيته وجعلوه منافسا لنادر شاه واعترفوا به شاها بعد ان بدأ نادر حروبه معهم .

تاريخ سامي وشاكر وصبحي ، ص ٢٢٣ ،

Shay, M.: Op. Cit., PP. 131 - 2.

(٣٤٠) كامل باشا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٣٤١) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٥٢ ، ص ٤٧ .

وانظر كذلك الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٦٤ ،

Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XV, P. 82.

(٣٤٢) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص٦٤-٦٥ .

(٣٤٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 269.

وفي العاشر من آب ١٧٤٥ م (١٢ رجب ١١٥٨ هـ) جرى الاصطدام الكبير بينهما[٣٤٤] ، وبعد معارك ضارية استمرت اربعة ايام حصل الفرس على نصر حاسم ، وسقط القائد العثماني صريعا[٣٤٥] فتفرقت عساكره ثم لاذت بالفرار غير المنظم ، وغنم الفرس جميع مدافعهم وذخائرهم ، وقتلوا وأسروا الوفا عديدة منهم[٣٤٦] .

واذا ذاك جهزت الدولة العثمانية جيوشا اخرى من الروم ايلي والاناضول والقرم[٣٤٧] أما نادر شاه ، فقد املت عليه ظروف بلاده الداخلية ان يطلب الصلح[٣٤٨] وارسل لهذا الغرض الى القسطنطينية في الثاني عشر من كانون الثاني ١٧٤٦م (١٩ ذي الحجة ١١٥٨هـ) احد رجاله المدعو فتح علي خان تركمان ، الذي حمل معه رسالة من الشاه الى السلطان[٣٤٩] واخرى من اعتماد الدولة الى الصدر الاعظم ، وكذلك رسالة من الملا باشي الى شيخ الاسلام مفتي القسطنطينية ، وقد ذهب المبعوث الفارسي الى القسطنطينية عن طريق بغداد حيث سلم رسالة خاصة الى الوالي احمد باشا من نادر شاه يبين فيها رغبته في عقد الصلح مع الدولة العثمانية ، ويطلب منه ان يتوسط في الامر[٣٥٠] .

---

(٣٤٤) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٣٤٥) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ٢ ، ص١٦١ ، احمد رشيد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦١ .
أما سايكس فيذكر ان القائد العثماني قتل من قبل جنده الذين تمردوا عليه بعد تراجعهم الى معسكرهم .
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 269.

(٣٤٦) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 269.

(٣٤٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص٦٦ .

(٣٤٨) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٧١ .

(٣٤٩) نص رسالة نادر شاه الى السلطان العثماني محمود الاول في : الكركوكلي المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٣٥٠) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٦٧ ، وانظر كذلك : العزاوي : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٧٢ .

وتوضح نصوص الرسائل التي حملها المبعوث الفارسي الى القسطنطينية، ان نادر شاه قد تخلى عن مطالبته بالاعتراف بالمذهب الجعفري ، لذا وافقت الدولة العثمانية على الدخول في مفاوضات معه ، وارسلت اليه مبعوثا يدعى نظيف مصطفى افندي احد كتاب الديوان الهمايوني ، خول صلاحية المفاوضة من اجل الصلح ، وقد غادر القسطنطينية الى بلاد فارس برفقة المبعوث الفارسي فتح علي خان تركمان[٣٥١] .

وفي الرابع والعشرين من آب ١٧٤٦ م (٦ شعبان ١١٥٩هـ) وصل المبعوث العثماني الى معسكر نادر شاه في كردن[٣٥٢] وعند مقابلته للشاه سلمه رسالة جوابية من السلطان العثماني وبلغه بما امر به ، كما كانت مع المبعوث رسائل جوابية من الصدر الاعظم الى اعتماد الدولة الفارسي ، ومن شيخ الاسلام مفتي القسطنطينية الى الملا باشي[٣٥٣] المجتهد الاكبر في بلاد فارس . وبعد ذلك بدأت المباحثات بين الجانب العثماني الذي مثله المبعوث نظيف افندي وولي افندي كاتب الديوان في بغداد ، والجانب الفارسي الذي مثله معير الممالك[٣٥٤] حسن علي خان وميرزا مهدي خان[٣٥٥] كاتب ديوان الشاه والمؤرخ الرسمي ، وبعد خمسة ايام من المباحثات عقدت معاهدة بين الجانبين ، وذلك في الرابع من أيلول ١٧٤٦ م ١٧ شعبان ١١٥٩ هـ)[٣٥٦] .

---

(٣٥١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٧٠ــ٧١ ، العزاوي : العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص ٢٧٢ .

(٣٥٢) تقع كردن في اقليم ساوغ بولاغ على بعد ٩٠ كيلو مترا ــ غرب شمال غرب طهران .

(٣٥٣) نصوص هذه الرسائل في : الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ٦٨ــ٦٩ وفي تاريخ عزي ، جـ٢ ، ص ٤٥ــ٥٠ .

(٣٥٤) معير الممالك بمعنى رئيس الوزراء .

(٣٥٥) مؤلف تاريخ (جهانكشاي نادرى) وكتاب (دره نادرى) .

(٣٥٦) سجلات الدولة العثمانية ، دفتر ١٥٢ ص ٦٤ .

وانظر كذلك : الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٧١،٧٩،٨٥ ،
Hammer, J.: Op. Cit., Vol. XV, PP. 117 - 118.

وتتألف هذه المعاهدة التي عرفت باسم «معاهدة كردن» من مقدمة وثلاث مواد وملحق • وقد جاء في المقدمة ان الحدود التي تم اعتبارها في المعاهدة التي وقعت في عهد السلطان مراد الرابع(١٦٣٩م) ينبغي ان تبقى نفس الحدود[٣٥٧] ولايجوز الاخلال بها او تغييرها •

اما مواد المعاهدة فقد نصت المادة الاولى منها على حماية الحجاج الفرس وتسهيل سفرهم عن طريق بغداد والشام ، وان يعاملوا كما يعامل المواطنون من الحجاج العثمانيين •

وجاء في المادة الثانية ، انه لاجل ادامة الاتفاق يعين في دار السلطنة الفارسية احد موظفي الدولة العثمانية ليكون ممثلا لها ، وكذلك للدولة الفارسية ان تعين ممثلا دائماً لها في القسطنطينية •

ونصت المادة الثالثة على انه لايجوز بيع الاسرى من احد الدولتين ؛ وانما ينبغي تسهيل عودة الراغبين الى اوطانهم •

اما ملحق المعاهدة ، فقد اكد على ضرورة التقيد فيما يختص بالحدود بما كان قد اتفق عليه في معاهدة سنة ١٦٣٩م (١٠٤٩هـ) التي وقعت في عهد السلطان مراد الرابع ، كما جاء فيه انه : ينبغي افهام الفرس بضرورة ذكر اسماء الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة الكرام بالتعظيم والتوفير ، لكي يعامل الفرس الذين يقصدون البيت الحرام والعتبات المقدسة ، معاملة حسنة كسائر المسلمين • وورد ايضا في الملحق انه يجب تسهيل التجارة بين الدولتين؛

---

(٣٥٧) يعلق لوريمر على ذلك بقوله : غير ان هذه الحدود نفسها لم تكن محددة التحديد الدقيق •

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. LL99.

الحجاج والزوار الفرس لرسوم الباج(٣٥٨) حين لا يكون عندهم اموال تجارية ، ولا يجوز حماية من فر من الجانبين ، ويجب تسليمه الى دولته(٣٥٩) .

وتنفيذاً للمعاهدة ، ارسلت الدولة العثمانية والى سيواس احمد باشا الكسرية لي الى بلاد فارس حاملا معه صورة من المعاهدة بعد ان صادق عليها السلطان العثماني ، وكتابا من السلطان الى الشاه ، وقد جاء في كتاب السلطان :

« ... اننا بالنظر لما لاحظناه من صفاتكم الملوكية الطيبة وما ابديتموه من رغبة اخوية صادقة ، فقد وافقنا على ماتضمنته المفاوضات بين الجانبين بشأن الحدود لادامة الالفة والمحبة وامتدادها الى الاعقاب والاحفاد ، مع انه لم يبدر منا الا ما يوجد خدمة الشريعةالاسلامية واعلاء كلمة الدين وحمايته، الذي اوجب شرع خاتم النبيين مجاهدة اعداءه من قبل حماة الدين من الملوك ذوي اليقين والثبات على سنة سيد المرسلين ، وتعلمون

---

(٣٥٨) الباج : وهي ضريبة المرور على البضائع ، وكان للباشا موظفون خاصون لجمع هذه الضريبة .
المنشيء البغدادي : رحلة المنشيء البغدادي ، ص ٣٩ .

(٣٥٩) انظر نص المعاهدة في مجموعة معاهدات دولت علية ايران بادول خارجه ص ١٩٤ــ١٩٥ ، ميرزا مهدي خان : جهانكشاي نادرى ، ص٤١٧ــ٤١٩ الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٧٥ــ٧٦ ، محمد حسين قدوسي : نادر نامة ، ص٥٣٩ــ٥٤٠ ، شاكر صابر الضابط : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ٤٧ــ٤٩ .

Aitchison, C.: A Collection of Treaties, XIII, Appendix No. III

كذلك يورد Hurewitz نص المعاهدة في مجموعة الوثائق التي نشرها في كتابه :

Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I, PP. 51-2.

وهنالك ترجمة فرنسية عن الاصل التركي في :

Noradounghian, G.: Recueil d'Actes Internationaux de L'Empire Ottoman, Vol. I, PP. 306 - 8.

ان الدولة العلية هي التي أخذت على عاتقها هـذه الفريضـة وقامت بما قامت به تجاه الايرانيين بسبب ما بدر منهم ، بالطرق والوسائل التي تنطبق عليها الآية الكريمة « وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـة الحسنة ... » وكان لاعمالكم الطيبة الاثر الاكبر في حمل الرعايا على جادة الصواب ، مما يدعو الى الفخر والامتنان لدى سائر الامم الاسلامية .... »(٣٦٠) .

كما ارسل نادر شاه الى البلاط العثماني صورة من المعاهدة المصدقة بيد مبعوثيه مصطفى خان شاملو مستشاره الخاص وميرزا مهدي خان كاتب الديوان والمؤرخ الرسمي(٣٦١) .

ثم شاءت الاقدار ان تكون هذه المعاهدة التي وضعت موضع التنفيذ يوم النوروز (٢١ آذار ١٧٤٧م) خاتمة المطاف في علاقات نادر شاه مع الدولة العثمانية ، ذلك انه قتل في العشرين من حزيران ١٧٤٧م (١١ جمادى الاخرة ١١٦٠هـ) . وقد حال هذا الحادث دون اتمام مراسيم تبادل السفراء ، تلك المراسيم التي اتفق عليها الطرفان(٣٦٢) .

وبمقتل نادر شاه ــ الذي ترك وراءه بلاد فارس تتخبط في الفتن والقلاقل الداخلية لمدة عشر سنوات ــ تخلصت الدولة العثمانية من خصم عنيـد اشغلها فترة طويلة .

---

(٣٦٠) نص كتاب السلطان العثماني في :
الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٨٦ــ٨٩ .

(٣٦١) تاريخ عزي ، جـ٢ ، ص١٢٥ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص، ٨٦ ، العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٥ ، ص، ٢٧٤ .

(٣٦٢) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص، ٩١ــ٩٢ .

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

العلاقات العثمانية الفارسية
١٧٤٧ - ١٧٧٤

العلاقات العثمانية الفارسية

الحالة في بلاد فارس عقب مصرع نادر شاه :

لقد كان مصرع نادر شاه ايذاناً بانتشار الفوضى في جميع ارجاء بلاد فارس، وعلامة على انحلال جيشه ، فقد بدأت صراعات دموية على العرش[1] ، وحدثت اصطدامات بين افراد الجيش[2] ، وكان جميع القادة العسكريين قد أيدوا عملية اغتيال نادر شاه ما عدا احمد خان الدوراني ، الذي كان يتولى قيادة قوات الافغان والاوزبك ، وبهذه القوات التي يبلغ تعدادها عشرة آلاف ، سعى الزعيم الافغاني الى الانتقام لقائده الصريع ، فهاجم الجنود الفرس ، ولكنه دحر وانهزم الى قندهار ، حيث تمكن من تأسيس مملكة شملت جميع افغانستان ، ومد سيطرته الى هرات ومشهد[3] .

وفي هذه الاثناء تمكن على قولي خان (ابن أخ نادر شاه) من الاستيلاء على العرش[4] ، وعرف باسم (عادل شاه) ، ويعتبر احد القادة البارزين في

---

(١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٩١–٩٢ ؛
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. II, Part. I, P. 85;

لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢١٤ ؛
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 275.

(٢) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 54.

(٣) Sykes, p.: op. cit., vol. II, p. 275.

وانظر جورج لنشوفسكي :الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ص٢٧٩ .

(٤) الكركوكلي : المصدر السابق ص ٩٥ ؛احمد راسم : عثمانلي تاريخي ج١ ص ٤٥٨ .

الحركة التي اطاحت بنادر شاه[٥] ، وقد اعلن بعد توليه العرش مسؤوليته عن مصرعه[٦] ، واسرع بأرسال قوة كبيرة للاستيلاء على (قلعة نادرى) فتمكنت من ابادة حاميتها والاستيلاء عليها ، وقتل جميع أبناء نادر شاه والكثير من الامراء[٧] وذلك بناء على اوامر من عادل شاه ، الذي كان مصمما على الاستئصال نسل نادر ، حيث شعر بأن فرص النجاح في الحكم ستكون ضئيلة ما دام هناك اى ابن لنادر على قيد الحياة ، وقد ابقى فقط على حياة حفيده (شاه رخ ميرزا) الذي كان في الرابعة عشر من عمره[٨] .

غير ان عادل شاه كان رئيسا صوريا اكثر منه قائدا ، واثبت بنفسه انه غير اهل لمهمة استعادة النظام والهدوء لبلاده ، التي ظلت الفوضى ضاربة اطنابها في ارجاءها . ويبدو انه خشى من ان تستغل الدولة العثمانية ذلك وتتدخل عسكريا لاحتلال اجزاء من البلاد ، ولذا اسرع بايفاد مبعوث الى القسطنطينية ليعرض رغبته في الابقاء على العلاقات بين الدولتين ، وزوده برسالة خاصة الى السلطان ، كما حمل المبعوث معه رسائل من اعتماد الدولة والملا باشى ، المجتهد الاكبر ، الى الصدر الاعظم والى شيخ الاسلام مفتى القسطنطنية[٩] .

---

(٥) كان على قولي (عادل شاه) قد قاد ثورة ضد نادر شاه في الاجزاء الشمالية من بلاد فارس ، وحظي بتأييد واسع في تطلعه الى العرش ، حيث انضم اليه عدد كبير من رجال القبائل السيستانيين والبلخيين والافغان كما نهض الى جانبه اكراد خابوشان . وعند مصرع نادر شاه اسرع بالتوجه من هرات الى مشهد (عاصمة الدولة الفارسية ايام نادر شاه) للاستلاء على العرش .

(٦) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 275.

(٧) على اكبربينا : تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، ص ٢٨–٢٩ ، Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 276; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 85.

(٨) ميرزا مهدي خان : دره نادر ، ص ٧٦١ ، قدوسي : نادر نامة ، ص ص ٥٦٨ ، Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 275.

(٩) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٩٥–٩٦ .

وبعد ان حكم عادل شاه لمدة عام ، خلعه وسمل عينيه اخوه ابراهيم ميرزا خان ، الذي كان يتولى منصب اعتماد الدولة[١٠] . غير ان ابراهيم ، الذي اعلن نفسه شاها ، هزم بدوره من قبل انصار شاهرخ ، حفيد نادر شاه، وقتلوه كما قتل ايضا عادل شاه[١١] .

وولي العرش بعدئذ شاهرخ ، وكان من المتوقع ان يقابل حكمه بالارتياح العام بما له من نسب ، الا انه ظهر له منافس في شخص ميرزا سيد محمد ، الذي ادعى انه من السلالة الصفوية[١٢] . وعلى اثر الصرخة التي اطلقها شاهرخ متوعدا ومعلنا الاستمرار في اتباع سياسة جده الخاصة بمشروع المذهب الخامس ، جمع ميرزا سيد قوة من الاتباع وهاجم شاهرخ الذي اخذ اسيرا وسملت عيناه ، الا ان قائد جيشه سرعان ما ظهر على مسرح الاحداث، وقبض على ذلك المطالب بالعرش ادعاء والذي سمى نفسه (الشاه سليمان) وقتله ، واعيد شاهرخ الى العرش ثانية ، وعين قائده وصيا عليه ، ولكن سرعان ما قامت حركة عسكرية اطاحت به ، واعيد مرة اخرى الى السجن[١٣] .

وفي هذا الاثناء تمكن أحد قواد نادر شاه ، وهو آزاد خان الافغاني من احتلال أذربيجان[١٤] ، وانبرى يدعى الملك ، وقد حشد حوله جماعة من الاتباع لا سيما عشيرة افشار[١٥] (عشيرة نادر شاه) . كما قام محمد حسين

---

(١٠) نفس المصدر : ص ١٠٠–١٠١ .
وانظر ايضا :
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 276.

(١١) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 85.

(١٢) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٠٧–١٠٨ .
يذكر سايكس ان مرزا سيد محمد هو ابن احد الاطباء البارزين في مشهد وقد تزوج هذا اخت الشاه حسين الذي حكم بلاد فارس خلال الفترة (١٦٩٤–١٧٢٢م)
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 276.

(١٣) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 276.

(١٤) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 59.

(١٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٠٩ .

خان[١٦] زعيم قبيلة القاجار باحتلال الاقاليم القزوينية ، فأصبح في مركز يمكنه من المنافسة على كرسي العرش[١٧] . وفي الجنوب الغربي من بلاد فارس ، حدثت حركة تزعمها علي مردان خـان ، زعيم قبيلـة بختياري ، واستطاع الاستيلاء على اصفهان ، وقد تحالف معه قائد من قبيلة زنـد[١٨] الكردية يدعى كريم خان[١٩] وناديا بأحد افراد الاسرة الصفوية شاها على بلاد فارس ، وهو « اسماعيل ميرزا »[٢٠] ، ونصب علي مردان البختياري نفسه اعتمادا للدولة[٢١] .

---

(١٦) ابن فتح علي خان الذي قتل من قبل نادر شاه سنة ١٧٢٧ واعتز القاجاريون ــ نتيجة لهذا ــ بهذا الثار الدموي ضد اسلاف هذا الشاه .
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 58.

(١٧) Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 277.

(١٨) تقطن قبيلة زند قرب اصفهان ، وهي قسم من قبيلة اللاك الاريـة القديمة . الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٢٠ .

(١٩) كريم خان ابن قاطع طريق يدعى «ايماك» ، وعندما توجه نادر شاه الى الهند جند اعدادا من قبيلة زند واصطحبهم معه ، وكان كريم خان في رفقته كجندي ، وتقدم حتى صار ضابطا ، وكان معروفا بالطموح والشجاعـة .

احمد راسم : عثمانلي تاريخي ، جـ٢ ، ص ٤٥٩ ،
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 59.

(٢٠) Ibid; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 85.

وانظر شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٢٠٩ـ٢١٠ ،
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 277.

واسماعيل ميرزا هو ابن اخت الشاه سلطان حسين ، وكان عمره بين الثامنة والتاسعة وتوج تحت اسم «اسماعيل شاه» .
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 59.

(٢١) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١١٩ـ١٢٠ .

والبختاري ، الذي اغتيل(٢٢) بعد فترة قصيره من صراعهما ، فأصبح كريم خان الزند حاكما للاقاليم الجنوبية من بلاد فارس بلا منازع(٢٣) .

ولكن سرعان ما دب الصراع بين القائدين الزندي والبختاري ، الذي

ولقد كان على القائد الزندي كريم خان ، ان يقهر منافسين اثنين على العرش ، هما آزاد خان الافغاني حاكم آذربيجان ومحمد حسين خان زعيم القاجاريين ، والذي كان يعد اقوى اعدائه ، حيث كانت قبيلة القاجار كثيرة العدد وتشتهر بالشجاعة(٢٤) .

---

(٢٢) اغتيل القائد البختياري علي مردان خان على يد امير يدعى محمد خان ويقال ان هذا الامير كان قريب كريم خان وانه ترك لواءه وانضم الى علي مردان بقصدالاعداد لهذه العملية . ميرزا صادق : تاريخ الزندية — مصدره
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 61.

(٢٣) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 61; Fraser, J.: Historical and descriptive Account of Persia, P. 189;

مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٢١٠ .

(٢٤) لشجاعة قبيلة القاجار وكثرة عدد افرادها ، فان الشاه عباس الكبير (١٥٨٧–١٦٢٩م) ، كان قد قسمها الى ثلاثة فروع : فرع جعل مقره في كنجة ، في جورجيا لكي يصد هجمات اللزجيين (ساكني الجبال بين جورجيا وبحر قزوين وهم الان من رعايا روسيا) ، وفرع ثان خطط له ان يقيم في مرو للدفاع ضد هجمات قبائل الاوزبك من موقعها على حدود خراسان ، واما الفرع الثالث فقد استقر في استراباد (وهي مدينة على الشواطىء الشرقية لبحر قزوين) ، وقد اطلق على اول هذه الفروع الذي كان مستقرا في كنجه اسم قاجار افشار وكانوا يلهجون بمدح نادر شاه ، وقد انحدر شأنهم بعد مصرعه . واستمر الفرع الثاني وهو (ازدانالو) في امتلاك مرو محاطا بالاعداء ، بينما كان قواد الفرع الثالث ، الذي ينقسم الى عائلتين كبيرتين او عشيرتين هي : يوخاري باش واشاكا باش او العليا والسفلى ، يطمحون في عرش بلاد فارس .
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 66-67;
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 277.

وبالرغم من ان كريم خان الزند قد دحر مرات عديدة خلال صراعه الطويل معهما ، لكن الفوز النهائي كان من نصيبه[٢٥] ، وقد انحاز له سكان المدن الرئيسية منذ البداية لانسانيته وعدالته[٢٦] ، فغدا في سنة ١٧٥٧ م (١١٧١ هـ) الحاكم الذي لا ينازع في بلاد فارس ، واتخذ لنفسه لقب « الوكيل » واستمر كريم خان يمارس السلطان والنفوذ باعتباره وصياً على العرش لمدة اثنين وعشرين عاما (١٧٥٧ م / ١١٧١ هـ - ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ) ، جاعلا شيراز عاصمة للدولة الفارسية[٢٧] .

موقف الدولة العثمانية من الفوضى في بلاد فارس :

منذ مقتل نادر شاه والدولة العثمانية ترقب باهتمام بالغ ما يقع في بلاد فارس ، وكان من الممكن ان تستغل الاوضاع المضطربة فيها وتتدخل عسكريا ، غير انها لم تقدم على هذا العمل حتى عندما طلب منها ذلك السفير الفارسي مصطفى خان[٢٨] وكذلك وجهاء اصفهان[٢٩] ، مبررة عدم تدخلها

---

(٢٥) للتفاصيل ، انظر :
الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٢٠-١٢٣ ، ١٢٧ ، مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٢١٠-٢١٣ ،
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 64-6, 69-74;
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, 278-9.

(٢٦) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 63-4.

(٢٧) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢١٤ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 85.

(٢٨) كان مصطفى خان قد عين سفيرا لدى الدولة العثمانية تطبيقا لمعاهدة الصلح التي عقدت بين الدولتين العثمانية والفارسية سنة ١٧٤٦م (١١٥٩هـ) . وقد قدم بغداد في اوائل سنة ١٧٤٧م في طريقه الى القسطنطينية لتسلم مهام منصبه ، غير ان مصرع نادر وقيام الاضطرابات في ارجاء بلاد فارس ادى به الى المكوث في بغداد بانتظار ماتسفر عنه الاحداث .
تاريخ عزي ، جـ٢ ، ص ٢٢٩-٢٣٠ ، الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٠٢ ، ١١٠ .

(٢٩) في سنة ١٧٥٠م (١١٦٣هـ) قدم بغداد احد وجهاء اصفهان المدعو ←

برغبتها في الابقاء على علاقاتها الطيبة مع الدولة الفارسية ، باعتبار ان ما يحدث فيها انما هو من امورها الداخلية(٣٠) .

وكان مصطفى خان السفير الفارسي المعين في القسطنطينية قد طلب الى الدولة العثمانية ان تجعل قواتها الموجودة في كردستان تحت امرته ليتنافس مع المتنافسين في ميدان الصراع على السلطة ، وذكر في كتابه الموجه الى الباب العالي :

« ... فأذا ما نلت مساعدتكم فسأتقدم لاحتلال كرمنشاه وهمدان واصفهان وقزوين ثم سائر البلاد الفارسية ، واجعلها تحت قبضتي بدون مزاحم وفي اقصر وقت . وكل ما اتمناه ان تمدوني بمقدار من رجالكم العسكريين ، وان توعزوا بأن تكون القوات الموجودة في كردستان تحت أمرتي ، وسأجعل البلاد الفارسية من اطوع البلاد لكم ، ولي الامل بأن انال ثقتكم وعطفكم ... »(٣١) .

وحاول السفير الفارسي ان يثير مخاوف الدولة العثمانية من جانب روسيا ، وذلك بأن ذكر لها في رسالته الاخطار التي تتهدد الدولة الفارسية من جراء قيام روسيا بحشد قواتها على الحدود . غير ان الدولة العثمانية لم تستجيب لطلبه ، وجاء في الجواب الذي بعثه الصدر الاعظم اليه :

« ... نرجو ان تعلموا بأن الدولة العلية لا تريد ان تفكر في الاقدام على اي عمل يخالف ما ابرمته من العهود والمواثيق ، ومع ان الوضع في البلاد

الميرزا عبدالمؤمن ، وهو يحمل مضبطة موقعة من قبل اشراف واعيان وعلماء اصفهان ، يلتمسون بها ان تتدخل الدولة العثمانية في شؤون بلاد فارس التي طفت عليها موجات من الفوضى والصراعات الدموية ، ومساعدتها في محنتها ، واقامة احد افراد السلالة الصفوية شاهاً عليها ، وقد قام السفير الفارسي مصطفى خان بتقديم هذا العرض الى باشا بغداد الذي قدمه بدوره الى الباب العالي .
الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١١٤ .

(٣٠) نفس المصدر ، ص ١١٤–١١٥ .

(٣١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١١٠–١١١ .

الفارسية أصبح في غاية الخطورة والحراجة ، واصبحت الفوضى ضاربة اطنابها هناك ، بحيث يستطيع اي طامع اجتياحها بسهولة ، فأننا قد اصدرنا تعليماتنا الى ضباط الحدود ان لا يتقدموا خطوة واحدة داخل الحدود الفارسية ، واكثرنا من الوعيد لكل من تسول نفسه الاقدام على اي عمل طائش يسيء الى سمعتنا والى مواثيقنا والتزاماتنا ، مع العلم اننا لم نشاهد اية حركة معادية من البلاد التي ذكرتسوها ولا من العشائر المجاورة لحدودنا تبرر التدخل في شؤون بلاد فارس »[٣٢] .

ويبدو ان الدولة العثمانية لم تكن تريد ان تزج بنفسها في مشاكل جديدة ، لا سيما وانها قد مرت بتجربة من هذا القبيل ، عندما استغلت الغزو الافغاني لبلاد فارس وارسلت جيوشها الى هناك واحتلت بعض المدن المهمة، ثم اجبرت على التخلي عنها عندما برزت شخصية نادر شاه. لذا كانت تخشى انها لو استغلت الاحداث الجارية في بلاد فارس وتدخلت عسكريا ، لظهر لها شخص كنادر شاه ، وعندئذ تضطر الى الانسحاب متكبدة الخسائر دون ان تحصل على ثمرة تدخلها كما وقع لها قبلا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان وضعها العام ومشاكلها الخارجية قد تكون من الامور التي حالت دون اقدامها على هذه الخطوة .

وقد ادى انشغال بلاد فارس بمشاكلها الداخلية ، وعدم تعرض الدولة العثمانية لها ، الى ان يكون العراق في مأمن من الخطر الفارسي طيلة سنوات ١٧٤٧ - ١٧٧٣ م (١١٦٠ - ١١٧٨ هـ) .

سياسة كريم خان الزند تجاه العراق :

اتبع كريم خان الزند الذي غدا في سنة ١٧٥٧ م (١١٧١ هـ) حاكما لا ينازع في بلاد فارس سياسة ودية تجاه العراق ، وكان يرسل للولاة المماليك

---

(٣٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢١١-٢١٢ .

في بغداد بين حين وآخر هدايا فاخرة[٣٣] ، ولم يفكر في الاشتباك في حرب مع العراق حتى السنوات الاخيرة من عهده (١٧٥٧ - ١٧٧٩ م) . ولذلك لم تحدث طيلة تلك المدة اية مشكلة مع بلاد فارس .

ويبدو ان سياسة كريم خان هذه ، كانت بواعثها ظروفه الخاصة لتوطيد نفوذه وسيطرته على البلاد الفارسية . يضاف الى ذلك ، المشاكل التي كان يواجهها في منطقة الخليج العربي ، والتي مبعثها ازدياد قوة القبائل العربية في الخليج ، ولا سيما اتساع نفوذ بني كعب في اعقاب مقتل نادر شاه ، الامر الذي كان يقلق كريم خان كثيراً[٣٤] .

غير ان اسباب الاحتكاك والتصادم بين بغداد وشيراز كانت تعمل في طي الخفاء ، فان ترحيب بلاد فارس باللاجئين الاكراد الذين كانوا يثورون من وقت لآخر في شمالي العراق ، ومساندتها لهم، كان مثارا للاصطدام الدائم معها. كذلك كان الخان بدوره يرتاب من التجاء الامراء الفرس الى بغداد واحتمائهم فيها ، كما ان زيارة الفرس للعتبات المقدسة في العراق ، كان يرافقه تذمر الحكومة الفارسية من معاملة باشوات بغداد لهم وادعائها بفرضهم الضرائب عليهم .

وكان رواج الحركة التجارية في البصرة ، بعد تركيز جميع تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية فيها ، على اثر تدهور العلاقات بين الانجليز وكريم خان[٣٥] ، من جملة الاسباب الاخرى المؤدية لتوتر العلاقات بين باشا بغداد والخان الذي اخذ يعد الخطط للاستيلاء على البصرة لضرب تجارتها والقضاء على منافستها للموانىء الفارسية[٣٦] .

---

(٣٣) جبرائيل حنوش اصفر : مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، مخطوط ، ورقة ٢٣٨ ، لونكريك : اربعة قرون ، ص ٢١٤ .

(٣٤) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, PP. 74-5.

(٣٥) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣٠٦ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1802.

(٣٦) عبدالامير محمد امين : القوى البحرية في الخليج العربي ، ص ٦٢ .

كما ان استيلاء عشيرة بنى كعب على اماكن يتنازعها العثمانيون والفرس ، وتذبذبها في ولائها السياسي بينهما ، خلق صراعاً عنيفا بين الدولتين العثمانية والفارسية حول مسألة تبعيتها .

بنو كعب ودورهم في الصراع العثماني الفارسي :

وكان بنو كعب قد هاجروا من نجد الى العراق في وقت ما من القرن السابع عشر[٣٧] ، واستقروا عند المستنقعات القريبة من ملتقى نهري دجلة والفرات . وفي حوالي سنة ١٦٨٠م (١٠٩١ هـ) هاجروا مرة اخرى[٣٨] ، واستقروا في الجزء الجنوبي الغربي من حوض نهر كارون[٣٩] ، في محل يعرف بـ (قوبان)[٤٠] ، وهي اكبر مواطنهم الاولى التي كانت تابعة للبصرة في ذلك الوقت[٤١] ولا يعرف على وجه التأكيد سبب هجرتهم من نجد الى العراق ثم الى منطقة الدلتا .

ولم يكن بنو كعب ذوي شأن حتى تولى الشيخ سليمان أو (سلمان) زعامتهم[٤٢] . حوالي سنة ١٧٣٧ م (١١٥٠ هـ) ، وكان شيخا نشطا ذا فكر

---

(٣٧) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١٠ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1627.

(٣٨) يعتقد كيرزون ان هجرة كعب من ملتقى نهري دجلة والفرات كان نتيجة لضغط العشائر الاخرى عليها .
Curzon, G.: Persia and the Persian Question, II, P. 322.

(٣٩) ينبع نهر كارون من الجبل الملون (كوه رنك) في منطقة البختيارية ، ويصب في شط العرب عند مدينة المحمرة .
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٧ ، لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، جـ٣ ، ص ١٥٤٨ .

(٤٠) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. II, P. 322. ان معالم قوبان قد انطمست الان ، ويبدو انها كانت واقعة على رأس خوركنكة احد فروع خور موسي
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1627.

(٤١) تقرير درويش باشا رئيس لجنة تحديد الحدود الفارسية العثمانية ، البند الرابع .

(٤٢) Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 276; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1628.

ثاقب ، استطاع ان يتوسع على حساب كلتا الدولتين العثمانيـــة والفارسيـــة مستفيدا من الاوضاع المضطربة التي سادت بلاد فارس عقب مقتل نادر شاه ١٧٤٧م[٤٣] (١١٦٠ هـ) ، ومن ضعف قوة البصرة البحرية وعجز سلطاتهـــا عن ردعه[٤٤] . فبعد هذا التاريخ اخذت قوة كعب في الازديـــاد السريع في عربستان[٤٥] ، وبـدأت تتوســـع في جهة الشـــمال والشرق باتجاه نهـر الجراحي[٤٦] ، واخذت تضغط على الاتراك الافشار ، القبيلة السائدة في هذه البقاع من عربستان[٤٧]، والذين كانت قوتهم قد ضعفت ، وبسعونة من امير الحويزة العربي تمكنت كعـــب من الاســـتيلاء عـــلى مركزهم الرئيسي الدورق[٤٨] (فلاحية الآن) ، التي اتخـذ منهـا الشيخ سليمان مقرا ثانيا لـه الى جانب مقره في قوبان[٤٩] .

---

(٤٣) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 75; Ainsworth, W.: Apersonal Narrative of the Euphrates Expedition, Vol. II, P. 208.

(٤٤) عبدالامير محمد امين : القوى البحرية ، ص ٤١ .

(٤٥) تقع عربستان على رأس الخليج العربي من الشرق ، واغلب قبائلهـــا عربية باستثناء البختيارية واللور . وقد عاد الفرس الى تسميتهـــا بخوزستان منذ ايام البهلوي رضا شاه .
لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، جـ١ ، ص ١٦٧ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٧ .

(٤٦) ينبع نهر جراحي من جبال مارجون في منطقة البختيارية حوالي اربعة عشر ميلا شمال شرق مدينة بهبهان ، ويدخل عربستان ثم يتجه جنوب الجنوب الغربي حتى الفلاحية واخيرا يلتقي بقناة من نهر كارون عند السابلة ليضيع بعدها في المستنقعات . عبدالمجيد اسماعيل : الوضع القانوني لاقليم عربستان ، ص ١٢ـ١٣ .

(٤٧) Curzon, G.: Op. Cit., Vol. II, P. 322; Ainsworth, W.: Op. Cit., Vol. II, PP. 208-9.

(٤٨) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1628.
وانظر مصطفى عبدالقادر : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية، ص ٤٢ .

(٤٩) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٤١ .

وقد واصل الشيخ سليمان احتلاله لمناطق اخرى ، فأصبح حاكما على مناطق تدعى الدولة الفارسية تبعيتها لها . وبعد ان وطد نفوذه في الجانب الشرقي من شط العرب ، اخذ يتجه نحو الغرب وبدأ في التوسع على حساب العثمانيين ، فأستولى على جزر البصرة الواقعة في شط العرب ، ثم عبر الى الضفة الغربية واستولى على منطقة الدواسر(٥٠) وعلى عدة قرى(٥١) ، واخذ يقوم بعرقلة الملاحة في شط العرب(٥٢) .

وبذلك اصبح بنو كعب في منتصف القرن الثامن عشر قوة بحرية يعتد بها في شرق شط العرب وغربه .

ولما كانت الاماكن التى استولى عليها الشيخ سليمان يتنازعها العثمانيون والفرس ، فقد ادعى كل منهما حق السيادة عليه ، باعتباره من رعاياهم ، وطالبه ، كل منهم بدفع الجزية اعترافا منه بسيادتهم عليه . غير ان ولاء الشيخ بقى مبهما ، ولم يدفع الجزية للفريقين ، كما لم يحترمهما(٥٣) .

ويقول الرحالة نيبور الذي كان موجودا في البصرة سنة ١٧٦٥ م ، والذي ترك لنا وصفاً ممتعا للاحداث في الخليج العربي حينذاك، انه اذا طلب كريمخان رسوما منالشيخ سليمان ، اعتذر عن ذلك شاكيا مضايقة حكومة بغداد له ، واخذها الاموال منه . أما اذا طلب باشا بغداد الرسوم منه ، فانه كان يشكو له أمر الفرس معه . ويضيف نيبور قائلا : « وكان يعرف جيدا

---

(٥٠) تمتد منطقة الدواسر لمسافة كبيرة على طول الشاطىء الايمن لشط العرب بين شيهان والدورة . لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي، جـ١ ، ص ٥٧٣ .

(٥١) Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 276, See also, Same auther, Voyage en Arabie, Tome II, P. 186.

(٥٢) عبدالامير امين : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٥٣) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٠٥ .

كيف يجتذب الى صفه بالاموال انبل اعيان مدينة البصرة ، وبذلك كانوا يتركونه يستولى على قراها الواحدة تلو الاخرى »(٥٤)

وكان الشيخ سليمان حريصا على ان يظل في علاقات طيبة مع كل الوجهاء العرب فيما جاور البصرة ، وكان يدفع لهم في بعض الاحيان الاموال ليحدثوا شغبا يشغلون به الباشا العثماني(٥٥) .

غير ان تزايد قوة الشيخ سليمان ، والمكانة التي اصبحت عليها كعب ، بعد أن امتد سلطانها الى الأنهار الصالحة للملاحة ، جعل من الصعب على العثمانيين والفرس أن يتغاضيا عنه لذا أندفع كل منهما لمحاربته والقضاء عليه ، وأصبحت بلاده هدفاً لكل منهما ، كما أن الانجليز كانوا يرون في قوة كعب تهديدا لمصالحهم التجارية في البصرة ، وخطرا على حرية الملاحة التجارية الانجليزية في الخليج العربي ، الذي كان يهمهم ان يبقى منطقة أمان لسفنهم ، ومن ثم فقد شاركوا العثمانيين في حملاتهم على بني كعب .

وفي سنة ١٧٥٧ م (١١٧١ هـ) شن الفرس هجوما على بني كعب بقصد اخضاعهم ، الا ان انباء مثيرة للقلق عن حدوث اضطرابات في اجزاء مختلفة من بلاد فارس ، اضطرت كريم خان الزند ، الذي كان يقود الحملة بنفسه ، الى الانسحاب(٥٦) ، بعد ان دفع له الشيخ سليمان مبلغا لا يستهان به واخذ عليه وعدا بالانتظام مستقبلا في ارسال الاتاوة(٥٧) .

كما قام العثمانيون ـ اسوة بالفرس ـ في سنة ١٧٦١ م (١١٧٥ هـ) بمهاجمة كعب ، واشتركت معهم سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فقد اصدر الكسندر دوجلاس الوكيل الانجليزي في بندر

(٥٤) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 186.

(٥٥) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1217.

(٥٦) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١١ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1628-9.

(٥٧) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 76.

عباس ، اوامره الى بعض سفن الشركة بأن تشترك مع السفن العثمانية في مهاجمة السفن الكعبية المسلحة التي كانت ترسو في خور موسى(٥٨) . غير ان الشيخ سليمان عندما ايقن انه لن يستطيع الاستمرار في مقاومتهم ، اشترى صلحا سهلا بارساله الهدايا الى باشا بغداد ، وعندئذ انسحبت القوات العثمانية من عربستان وعادت الى البصرة(٥٩) .

ولكن كعبا سرعان ما قامت باغلاق شط العرب في وجه السفن الصاعدة والهابطة معا ، وشنت هجوما على منطقة الدواسر الكائنة على الجانب الغربي من شط العرب ، الامر الذي اثار فزع السلطات العثمانية في البصرة ، وغضب شركة الهند الشرقية حيث كانت لها مصالح في تمور هذه المنطقة ، فقررت الوكالة الانجليزية في البصرة ارسال سفن مسلحة تتصدى لهم . وفي نفس الوقت وصل الى جوار البصرة والى بغداد على باشا على رأس قوة عسكرية ، وعندئذ بدأت كعب الانسحاب من الدواسر ، غير ان السفن الانجليزية كانت قد تحركت لتأمين التمور المطلوبة . كما ان والى بغداد كان مصمما على تحطيم قوة هذه العشيرة التي اصبحت تسيطر على المناطق الاستراتيجية المطلة على شط العرب(٦٠) ، وقد بعث برسالة الى وليم أندرو بريس "William Andrew Price" الذي كان مسؤولا عن الوكالة الانجليزية في البصرة ، يقول فيها :

« انني علمت مما رواه لي متسلمي بدقة انه يبدو ان الشيخ سليمان يتصرف تجاه الامور جميعا بكل ما يملك من وقاحة ، واعتقد انه من الواجب ان نرده الى صوابه ، ... لقد رسمت بطريقتك في العمل حدود الصداقة التي تقوم بين السلطان والامة البريطانية ، والتي على اساس منها لن

---

(٥٨) خور موسى ، مدخل ممتاز على البحر حيث يترك الخليج في نهايته الشمالية ناحية شرق شط العرب .
لوريمر : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص ٢٢١٥ – ٢٢١٦ .

(٥٩) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, PP. 1217-8.

(٦٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1218.

ارك فرصة تمضي من جانبي دون ان انتهزها لتأكيد صداقتي الودية لك .
واني آمل بناء على التقارير التي ارسلها لي متسلمي عن الاعمال العدائية
للشيخ سليمان ، ان تستمر انت في المساعدة بسفنك دون اى عذر لن
يلقى بالتأكيد رضاء مني ، كما انه بالتالي لن يلقى قبولا من السلطان الذي
لي بحوزتي ان اخبره بالامر ... ورغبتي . وفي نفس الوقت هي رغبة
حكومتي ، ان اسير بجيش عن طريق البر . وترسل انت سفنك لمحاصرة
مصب النهر ، ولك الحرية المطلقة في ان تأخذ وتحرق وتحطم ما قد يقابلك
ما يخص الكعبيين ، ... ان تقويض صرح كعب لا يعد مفخرة لي بقدر
ما يعد مفخرة لامتك ، وارجو ان تثق بأن مساعدتكم الفعالة هذه ستلقى
من السلطان كل اعتراف وتعويض ، وعليك الان بمجرد ان تصلك رسالتي
ان تبعث بالسفن ، وتأكد ان نجاح هذا الامر كله يعتمد على مهارتك
وصداقتك واخلاصك »[٦١] .

وعلى أثر هذه الرسالة ، بدأت السفن الانجليزية تشتبك مع الاسطول
الكعبي[٦٢] ، وبعث وليم بريس برسالة الى على باشا والى بغداد جاء فيها :

« ما ان فهمت برغبة فخامتكم في الحاجة الى مساعدة سفن الشركة
حتى وجدت ان هذا يتواءم وهدوء هذه الحكومة ، وبالتالي سيكون مفيدا
للتجارة . ونظرا للصداقة الوطيدة المعقودة بين الامة البريطانية والباب
العالي ، فقد بعثت بالسفن الى المكان المعين ، ولم يقف الامر عند هذا فحسب
بل انني ، حرصا على بيان مدى رغبتي في تنفيذ اوامركم ، افرغت حمولة

---

(٦١) Letter from Ali Bashaw, to Andrew Price, received the 18th October 1763 (Selections from State Papers, P. 170).

(٦٢) يذكر لونكريك ان مصالح الشركة نفسها هي التي اقنعت الوكيل الانجليزي بارسال سفينتين هما "Tartar" و "Swallow" (لونكريك : اربعة قرون ، ص ٢٠٧) .

احدى السفن التي كانت قد شحنت واستعدت للابحار الى الهند ، وذلك لاجل ان ارسلها في هذه الحملة ... »[٦٣] .

ولكن الشيخ سليمان آثر الصلح مرة اخرى ، وارسل من يتفاوض مع السلطات العثمانية ، متعهدا بتقديم ما عليه من رسوم ، فتوقفت العمليات الحربية دون تسوية نهائية[٦٤] .

وكانت السلطات العثمانية في العراق تكتفي في تعاملها مع القوى العشائرية القوية ، بقبول الاموال السنوية من رؤسائها او التعهد بدفعها بانتظام ، باعتبار ان ذلك دليل على الولاء لها ، وهو ما ادركته كعب ، فقدمت الاموال الى العثمانيين كما قدمتها للفرس الذين كانوا يكتفون ايضا بذلك .

ولقد استطاعت كعب بهذا الاسلوب ان تتخلص من محاولة فرض السيطرة عليها سواء من قبل العثمانيين او الفرس ، وفي نفس الوقت استمرت في تعزيز قوتها تدريجيا ، حتى اصبحت فعلا قوة لها وزنها في المنطقة[٦٥] . وفي سنة ١٧٦٥ م (١١٧٩ هـ) كانت في حوزتها عشر غلافات[٦٦] وسبعون سفينة صغيرة[٦٧] . وفي هذه السنة تعرضت كعب

---

(٦٣) Letter from William Andew Price, Esq., to Ali Pashaw of Baghdad, dated the 19th October 1763 (Selections from State Papers, P. 171).

(٦٤) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٣٤–١٣٥ .

(٦٥) نوار : العلاقات العراقية الايرانية (دراسة في دبلوماسية المؤتمرات) ، ص ٤٧ .

(٦٦) الغلافات : سفن حربية ، تتحرك بالمجاذيف عادة ، وتتميز بانها تستطيع السير في مياه قليلة العمق . وقد لعب هذا النوع من السفن دورا مهما في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر . عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٥٦ .

(٦٧) Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 276.

اما ارنولدولسون فيقول ان الاسطول الكعبي كان يتكون من حوالي اثنتي عشرة سفينة حربية بالاضافة الى عدد كبير من السفن التجارية. (ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١١)

لهجوم من قبل الفرس ، حيث قاد كريم خان الزند حملة اخرى ضدها بهدف اخضاعها . ولكن عند اقتراب القوات الفارسية من منطقة كعب ، اخذ الشيخ سليمان ينتقل بنفسه من جزيرة الى اخرى في شط العرب ، ولم يترك لهم الا مدنا وقرى خالية حتى وصل سالما الى الارض العثمانية على البر الغربي لشط العرب[٦٨] .

وهنا عرض كريم خان الزند على سلطات البصرة ان تتعاون معه للقضاء عليه وتقليص نفوذ بني كعب ، فوعدوه بالمساعدة[٦٩] ، وتم استدعاء فرقة مشاة من بغداد ، وصدرت الاوامر الى الاسطول العثماني في البصرة بأن يكون على اهبة الاستعداد[٧٠] .

غير أن تدابير السلطات العثمانية استغرقت وقتا طويلا جدا[٧١] ، وكان متسلم البصرة[٧٢] يبلغ كريم خان الزند من وقت لآخر بانه ينتظر رجالا وسفنا اكثر من بغداد[٧٣] . وعندما شعر كريم خان بأن العثمانيين غير جادين في مساعدته ، بعث بخطاب الى متسلم البصرة يعبر فيه عن استيائه الشديد لهذا الموقف ، الذي افسد الخطة برمتها ، ويبلغه بأنه قد قرر ايقاف القتال والانسحاب[٧٤] .

---

(٦٨) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1219.
وانظر ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١١

(٦٩) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 187.

(٧٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part, IB, P. 1219.

(٧١) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٤٤ .

(٧٢) كان المتسلم في هذه الفترة هو سليمان اغا ، وقد تولى في سنة ١٧٨٠م باشوية بغداد وعرف بـ «سليمان باشا الكبير» .

(٧٣) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 187.

(٧٤) Selections from State Pepers, P. 192; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol, I, Part. IB, P. 1219.

غير ان الفرس دمروا في حملتهم هذه ، (الدورق) عاصمة بني كعب التي وجدوها مهجورة[٧٥] ، كما قاموا بتدمير السداد المقامة على ضفاف نهر الكارون عند موقع السابلة ، مؤثرين بذلك رخاء (قوبان) ، التي كانت تروى من قناتين تستمدان مياهها من نهر الكارون ، وبسبب ذلك انتقلت كعب الى (الفلاحية) واتخذت منها مقرا لها[٧٦] .

ويعلل الرحالة نيبور عملية انسحاب كريم خان بأنه لم يجد لديه ما يكفي من السفن التي تمكنه من ملاحقة الشيخ سليمان وتوجيه الضربة اليه، كما انه لو ترك قوة احتلال في منطقة بني كعب ، فان نفقات تموينها ستكون باهظة ، وهذا سيجعله في حالة حرب مستمرة لا تعود عليه بأية فائدة[٧٧] .

ومن ناحية اخرى ، فان كريم خان كان يواجه في نفس الوقت خطر مير مهنا حاكم (بندرريق)[٧٨] الذي رفض الولاء له ، وسخر من مبعوثه الذي جاء يطالبه بالاتاوة ، وعامله بازدراء ، الامر الذي اغاظ الخان ، فارسل في

---

(٧٥) ولسون : الخليج العربي ص ٣١١ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 140.

(٧٦) Layard, A.: "A description of the Province of Khuzistan" the Journal of the Royal Gegraphical Society of London, Vol. XVI, Part. I, 1846, P. 55.

ويذكر لوريمر ان كريم خان اباد فيما يبدو السابلة ايضا التي لم يسمع عنها شيء في التاريخ التالي لقبيلة كعب .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1630.

(٧٧) Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 277; Voyage en Arabie, II, PP. 187-8.

(٧٨) بندرريق : ميناء صغير يقع الى الشمال الغربي من بوشهر . اما ميرمهنا فانه ينتمي الى عرب عمان الى قبيلة بني صعب ، وقد لعب دورا بارزا في تاريخ الخليج العربي خلال الفترة (١٧٥٣–١٧٦٩) ، حارب خلالها الهولنديين والفرس والانجليز على التوالي .
Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 274.
للتفاصيل عن حروب مير مهنا انظر :
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1784 - 1800.

مايس ١٧٦٥ م قسما من قواته ، التي كانت تقوم بعمليات حربية ضد بني كعب ، لقتال مير مهنا[٧٩] .

وفيما يتعلق بعدم مشاركة العثمانيين للفرس في حملتهم على بني كعب ، فان ذلك يمكن ان يعزى الى ضعف قوة البصرة البحرية ، وهذا ما يؤكده نيبور حيث يقول :

« كانت قوة متسلم البصرة تتناقص سنة بعد اخرى ، وقد بلغ خلال مكوثي هناك حدا من الضعف جعله لا يقوى على الوقوف حتى امام هذا الشيخ الصغير »[٨٠] ، كما ان الوضع العام في العراق كان لا يسمح بامداد متسلم البصرة بالقوات العسكرية ، بسبب انشغال حكومة بغداد بالثورات العشائرية . ففي الوقت الذي كان فيه كريم خان الزند يشن هجومه على بني كعب ، كان والي بغداد عمر باشا يقود حملة ضد عشيرة الخزاعل[٨١] ، وقد واجه مشكلة في نفاذ ذخيرته[٨٢] .

أما العثمانيون ، فقد اعلنوا انه كان في استطاعتهم استعادة كل ما اخذه منهم الشيخ سليمان ، وانه كان في امكانهم القضاء عليه بسهولة ، لو انهم قاموا بمهاجمته بالاتفاق مع الفرس ، ولكن ذلك كان ضد مبدأ حماية من يلتجأ اليهم ولذلك كانوا له ولقواته ملاذا[٨٣] .

وبالرغم من ايقاف الفرس لعملياتهم الحربية ضد بني كعب ، فان الشيخ سليمان لم ينسحب من منطقة البصرة ، واخذ يتعرض للملاحة في

---

(٧٩) Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 275; Voyage en Arabie, II, PP. 151 - 2, 187.

(٨٠) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 187.

(٨١) الخزاعل : عشيرة قوية من طي من سنبس من قحطان . بعضهم في مصر في سخا وبعضهم في العراق غربي السماوة ومنطقة الحلة .
انظر العزاوي : عشائر العراق ، جـ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٨٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٣٩–١٤٠ .

(٨٣) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 188.

شط العرب ، الامر الذي حال دون وصول الكثير من السفن التجارية الى ميناء البصرة ، مما اثر تأثيرا بالغا في تجارتها . ويذكر نيبور ان البصرة في سنة ١٧٦٥ م كانت غاية في التعاسة حيث كانت التجارة فيها ضعيفة الى ابعد الحدود ، حتى انه لم يتجمع فيها تجار بشكل كاف يسمح بتكوين قافلة كبيرة ، وانه يأتي اليها عادة في الخريف حوالي خمسين (ترانكى) من موانىء عمان ، تحمل كلها البن من مخاوالحديدة ، وعند بدء وصول اول دفعة منها اضطرت الى دفع رسوم مرور كبيرة للشيخ سليمان ، وعند عودتها كان عليها ان تشتري التمر منه ، وقد كان ذلك في نظر العثمانيين وقاحة كبيرة(٨٤) .

لذلك قام العثمانيون في مايس ١٧٦٥ م بتوجيه حملة ضد الشيخ سليمان ، كانت مؤلفة من قوة برية تعدادها حوالي خمسة آلاف جندي ، وقوة بحرية تضم احدى عشر (تكنة)(٨٥) و (غلافة) واحدة ، بالاضافة الى عدد من السفن الصغيرة المحملة بالذخيرة والرجال ، وسفينة انجليزية استأجرها المتسلم من الوكيل الانجليزي في البصرة ، كما استعان بملاحين انجليز لقيادة اثنتين من (تكناته)(٨٦) .

وعندمابدأت العمليات الحربية ضد بني كعب، استطاع الاسطول الكعبي مباغتة السفن العثمانية والاستيلاء على ثلاث منها ، ثم قام بمهاجمة عدة

---

(٨٤) Ibid, PP. 192-3.

ويذكر نيبور انه عندما وصلت الى مسقط انباء تعرض بني كعب للسفن التجارية ، افرغ البن الذي كان في السفن الصغيرة وتم شحنه في سفينة حربية ولكن عند وصول هذه السفينة الى بوشهر (الميناء الفارسي على الخليج العربي) لم تجرؤ على مواصلة رحلتها الى البصرة ، ووضعت كل حمولتها في جزيرة خارج (على بعد ٣٥ ميلا شمال غربي ميناء بوشهر) .

(٨٥) التكنة : نوع من السفن المسلحة ، مسطحة القعر ومطلية بالقار . انظر :

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1219.

(٨٦) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, PP. 188-9.

قرى بجوار مدينة البصرة ، واستولى على بعض قوارب النقـل الصغيرة . ولكن الشيخ سليمان لم يكن يرغب في مواصلة الحرب مع العثمانيين ، الذين ادخلت هذه العملية الرعب في قلوبهم لذا تم عقد الصلح بينهما ، وعادت القوات العثمانية الى البصرة بعـد ان قضت في الميدان حوالي الثلاثـة اسابيـع[٨٧] .

ويبدو ان ايقاف الشيخ سليمان للعمليات الحربية ، يرجع الى الموقف الصعب الذي كان يواجهه مير مهنا حاكم بندرريق ، اذ كان يواجه هجوما فارسيا انجليزيا[٨٨] فأراد الاسراع في نجدته ، ويقول نيبور الذي شاهد هذه الحرب بنفسه انه « في العاشر من تموز شاهدنا بالقـرب من شـاطىء الخليج الشرقي ، عشر غلافات وبعض السفن الصغيرة ، وقد علمنا ان قسما منها يعود لمير مهنا ، والقسم الاخر للشيخ سلمان الكعبي ، مما يدل على ان العدوين المشتركين لكريم خان كانا قد جمعا قواتهما البحرية »[٨٩] .

وفي الثامن عشر من تموز ١٧٦٥ م هاجمت كعب ـ مستخدمـة ست غلافات ـ سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية ، كانت قد وصلت شط العرب في طريقها الى البصرة قادمة من مدراس في الهنـد ، واستولت عليها ، كما استولت في اليوم التالي على يخت الشركة ، الذي كان في طريقه الى البصرة قادما من بوشهر ، وبصحبته سفينة بنغالية تجاريـة كبيرة كان يقوم بحراستها ، وتم الاستيلاء عليها ايضا[٩٠] .

(٨٧) Ibid, P. 189; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. I, P. 1219; Part. II, P. 1631.

(٨٨) عن هذا الهجوم انظر :
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1784-1788.

(٨٩) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 159.

(٩٠) Selections from State Papers, PP. 193-4.
وانظر : Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, PP. 189-190; Curzon, G.: Op. Cit., Vol. II, P. 323; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 140; Part. II, PP. 1631-2.

وكان الشيخ سليمان قد اعلن بأن صلحه مع العثمانيين لا يعني ابدا اسقاط حقه في الانتقام لنفسه من الانجليز[٩١] ، الذين لعبوا دورا فعالا في مساعدة سلطات البصرة ضده .

وعلى اثر هذا الحادث ، قام وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة بطرس الوين رينش Wrench بمقابلة متسلم البصرة لمناقشة الموقف ، مبينا له انه لما كان الانجليز يتاجرون في البصرة تحت حمايته ، ولما كانت كعب من رعايا السلطان ، فانه لا يستطيع ان يتقدم بطلب الى كعب لاعادة السفن الا عن طريقه . وقد اكد المتسلم له انه سيبذل كل ما في وسعه لاجابة طلبه ، وارسل على الفور خطابا الى كعب ، وصحب المبعوث الذي حمل هذا الخطاب شخص من الوكالة الانجليزية في البصرة ، غير ان كعب رفضت الاذعان[٩٢] .

وعندئذ طالب وكيل الشركة حكومة البصرة بالتعويض عن السفن ، وبعث بخطاب الى حكومة بومباي ، اشار فيه الى الاخطار التي تتعرض لها تجارة الشركة ، وذكر انه سيكون امرا بالغ الصعوبة لاي سفينة من سفن التجار ان تتابع مسيرها في شط العرب ان لم يوقف الشيخ سليمان عند حده سريعا ، وان تدمير كعب هو اقصى ما تنشده التجارة في هذا المكان ، وهو امر لا يستطيع ان يتكفل به العثمانيون بدون مساعدتنا . واوصى الوكيل بارسال قوة بحرية لمهاجمة كعب واستخلاص السفن من قبضتها ، وقال ان هذا الامر يجد هوى لدى حكومة البصرة التي اعلنت انها ستقوم بمهاجمة كعب برا اذا قام الانجليز بمهاجمتها بحرا[٩٣] .

---

(٩١) Niebuhr, C.: Voyage en Arabie, II, P. 189.

(٩٢) Selections From State Papers, P. 193.

(٩٣) Ibid, PP. 193-4; Loimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1632.

وبالنظر لخطورة الموقف ، جهزت حكومة بومباى على جناح السرعة حملة بحرية توجهها الى الخليج العربي من الهند[٩٤] ، وذكـرت في الخطاب الذي بعثته الى وكيل الشركة في البصرة ، انها تريد بهـذه الحملة انقاذ تجارتها في الخليج من أية اعتداءات عليها في المستقبل ، ولرد كعب الى حظيرة الطاعـة[٩٥].

وعند وصول القوة البحرية الى مياه شط العرب ، تقدم الـوكيل ـ بناءعلى تعليمات من حكومة بومباى ـ بعدة مطالـب الى الشيخ سليمان ، تضمنت اعادة السفن الانجليزية مع شحناتها ، والتعويض المناسب عن مـدة حجزها وعن التكاليف التي تكبدتها شركة الهند الشرقية الانجليزيـة في ارسال الحملة البحرية[٩٦] .

وورد في تعليمات حكومة بومباى انه في حالة موافقة الشيخ سليمان على هذه المطالب فان على الوكيل ان يرتبط معه بتعهد نيابة عنها ، مفاده الا تدخل الشركة في اى نزاع بينه وبين جيرانه ، على ان يتعهد من جانبه بعدم التعرض الى تجارة الشركة في المستقبل . وعند التوقيع على مثل هذا التعهد ، فان الوكيل سوف يخبر السلطات العثمانية في البصرة بشكل حاسم انهم

---

(٩٤) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١١ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 140.
كانت الحملة مؤلفة من ست سفن مع خمسين جندي من جنود المشاة وخمسة عشر رجلا من رجال المدفعية ومائة وخمسين جنديا هنديا وخمسة وعشرين بحارا .
Selections from State Papers, P. 195.
وانظـر :
Curzon, G.: Op. Cit., II, P. 323; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1633.

(٩٥) Selections from State Papers, P. 195.

(٩٦) Copy of a letter from the Agent to Shaik Solyman Chaub dated the 27th March 1766 (Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Vol. 16, dispatch No. 918).

طالما ليسوا بالمقدرة التي يعوضون بها الشركة عن الخسائر التي تكبدتها جراء تدخلها في مشاجراتهم ، فيجب الا يتوقعوا تدخلها مرة اخرى الى جانبهم[٩٧] .

ولكن الوكيل فشل في التوصل الى حل سلمي مع الشيخ سليمان ، الذي رفض جميع المطالب[٩٨] ، وعندئذ بدأت الحرب بين الانجليز والعثمانيين من جهة وكعب من جهة اخرى[٩٩] ، وارسل الوكيل خطابا الى كريم خان يرجوه فيه ان لا يؤوي أي لاجىء كعبي ، ولكنه لم يتلق ردا[١٠٠] .

غير ان بني كعب استطاعوا خلال العمليات الحربية التي دارت خلال اشهر صيف سنة ١٧٦٦ م ان يحرقوا تسع سفن عثمانية ، من بينها سفينة القيادة ، وقتلوا الرجال الذين كانوا عليها ، كما احرقوا السفينتين الانجليزيتين اللتين كانوا قد استولوا عليهما ، بعد ان قام الانجليز بمحاولة فاشلة لاستردادها[١٠١] .

وعندئذ شن الانجليز هجوما لاقتحام استحكامات بني كعب في خور موسى ، ولكنهم ردوا على اعقابهم بعد ان تكبدوا خسائر فادحة[١٠٢] .

---

(٩٧) Selections from State Papers, P. 195.

(٩٨) Copy of a letter from Shaik Solyman Chaub received the 3th April 1766 (F.R.P.P.G., Vol. 16, dispatch No. 918).

(٩٩) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٤٧ .

(١٠٠) Selections from state Papers, P. 203; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1635.

(١٠١) Selection from State Papers, P. 208; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 140; Part. II, PP. 1636-7.

وانظر لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢١٠ .

(١٠٢) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣١١ ؛

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 140; Ainsworth, W.: Op. Cit., Vol. II, P. 209.

ولم تتوقف العمليـات الحربيـة الا بعد ان تدخل كريم خان ، الذي ارسل مبعوثا الى العثمانيين والانجليز يطلب منهم الانسحاب من ارض بني كعب ، مدعيا انها اراض فارسية ، وان بني كعب من رعاياه ، وذلك بعد ان ناشدته كعب ان يتولى حمايتها(١٠٣) .

وقد ابلغت السلطات العثمانية وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة ، بانها مضطرة الى الاستجابة لمطلب كريم خـان ، خشيـة ان تشب حرب بينهم وبين الفرس(١٠٤) . وعلى هذا ، فقد انسحبت القوات العثمانية من منطقة (قويان) ، واكتفى الانجليز بضرب حصار بحري على كعب(١٠٥) .

وخلال فترة الحصار التي استمرت مدة سنتين (١٧٦٦ – ١٧٦٨ م) تمكن بنو كعب من بناء مواقع حربية على جانبي شط العرب ، حيث كان العثمانيون عاجزين عن منعهم . ويقول هنرى مور Henry Moore وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة ، « انها لظروف مريرة ان ترى سفن كعب تحت انف طراداتنا ، ولا نجرؤ على مسهم ، والتفكير في ذلك يعتبر جنونا ، بالنظر الى العلاقات الحاليـة بين كعب والعثمانيين ، والى مركزنا الحالـي »(١٠٦) .

واخيرا اضطر الانجليز الى رفع الحصار عن كعب دون ان يحققـوا شيئا ، وهددوا باشا بغداد بانهم سوف يتخلون عن حماية البصرة ويسحبون اسطولهم الراسي في شط العرب ، اذا لم يعوضهم عما لحق بهم من خسائر في

---

(١٠٣) Selections from State Papers, P. 211; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1638-9, 1789.

وانظر ولسون : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(١٠٤) Selections from State Papers, P. 209.

(١٠٥) ولسون ، المصدر المصدر السابق ، ص ٣١٢ ،

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1639.

(١٠٦) Ibid, PP. 1640-2.

حربهم مع كعب[١٠٧] ، وقد قبل الباشا ان يتحمل كافة نفقات الاسطول ، فأخذ يدفع مبلغ ألف تومان شهريا[١٠٨] .

وكان الانجليز على يقين من ان باشا بغداد مستعد لهـذا التعويض ، فليست لديه – بدونهم – امكانية الدفاع عن البصرة وحماية الملاحة في شط العـرب .

وقد ظلت كعب قوة مهابة وقادرة على التصدي للقوى المجاورة[١٠٩] ، وبقيت مسألة تبعيتها موضع صراع عنيف بين الدولتين العثمانية والفارسية ، بل كانت احدى المشاكل المعقدة التي واجهت الدولتين في القرن التاسـع عشـر .

ويعتبر هنرى مور وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة اول مـن حاول تحديد تبعية كعب ، فقد ذكر في خطاب بعثه الى مجلس المديرين في لنـدن :

« ان كعب تعد في الاصل من رعايا العثمانيين ، ولسنوات طويلـة كانت تملك اراضي واسعة ضمن حدود الامبراطورية العثمانية المحاذيـة

---

(١٠٧) Copy of a letter from the Agent to the Pasha of Baghdad dated 5th May 1766. (F.R.P.P.G., Vol. 16).

(١٠٨) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٥٠ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1635.
التومان عملة فارسية فضية، كان يساوي مايقرب من باونين استرلينيين

(١٠٩) في خريف سنة ١٧٩١ تعرض بنو كعب للسفن العمانية المحملة بالبن والمتجهة الى البصرة ، ووقع اصطدام غير حاسم بين الاسطول العثماني الذي كان يحمي السفن القادمة الى شط العرب والاسطول الكعبي .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1646.
ومما يجدر ذكره هنا ان السلطات البريطانية كثيرا ما اوصت ممثليها في الخليج العربي بتجنب كعب وعدم التورط معها بأي شكل مـن الاشكال . انظر :
عبدالامير محمد امين : اضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث «المجلة التاريخية ، العدد الاول ، السنة الاولى ، بغداد ١٩٧٠ ، ص٩٧

للامبراطورية الفارسية ، الامر الذي كان يضطرها الى ان تدفع سنويا مبلغا كبيرا من المال الى خزينة هذه الامبراطورية ، وقد دفعت بالفعل هذا المبلغ لمدة سنوات . وبعد بضعة سنين من وفاة نادر شاه ، قامت كعب منتهزة ما تبع ذلك من اضطرابات ، بوضع يدها على اراض تابعة للسيطرة الفارسية . وهكذا اصبحت من رعايا كلا الدولتين العثمانية والفارسية ، فمنطقة قوبان واحياؤها هي من اراض العثمانيين ، ودورق في الجانب الفارسي . ولما كانت كعب قد استولت على اراض كثيرة ، فانها لم تعد تدفع الاتاوة المعتادة لاي من القوتين . وطبقا للسياسة العامة التي كان العثمانيون ينتهجونها في هــذه الاجزاء ، وبسبب المتاعب التي اخذت الامبراطورية الفارسية تتعرض بسببها للاضطرابات من الداخل ، فان كعبا راحت تزداد قوة وتنمو مستقلة عن كلتا القوتين ، وسرعان ما اصبحت غنية الموارد بما امتلكته من الايرادات التي كانت تدرها الاراضي تلك »(١١٠) .

ويستند العثمانيون في ادعائهم بتبعية كعب الى ان الفرمانات القديمــة والمستندات تثبت ان قوبان ونهر مهاويــة والحفار(١١١) وجزيرة خضر(١١٢)

---

(١١٠) Agent and Council, Basrah to the Hon'Ble Court of Directors, 9th April, 1767 (Selections from State Pepers, PP. 215-218).

(١١١) جاء في تقرير درويش باشا رئيس لجنة تحديد الحدود الفارسيــة العثمانية ان الفرمان الصادر بتاريخ ١١٦٠هـ (١٧٤٧) باسم السلطان محمود الاول المتضمن توجيه سائر اقسام مقاطعة الحفار الى بعض الاشخاص المنتسبين الى الطريقة النقشبندية ، انما يثبت تبعية هذه الجهات للبصرة . انظر : تقرير درويش باشا ، البند الثاني .

(١١٢) تقع جزيرة الخضر (عبادان) على الضفة المقابلة للمحمرة ، ويحدها من الشمال نهر الكارون ، ومن الشرق نهر بهمشير (احد فروع نهر الكارون) ومن الغرب شط العرب ، ومن الجنوب الخليج العربي . وقد دارت حول الجزيرة مناقشات كثيرة خلال مفاوضات تحديد الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية في الاربعينات من القرن التاسع عشر . انظر : تقرير درويش باشا ، بند رقم ٦ .

والمحمرة[١١٣] وتوابعها انما تعود جميعها للبصرة ، وانه لا يوجد حق فارسي بتبعية هذه الاماكن لهم[١١٤] . وفضلاعن ذلك ، فان ولاة بغـداد والبصرة بادروا عند قدوم بني كعب من نجد باسكانهم في المحل المسمى (السابلة) الذي يبعد مسافة ثلاث ساعات الى الجهة الشرقية من المحمرة، وأن رؤساءهم كانوا يدفعون الضرائب الى خزينة البصرة ، كما ان قيود طابو البصرة تثبت تبعية هذه الاراضي الى الدولة العثمانية[١١٥] .

وكانت امارة كعب قد قامت على انقاض امارة الحويزة[١١٦] ، التـــي كانت قد ضعفت اواخر القرن السابع عشر ، بعد ان ازداد ضغط القبائـــل

---

(١١٣) تقع المحمرة على يمين نهر كارون عند مصبه ، في الجانب الشرقي من شط العرب ، وهي تبعد عن البصرة نحو (٣٨)كم ، وقد شيدتها عشيرة المحيسن — احدى العشائر الكعبية — في عهد شيخها يوسف بن مرداو ، وذلك حوالي سنة ١٨١٢م .

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1648-9.

(١١٤) نصت معاهدة زهاب المعقودة في سنة ١٦٣٩ م على ان تكون البصرة وتوابعها تحت سيطرة الدولة العثمانية ، ولايجوز ان يقوم الشاه بأي تعرض لها . انظر : تاريخ نعيما ، جـ٣ ، ص ٤٣٠ ، معاهدات عمومية مجموعة سي ،جـ٢ ، ص ٣١٠ — ٣١٢.

(١١٥) تقرير درويش باشا ، وثيقة — ١ — ، بند رقم : ٣و٤
وجاء في تقرير قدمه القاضي احمد نور الانصاري سنة ١٨٦٠م (١٢٧٧هـ) الى منيف باشا والي البصرة ، انه «من البوارين الى المحمرة والى القبان وعبادان وماوراء ذلك الى المنيوحي ، هو املاك اهل البصرة سابقا ، تسلطت عليه كعب» .
انظر التقرير «النصرة في اخبار البصرة» ، تحقيق الدكتور يوسف عزالدين الدين ، ص ٢٥ .

(١١٦) وهي امارة المشعشعين التي اتخذت من الحويزة مقرا لها منذ سنة ١٤٤٠م (٨٤٤هـ) ومؤسس هذه الامارة محمد بن فلاح الذي ينتهي نسبه الى محمد العابد بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام .
عن تاريخ المشعشعين وامارتهم ، راجع : جاسم حسن شبر : تاريخ المشعشعين ، النجف ١٩٦٥ ، احمد كسروى : تاريخ بانصد سالة خوزستان ، طهران ١٩٣٤ .

العربية عليها ، وغزاها بنولام وبنو كعب [١١٧]. وقد نصت معاهدة ١٧٢٧ م (١١٤٠ هـ) ، التي عقدت بين العثمانيين والزعيم الافغاني مير اشرف خان ، على دخول الحويزة في اطار الدولة العثمانية[١١٨] .

أما من وجهة النظر الفارسية ، فان كعبا بتوسعها في جهة الشمال والشرق باتجاه نهر جراحي ، وطردها الافشار من دورق ، وهي نواحي فارسية ، اكتسبت الرعوية الفارسية . غير ان العثمانيين كانوا يعتبرون ذلك مجرد نمو للعشيرة لم يغير من حقيقة تبعيتها للسلطان ، حيث انها ظلت تستغل الاراضي الواقعة على طول شط العرب والحفار وهي اراضي تابعة للبصرة[١١٩] ، وكانت تدفع الضرائب السنوية لخزانة البصرة[١٢٠] .

وقد ازداد تعقد مشكلة عشائر كعب بعد تشييد مدينة المحمرة[١٢١] على يمين مصب نهر كارون في شط العرب سنة ١٨١٢ م من قبل عشيرة.

---

(١١٧) عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ١ ، ص ١٠٦،٢١٢

(١١٨) معاهدات عمومية مجموعة سي ، جـ٢ ، ص ٣١٢ ـ٣١٥ .
يذكر الكركوكلي ان والي بغداد احمد باشا قاد في سنة ١٧٢٨م (١١٤١هـ) حملة الى الحويزة لاخضاع العشائر هناك ، وعين محمد خان اميرا عليها .(الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ٢٤) .

(١١٩) كان نطاق كعب قد اتسع على طول الضفة الغربية لشط العرب ، وقد اقامت قواعد لها في هذه الضفة ووضعت فيها قوات ثابتة . انظر :
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1645-6.

(١٢٠) انظر : تقرير درويش باشا ، بند ٤ ، نوار : تاريخ العراق ، ص٧١ .

(١٢١) كان انشاء المحمرة بناء على أوامر شيخ كعب غيث بن سلطان لتكون مركزا حربيا ضد العثمانين أو القبائل العربية الخاضعة لنفوذهم ، ثم اخذت تنمو من مجرد موقع استراتيجي الى ان اصبحت ميناء هاما في المنطقة،
←

المحيسن – احدى عشائر كعب – وتدخل الدول الاوربية فيما بين الدولتين العثمانية والفارسيــــة(١٢٢) .

تدهور العلاقات العثمانية الفارسية :

ومنذ اواخر سنة ١٧٧٣ م (١١٨٧ هـ) حـــدث اكثر من مـــرة ان أوشكت الحرب على الاندلاع بين الدولتين الفارسية والعثمانية . ولقد لعبت عوامل عديدة دورها في تدهور العلاقات بينهما ، ووصل هذا التدهور ذروته عندما شن كريم خان الزند هجومه الكبير على العــــراق في سنة ١٧٧٥ م (١١٨٩ هـ) ، وذلك عقب الهزيمة التي منيت بها قواته في شمال العراق .

وغدت في سنة ١٨٣٠م مركزا تجاريا ذا أهمية كبيرة هدد تجارة البصرة بالانهيار بعد ان اخذت السفن التجارية تتحول عنها الى ميناء المحمرة الذي لم يكن يستوفي اية رســوم جمركية ، فقد أعلن شيخ المحمرة جابر بن مرداو أن ميناءه حر . فأصبح مستودعا هاما للبضائع ليس فقطلتموين عربستان ولكن كان يتم ايضا تهريب البضائع منه الى داخل الدولتين العثمانية والفارسية مما يضر بمصالحها الاقتصادية .

انظـــر :

Curzon, G.: Op. Cit., II, P. 323; Layard, A.: Early adventures in Persia, Susians and Babylonia, Vol. II, PP. 63-4; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1648-9.

(١٢٢) عن الصراع الذي دار بين الفرس والعثمانيين حول تبعية كعب والمحمرة معا ، وتدخل روسيا وبريطانيا فيه انظر :

Chesney, F.: Narrative of the Euphrates Expedition, PP. 300-324; Ainsworth, W.: Op. Cit., II, PP. 221-232; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1649-1666.

واعد هنري راولنسون الذي كان يشغل منصب قتصل بريطانيا في بغداد خلال الفترة ١٨٤٣–١٨٥٥ ، مذكرة عن النزاع العثماني الفارسي حول المحمرة وكعب ، بناء على تعليمات الحكومة البريطانية –

لقد كانت المنطقة الكردية مسرحا للاضطرابات والفتن وكثيرا ما كان حكامها يثور بعضهم على بعض ، والذي يهزم منهم يفر الى بلاد فارس لاجئا ومستعينا . وكانت صلة هذه المطاحنات بالعلاقـة العامة بين بـــلاد فارس والعراق تزداد ونموحا في كل سنة ، خاصة وان كريم خان الزند كان كرديا ، فأعطى الصراع العنيف بين الامراء الاكراد ـ والذي لايهدأ ـ فرصة له لتدخل في امور العراق . وهذا ما حدث سنة ١٧٧٤ م عندما هرب الزعيم الكردي محمد باشا بابان حاكم (قرەجولان)[١٢٣] الى بلاد فارس بعـــد ما حصل تنافس بينه وبين اخويه محمود باشا واحمد باشا على حكم منطقتي كويسنجق

Memorandum on the Dispute Between Turkey and Persia regarding Mohamerah and the Political Position of the Chaab Tribe, 1844.

وممن كتب عن هذا الصراع :

نوار : العلاقات العراقية الايرانية (مؤتمر ارضروم ١٨٤٣-١٨٤٤) ،
النجار : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العـرب .

ومما يجدر ذكره هنا ان معاهدة ارضروم الثانية التي عقدت بـين الدولتين العثمانية والفارسية سنة ١٨٤٧ ، حددت مستقبل المحمرة وبني كعب ، اذ نصت المادة الثانية منها على ان تعترف الدولة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الدولة الفارسية التامة على مدينة المحمرة وميناًئها وجزيرة خضر «عبادان» والمرسى والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب . للاطلاع على نصوص المعاهدة انظر :

Aitchizon : Acollection of Treaties, Vol. XII; Hurewitz : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I;

شاكر الضابط ، العلاقات الدولية ، ص ٦٣-٦٦ .

(١٢٣) عاصمة البابانيين قبل تشيد السليمانية ، وهي تكتب في الاصـــل «قلعة جولان» لكنها تخفف باللفظ بحيث تكون قريبة من لفظ «قرة جولان» .

وقرهداغ[124] ، حيث طلب كريم خان من والي بغداد عمر باشا التدخل لاعادة الزعيم الكردي الى منصبه • غير ان والي بغداد رفض هذا الطلب ، واصدر أمرا بتعيين محمود باشا ــ أخ الزعيم الكردي محمد باشا ــ الذي طلب العون من بغداد ، حاكما على قرهجولان[125] •

وعندئذ وجد كريم خان في عدم استجابة بغداد لمطلبه ، فرصة سانحة لتنفيذ مايريد ، فأرسل الى شمال العراق جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي يقوده علي مراد خان ، لاعادة الزعيم الكردي محمد البابانى ــ الذي كان مع القوات الزاحفة ــ الىحكمه بقوةالسلاح • غير ان القوات العثمانية والكردية استطاعت دحر الجيش الفارسي بعد معركة ضارية دارت بالقرب من قرهجولان ، واخذ القائد الفارسي اسيرا الى بغداد[126] • وهكذا بدأت الحرب مع الفرس من دون ان تعلن رسميا •

---

(١٢٤) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٤٦ــ١٤٨ .
وانظر كذلك لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٢٦ .

(١٢٥) تاريخ جودت ، جا ، ص ٢٧٣ــ٢٧٤ ، ج٢ ، ص ٤١ ، احمد رشيد : خريطة لي ورسملي مكمل تاريخ عثماني ، ج٢ ، ص ٣١٨ ؛ محمد امين زكي : تاريخ السليمانية ، ص ٨٣ .

(١٢٦) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٤٩ .
ويذكر ياسين العمري ان عدد القتلى الفرس بلغ الالف .
(العمري : غاية المرام ، ص ١٨٦) .

الفصل الخامس

الغزو الفارسي للبصرة

الغزو الفارسي للبصرة

هجوم كريم خان الزند على العـراق :

كان لهزيمة الجيش الفارسي في شمالي العراق والخسائر الكبيرة التي مني بها ، اسوأ الأثر في نفس كريم خان ، الذي بادر على الفور باستعداداتـــه الحربية على نطاق واسع[1] . وكان من المتوقع ان ينتقم بعمل ضد بغداد او البصرة ، وكانت الثانية هي ارجح الاحتمالين ، حيث ان كريم خان كان مغتاظا من النجاح التجاري الذي احرزته البصرة ، اذ اتسعت عوائدها وتزايدت اهميتها بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية اليها[2] ففي سنة ١٧٦٩ م اوقفت الشركة نشاط وكالتها التجاريـــة في بوشـــهر[3] ، الميناء الفارسي على الخليج العربي ، بسبب متاعبها مع كريم خان[4] ، وتركزت في البصرة جميع تجارتها مع الخليج ، فتضاءلت الاهمية التجارية لبوشــهر ،

---

(١) تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٣ .

(٢) Miles, S.: Countries and Tribes of the Persian Gulf, P. 271;
Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 281.

(٣) اقامت شركة الهند الشرقية الانجليزية وكالتها التجارية في بوشهر سنة ١٧٦٣ م بعد غلق مكتبها التجاري في ميناء بندر عباس (كانت تسمى غومبرون ثم صارت تدعى بندر عباس منذ سنة ١٦٢٢م) ، حيث تعرض لهجوم الفرنسيين سنة ١٧٥٩م .
انظر جان جاك بيريبي : الخليج العربي ، ص ٢١٥ ، ولسون : الخليج العربي ، ص ٢٠٥ ،

(٤) Low, C.: History of the Indian Navy, Vol. I, PP. 152-3.
ولسون : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

وبالتالي كان انهيار تجارتها محتوما . ومنذ سنة ١٧٧٣ م تردد ان كريم خان ينوى الهجوم على البصرة[٥] ، فقد كان يرى في احتلالها خير وسيلة لضرب تجارتها والقضاء على منافستها للموانىء الفارسية ، وعندئذ لا يجد الانجليز مفرا من الوصول الى تفاهم معه .

ويقول لوريمر ان هناك ما يشير الى اعتقاد كريم خان بأن امتلاكه للبصرة يساعده على اخضاع عمان التي كانت اغلب تجارتها مع هذا الميناء ، ويساعده كذلك على احباط السياسة التي اتبعها الوكيل الانجليزي في البصرة والتي تهدف الى مقاطعة الموانىء الفارسية وجعل البصرة مركزا رئيسيا للتجارة جميعا[٦] .

كما كانت هناك اسباب أخرى تدفع كريم خان الى التفكير في شن هجوم على العراق ، يمكن اجمالها فيما يلي :

١ – امتناع العثمانيين والانجليز عن تقديم المساعدة لكريم خان ضد امام عمان[٧] . فقد كتب الخان في شباط ١٧٧٤ م الى كل من الوكيل

---

(٥) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part IB, P. 1244.

وانظر احمد ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جـ١ ، ق١ ، ص ١٦٥ .

(٦) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 145.

(٧) قامت المشاكل بين كريم خان وامام عمان احمد بن سعيد منذ اواخر سنة ١٧٦٩م ، حينما طالب الخان امام عمان بدفع الاتاوة التي كانت تدفعها عمان للدولة الفارسية ايام نادر شاه ، ولكن الامام – وهو نفسه محرر عمان من حكم الفرس – رفض طلبه بازدراء ، وجاء في رد حكومة مسقط «ان نادر شاه كان طاغية مخشى الجانب لايمكن منازعته ولذلك دفعت له الاتاوة سياسة لاحقا ، وان نادر شاه وكريم خان شخصان جد متباينين ، الاول كانوا يخشونه ، اما الثاني فهم يحتقرونه ، الاول هو قاهر بلاد فارس ، اما الثاني فما هو الا وكيل على « ولايتين او ثلاث » فاذا اصر كريم خان على مطالبه ، فانهم سيجيبونه على ذلك بالمدافع والقنابل ...» انظر :

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 144; Miles, S.: Op. Cit., P. 271;

ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جـ١ ،ق٢ ، ص ١٣٠–١٣١ .

الانجليزي في البصرة والى المتسلم يخبرهما بعزمه على شن حـرب ضد امام عمان ويطلب منهما مساعدته في ذلك ، وهددهما بغزو البصرة اذا لم يجب الى مطلبه (٨). والحقيقة ان مصلحة العثمانيين كانت تتطلب بقاء عمان قويـة ومستقله وبعيدة عن نفوذ الفرس ، وذلك للمصالح التجارية المهمة التي تربط عمان بالبصرة ، كما ان استمرار عمان كقوة بحرية مهمة في الخليـج العربي يحد من تعاظم النفوذ الفارسي في المنطقة ، والذي يمثل تهديداً للبصرة نفسها وللمصالح العثمانية في الخليج العربي(٩) .

٢ ـ اشغال القوات المسلحة الفارسية بعيدا عن الوطن . بعد ان شعر الخان بوجود تذمر بين صفوفهم(١٠) .

٣ ـ انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الخارجية ، اذ كانت في حرب مع روسيا(١١) ، كما ان اوضاع العراق نفسها كانت مضطربة بسبب الثورات العشائرية ، وما تركه وباء الطاعون الذي حل في بغداد سنة ١٧٧٣ م مـن دمار حيث فتك بمعظم سكانها(١٢) .

---

(٨) Selections from State Papers, P. 282; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1245.

(٩) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٦٣ .

(١٠) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. II, Part. II, P. 1778; sykes, P. Op. Cit., II, P. 281; Miles, S.: Op. Cit., P. 271;

لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٢١٥ .

(١١) انتهت الحرب بعقد معاهدة كوجك قينارجي سنة ١٧٧٤م ، التي حصلت بموجبها روسيا على امتيازات مهمة من الدولة العثمانية انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولية العلية العثمانية ، ص ١٦٠ .

(١٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٣٩ـ١٤٤ ، تاريخ جودت ، جـ١ ، ص ٢٧١ ، احمد راسم ، عثمانلي تاريخي ، جـ٣ ، ص ١٦٤٥ ، منصوري زادة : نتائج الوقوعات ، جـ٤ ، ص ١٤ .

وازاء كل هذه الاسباب، كان كريم خان يبحث عن ذريعة تكون بمثابة عود ثقاب يشعل بها نار الحرب ، فطالب برأس والي بغداد عمر باشا مدعيا انه يسيء معاملة التجار الفرس ويسلب أموالهم ، ويفرض ضرائب على الفرس الذين يذهبون لزيارة العتبات المقدسة في العراق[١٣] ، كما اتهم والي بغداد بتقديم المساعدة الى امام عمان[١٤] . وتقدم الخان بشكاوى عديدة الى البلاط العثماني يبين فيها امتعاضه من هذا الموقف ويطلب التدخل لحماية الرعايا الفرس . غير انه لم يتلق جوابا عن تلك الشكاوى[١٥] ، لاسيما وان مطالبته برأس والي بغداد كان من الطبيعي ان تقابل بالرفض من قبل السلطان[١٦] .

وعندئذ ارسل كريم خان في اوائل سنة ١٧٧٥ م (١١٨٩ هـ) قوات كبيرة لمهاجمة العراق من عدة جبهات ، فقد تحركت من شيراز لمهاجمة البصرة قوات يقودها صادق خان – شقيق كريم خان – تعدادها خمسون ألفا[١٧] ، اضافة الى اسطول يتكون من حوالي ثلاثين سفينة صغيرة كانت قد اعدت وجهزت في بوشهر وبندرريق[١٨] . وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات اخرى يقدر عددها بعشرين ألفا قد عبرت حدود العراق الشمالية واحتلت عدة مواقع مهمة ، واخذت تتقدم باتجاه كركوك ، فاجتاحت بعض قراها[١٩] .

---

(١٣) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79; Sykes, P.: Op. Cit., Vol. II, P. 281; Miles, S.: Op. Cit., P. 271.

(١٤) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79; Miles, S.: Op. Cit., P. 271.

(١٥) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣٠٧ .

(١٦) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79.

(١٧) Parsons, A.: Travels in Asia and Africa, P. 162; Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79.

اما جودت فيقول ان تعداد القوات كان عشرين الفا .
(تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٢) .

(١٨) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79.

(١٩) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٠–١٥١ ، تاريخ جودت ، جـ٢ ،

ولكن ما ان بدأت القوات الفارسية بمحاصرة البصرة ، حتى اصدرت القيادة الفارسية اوامرها الى قواتها في جبهة العراق الشمالية بايقاف زحفها والانسحاب الى داخل الحدود الفارسية[20] ، مما يكشف لنا ان الغاية من مهاجمة حدود العراق الشمالية لم تكن لاحتلال كردستان ، وهي المنطقة التي بوسع الدولة الفارسية ان تفرض نفوذها عليها دوما دونما حاجة الى القيام بعملية احتلال لها ، وما يترتب على ذلك من نفقات لتموين قوات الاحتلال ، وانما كان الغرض من هذه الخطة العسكرية هو جعل العراق يحارب على عدة جبهات مما يضعف قابلياته على التحرك والدفاع ، والتأثير على جبهته الداخلية . بخلق حالة من الرعب والفوضى ، وعندئذ تسهل مهمة القوات التي يقودها صادق خان لاحتلال البصرة ، وهذا هو هدف كريم خان من شن هجومه على العراق .

موقف الدولة العثمانية من الهجوم الفارسي :

لقد اثارت القوات الفارسية الزاحفة ، الذعر في العراق ، واصبح الموقف العسكري فيه بالغ الخطورة ، اذ لم يكن لدى باشا بغداد من القوات ما يستطيع بها صد الهجوم الفارسي ، لذا عرض الامر على الباب العالي وطلب المساعدة العاجلة[21] .

وقد استعرض المسؤولون في القسطنطينية الظروف التي حملت الدولة الفارسية على شن هذا الهجوم ، فكان اعتقادهم في بادىء الامر ان حكومة بغداد قد فشلت في توطيد دعائم السلام مع الدولة الفارسية ، وان والي

ص ٤٢ ، محمد امين زكي : تاريخ السليمانية ، ص ٨٣ .

(٢٠) ذكر كريم خان في بلاغ اصدره حول ارسال هذه القوات انه يريد بها ايقاظ الاتراك من نومهم لكي يلبوا مطالب الدولة الفارسية ويحسبوا لها حسابا .
Wilson, A.: Op. Cit., P. 183.

(٢١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥١ .
تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٤٢ ، منصوري زادة : نتائج الوقوعات ، ج٤ ، ص ١٥ .

بغداد عمر باشا هو السبب في تدهور العلاقات معها ، وأن عزله قد يهدىء الحالة ويؤدي الى عودة السلام . وكان قد ورد عنه من البلاط الفارسـي اتهامه بالتعرض للفرس الذين يفدون الى العـراق لزيارة العتبات المقدسة والاساءة اليهـم[٢٢] .

ولاجل استجلاء حقيقة الموقف ، اوفدت الدولة العثمانية مبعوثا الى شيراز ليقابل كريم خان الزند ويتباحث معه لانهاء الحرب غير ان مباحثات المبعوث العثماني لم تسفر عن اية نتيجة ، اذ رفض الخان سحب قواته مـن الاراضي العراقيـة[٢٣] .

وعند عودة المبعوث الى بغداد ، كتب بعد التشاور مع واليها عمر باشا تقريرا الى الباب العالي حول خطورة الموقف وضرورة ارسال قوات عسكرية لانقاذ البصرة من الحصار الفارسي بغداد من ضغطهم عليها[٢٤] .

وعندما تسلم الباب العالي تقرير مبعوثه ، لم يكتف بما جاء فيه ، بل استطلع آراء محافظ مدينة قارص الوزير احمد عزت باشا ، ووالي شهرزور سليمان باشا الجليلي حول موقف الدولة الفارسية وتجاوزها ، وطلب عرض ما لديهما من معلومات بهذا الصدد في اسرع وقت ممكن[٢٥] .

وقد جاء التقرير الذي رفعه محافظ قارص موافقاً لمقترحات بغداد في ضرورة التصدي العسكري للفرس وردهم على اعقابهم .

أما تقرير والي شهرزور ، والذي كتبه بالتشاور مع ابيه والي الموصل أمين باشا الجليلي ، فانه ألقى مسؤولية تأزم العلاقات مع الدولة الفارسية على عاتق باشا بغداد ، واكد كل ما ادعاه كريم خان الزند ضده . والحقيقة انها

---

(٢٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥١ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص٤٢ .
(٢٣) نفس المصدر ، ص ١٥٢ ، احمد علي الصوفي : المماليك في العراق ، ص ٢٧ .
(٢٤) تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٢ـ٤٣ .
(٢٥) نفس المصدر ، ص ٤٣ .

كانت فرصة مناسبة للجليليين لتأليب الباب العالي على باشا بغداد والتخلص منه لما بينهم وبينه من عداء ، فقد ورد في هذا التقرير ان مسؤولية النزاع مع الفرس تقع على عاتق باشا بغداد الذي كان يضطهد زوار العتبات المقدسة من الفرس عند قدومهم للعراق ويسيء معاملتهم ويصادر مقتنياتهم رغم الاحتجاجات الفارسية المتكررة .

وجاء في التقرير ان باشا بغداد صادر أموال سبعمائة اسرة فارسية كانت تقطن في بغداد والبصرة وماتت بوباء الطاعون الذي تعرض له العراق سنة ١٧٧٣ م (١١٨٧ هـ) ، ورفض تسليم هذه الاموال الى الدولة الفارسية التي طالبت بها لتسليمها الى وارثيها الشرعيين .

كما ورد ايضا ، ان باشا بغداد كان وراء الاضطرابات التي حدثت في شمال العراق ، والتي اعطت الدولة الفارسية الفرصة للتدخل في شؤون العـراق[٢٦] .

ويظهر ان الحكومة العثمانية قد اقتنعت بما جاء في هذا التقرير حيث قررت عزل باشا بغداد ارضاء لكريم خان[٢٧] . والحقيقة ان الدولة العثمانية لم تكن ترغب في اعلان الحرب على الدولة الفارسية بسبب ما تواجهه مـن مشاكل في اوربا ، اذ كانت قد خرجت منذ وقت قليل من حربها الخاسرة مع روسيا ، والتي انتهت بمعاهدة كوجك قينارجي(٢١ تموز ١٧٧٤ م)[٢٨] ، كما انها وجدت في هذا التقرير الحجة الرسمية لاقصاء المماليك عن حكـم العراق[٢٩] ، فقد أدرك أولو الامر فيها ضرورة اعادة الحكم العثماني المباشر الى العراق ، بعد ان اخذ المماليك يحاولون ابعاده عن سيطرة الدولة في كثير من شؤونه واحواله[٣٠] .

---

(٢٦) نفس المصدر ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٣ .

(٢٨) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦٠ .

(٢٩) عماد عبدالسلام : الموصل في العهد العثماني ، ص ١٣٢ .

(٣٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢١٨ .

وكان السلطان عبدالحميد الاول[31] ، قد وجه اهتمامه نحو العراق بعد معاهدة كوجك قينارجي مباشرة ، حيث امر أمين باشا الجليلي والي ديار بكر والذي قدم الى القسطنطينية سنة ١٧٧٤ م بعد ان اطلق الروس سراحه من الاسر ، بتعديل نظام بلاد الشرق والعراق[32] ، وهي على ما يبدو خطة اريد بها القضاء على حكم المماليك في العراق .

لما كان عزل باشا بغداد ليس بالامر الهين ، اذ قد يعلن المماليك الذين لهم الغلبة والقوة في العراق العصيان على الدولة ، وذلك لعلو منزلته بينهم ، فقد قرر الباب العالي ارسال قوات عسكرية لتنفيذ المهمة ، وعين مصطفى باشا الاسبيناقجي ، والي الرقة ، لقيادتها . وصدرت الاوامر الى ولاة ديار بكر والموصل وشهرزور بالمشاركة في الحملة[33] . ومع ان الهدف المعلن كان انجاد باشا بغداد في حربه مع الفرس ، فان التعليمات السرية الصادرة لقائد الحملة كانت تقضي بعزله وانهاء حكم المماليك[34] .

وفي أوائل سنة ١٧٧٦ م (١١٩٠ هـ) وصل بغداد والي ديار بكر أوزون عبدالله باشا مع قوة تقدر بثلاثة آلاف جندي ، ثم اعقبه قائد الحملة مصطفى الاسبيناقجي ، وتحت قيادته الفان وخمسمائة جندي ، كما وصل والي شهرزور سليمان باشا الجليلي ومعه ما يقرب من ألف جندي[35] . أما والي الموصل ، فقد حال مرضه دون مشاركته في الحملة[36] .

---

(٣١) خلف السلطان مصطفى الثالث اواخر سنة ١٧٧٣م وحكم حتى ربيع سنة ١٧٨٩م

(٣٢) ياسين العمري : زبدة الاثار الجلية ، ص ١٤٠ .

(٣٣) تاريخ جودت ، ج٢ ص ٤٤ .

يذكر مالكولم ان الاوامر صدرت ايضا الى ولاة وان وحلب ودمشق كي يسيروا مع قواتهم الى بغداد .

Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 80.

(٣٤) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢١٨ ،

(٣٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٣ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٤٤–٤٥ ، ياسين العمري : غاية المرام ، ص ١٨٦ .

(٣٦) عماد عبدالسلام : الموصل في العهد العثماني ، ص ١٣٣ .

وقد اعتقد والي بغداد عمر باشا ان هذه القوات انما جاءته عونا لدحر الفرس وفك حصارهم عن البصرة ، لذا طلب من القادة التحـــرك لانقـــاذ البصرة ، ولكن لم يصغ أحد منهم الى أوامره ، ثم قاموا بعزله وقتله[٣٧] .

وعلى اثر ذلك، ارسل الباب العالي مبعوثا الى شيراز ليخبر كريمخان بتلبية مطلبه ، ولكن الخان كان عازما ـ وهو يهون على المبعوث بالوعود ـ على تنفيذ خطته ، متشجعا بهذا الدليل على ضعف اعدائه[٣٨] .وهذا مما يدل على ان هجومه على العراق لم يكن بسبب موقف عمر باشا من الرعايا الفرس ، وانما للدوافع التي سبق ان ذكرناها ، ولو كان موقف الباشا هو السبب في الهجوم حتما لا نسحبت جيوشه بعد مقتله .

أما مصطفى الاسبيناقجي الذي اسندت اليه ولاية بغداد ، فقد اخبر الباب العالي كذبا بأن الصلح قد تم مع الفرس ، وانهم سوف ينسحبون من البصرة ، ثم اصدر أوامره الى القوات الموجودة في بغداد بالعودة الى الامكنة التي جاءت منها مدعيا عدم بقاء ضرورة لوجودها[٣٩] ، في الوقت الذي كان فيه الفرس يشددون من حصارهم على البصرة الامر الذي يؤكد خيانة مصطفى باشا وتواطؤه مع الفرس في تسهيل انجاز خطتهم لاحتلالها .

الحصار الفارسي للبصرة (٧ نيسان ١٧٧٥ ـ ١٥ نيسان ١٧٧٦م) :

لم يكن حصار الفرس للبصرة واســـتيلاؤهم عليها ـ الذي يعتبر أهم حادث في العراق خلال حكم السلطان العثماني عبدالحميد الاول ـ شـــيئا

---

(٣٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٣ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٤٤ـ٤٥ على اثر مصرع والي بغداد ، اخذ المماليك يتسللون من بغداد تدريجيا وبداوا يشنون الغارات عليها ، واصبح خطرهم يهدد بغداد بالسقوط .
عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٣٢ ، ســليمان فائق : تاريخ بغداد ، ص ١٥ .

(٣٨) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 80.

(٣٩) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٤ .

مفاجئا او غير متوقع ، فقد سبق ان ذكرت ان انتقال مركز التجارة الانجليزية من بوشهر الى البصرة ، وتركيز جميع تجارة الشركة مع الخليج فيها ، كان لابد وان يقابل بمقاومة فارسية شديدة ، حيث ادى الى تحويل التجارة الخارجية من بلاد فارس الى العراق ، الامر الذي كان له أسوا الاثر في نفس كريم خان الزند ، الذي نقم على البصرة ذلك التقدم التجاري ، فأخذ يعد العدة للاستلاء عليها .

ويعتقد لوريمر ان الهجوم الفارسي على البصرة كان متوقعا من جانب السلطات العثمانية ردا على الانتصارات التي احرزتها في كردستان ، ومع ذلك لم يصل الى البصرة أي عون من بغداد او القسطنطينية(٤٠) .

ومنذ خريف سنة ١٧٧٣ م (١١٨٧ هـ) تردد ان كريم خان الزند ينوى الهجوم على البصرة ، وان الاسطول الذي يعد بأمره على الشاطيء الفارسي ، والجيش الذي يجمع هناك ــ في ظاهر الامر لغزو مسقط ــ انما هما مهيآن اساسا لغزو البصرة(٤١) . وقد اسرع متسلم البصرة سليمان أغا(٤٢) في ابلاغ باشا بغداد بالاخطار التي تهدد المدينة من جراء تهديد الفرس لها ، وطلب اليه مد البصرة بكل المساعدات التي تمكنها من مواجهة الغزو الفارسي المرتقب(٤٣).

---

(٤٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, PP. 1244-5.

كانت المشاكل التي يواجهها الباب العالي في اوربا تجتذب اهتمامه كله وتحوله عن أي اتجاه اخر ، كذلك كانت هذه المشاكل تمنعه ايضا من تقييد باشا بغداد او من تقديم العون له ، او ارغامه على احترام سيادتهم ، او تمكينه من صد الغزاة الفرس الذين اجتاحوا الاراضي العراقيــة . Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1240.

(٤١) Ibid, P. 1245.

(٤٢) شغل سليمان اغا متسلمية البصرة لاول مرة سنة ١٧٦٥م ، ثم عزل بعد ثلاث سنوات من حكمه لها ، ثم اعيد في نهاية سنة ١٧٦٨م ، وبقي يشغل هذا المنصب لمدة عام تقريبا ، حيث عزل مرة اخرى ، واعيد سنة ١٧٧١م . Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1212.

(٤٣) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٦٣ .

وفي شباط سنة ١٧٧٤ م (١١٨٨ هـ) طلب كريم خان الزند من متسلم البصرة تعاون السلطات العثمانية والانجليزية معه وتقديم اساطيلهما للهجوم على امام عمان احمد بن سعيد ، وهدد بغزو البصرة اذا لم يجب الى مطلبه[٤٤].

وقد بعث هنرى مور الوكيل الانجليزي في البصرة بخطاب الى باشا بغداد ، ابلغه فيه بأن طلب كريم خان مرفوض فيما يتعلق بالسفن الانجليزية ، حيث قال :

« اعتقد ان متسلمك يكتب اليك الآن بخصوص الطلب المقدم من كريم خان ، من اجل ان تساعده السفن الانجليزية والتركية في حربه ضد عرب مسقط ، وهو طلب اتمنى ان يسرى في اعتقاد فخامتكم انني لا استطيع النهوض به ، اذ ليس في وسعي – مع تقديري لقوة السفن الانجليزية – ان تستجيب لـه »

واضاف قائلا :

« وفي رأيي المتواضع انه ينبغي على فخامتكم ان تأمر قواتك على الفور بالتحرك للدفاع عن البصرة ، وان تعطي أوامر الى القبائل العربية المختلفة بالسير اسفل ضفاف هذا النهر للحيلولة دون نزول الفرس على هذه الضفة منه . وكلما اسرعتم بذلك كلما كان افضل ، لان البصرة طبقا لمعلوماتي ليست حصينة بما يكفى »[٤٥].

ويذكر هنرى مور في خطاب له الى حكومة بومباي ان باشا بغداد يرى انه من المناسب ان نعد كريم خان بالمساعدة ضد امام مسقط ، لان ذلك سيكون شيئا مرضيا للخان ومانعا له من القيام بأي عمل ضد البصرة[٤٦].

(٤٤) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1245.

(٤٥) Letter from the Agent at Basrah to the Pasha of Bagdad, dated the 20th February 1774 (Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Vol. 17).

(٤٦) وانظر الخطاب في ملاحق الكتاب .

Moore to the Honourable William Hornby, Esq., President and Governor, etc., Council of Bombay, Bussora; The 23rd April 1774 (F.R.P.P.G., Vol. 17).

وبالنظر لتطورات الموقف ، فقد استعد هنري مور لنقل بضائع شركة الهند الشرقية في البصرة الى السفينتين « رفنج » "Revenge" و « دريك » "Drake" لكن المتسلم سليمان أغا حين سمع بنوايا الوكيل ، قام بزيارته في الوكالة وبين له النتيجة السيئة التي ستترتب على نقل بضائع الشركة ، وقال له ان هذا العمل سيثير الفزع بين اهل المدينة وسيدفع كثيرين منهم الى الفرار ، وسيؤدي الى توقف التجارة ، وهذا بعينه ما يريده كريم خان الذي يهدف الى القضاء على التجارة في البصرة ، حتى يعود الانجليز الى فتح وكالتهم في بوشهر . ثم قدم المتسلم ضمانا باسم الباشا والسلطان ، بتعويض الشركة عن أية اضرار تقع ببضائعها في حالة عدم نقلها الى الشاطيء(٤٧) .

وحاول المتسلم تسوية الخلافات مع عشيرة كعب ، حتى لا يستعين بها كريم خان في عملية الغزو المرتقب ، حيث كان اسطول كعب يعد من اقوى الاساطيل العربية في الخليج(٤٨) ، لذلك كان بمقدور كعب ان تلعب دورا هاما في المنطقة سواء انضمت الى الفرس او الى العثمانيين .

وقد اكد بركات(٤٩) شيخ بني كعب لمتسلم البصرة بانه سوف لا يساعد الفرس في حالة غزوهم للبصرة ، وسيرحل باسطوله فورا من منطقة الدورق(٥٠) بمجرد ان يشرع الفرس في زحفهم ، ويلجأ الى الجانب الغربي

(٤٧) Selections from State Papers, PP. 283-4; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1246.

ابلغ مور باشا بغداد بموافقته على عدم نقل بضائع الشركة ، وذلك في خطاب بعثه اليه في الرابع عشر من كانون الاول ١٧٧٤م .

Selections from State Papers, P. 283.

(٤٨) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٦٣ .

(٤٩) تولى بركات بن عثمان مشيخة كعب سنة ١٧٦٩م وقتل سنة ١٧٨٢م

(٥٠) الدورق (الفلاحية) : المنطقة التي تسكنها كعب ، وهي تقع في جنوبي عربستان . وقد ابدلت الدولة الفارسية اسمها الى شادكان .

من شط العرب ، للتخلص من ضغط كريم خان عليه ، بل وتعهد بمساعدة المتسلم في تلك الحالة(٥١) .

ورأى المتسلم ان من الافضل الحصول على تأكيد من الوكيل الانجليزي في البصرة بعدم تعرض السفن الانجليزية لاسطول كعب اذا جاء ليشارك في الدفاع عن البصرة(٥٢) . وكان الانجليز في عداء شديد مع كعب التي كانت قد استولت في سنة ١٧٦٥ م على ثلاث من سفنهم في شط العرب وقامت باحراقها .

ولكن كعبا بدلا من ان تفي بوعدها ، بدأت تقوم باعمال عدائية ضد السفن العثمانية . ففي نيسان سنة ١٧٧٤ م حاولت كعب اسر السفينة العثمانية « فائزاسلام » عند وصولها الى مصب شط العرب في طريق عودتها من الهند ، حيث ارسلت كعب اربعة عشر غلافة وثماني سفن مسلحة لمهاجمتها ، الا ان متسلم البصرة كانت لديه معلومات سابقة عن تحركات كعب ، فأخبر الوكيل الانجليزي بها ، وسرعان ما ارسلت السفينة الانجليزية « رفنج » Revenge لحماية السفينة العثمانية ، وقد حال وصولها دون الهجوم المبيت ، ولم تلبث ان فرت الغلافات والسفن الكعبية(٥٣) .

واذ ذاك اتخذ شيخ بني كعب اسلوبا تهديدياً بان استدعى رعاياه من البصرة ، ووضع اسطوله في حالة تأهب . وقد خشي في ذلك الوقت ان يكون بنو كعب - بتحريض من كريم خان - يدبرون هجوما على البصرة او على الكتيبة الانجليزية المعسكرة هناك(٥٤) .

---

(٥١) عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٦٤ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1642-3.

(٥٢) Ibid, P. 1643.
تعهد الوكيل بالا تقوم سفن الشركة بضرب سفن قبيلة كعب اذا جاءت للمساهمة في الدفاع عن البصرة .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1246.

(٥٣) Selections from State Paper, PP. 285-6.

(٥٤) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1643.

وفي الواقع كان على متسلم البصرة ان لا يعتبر وعود كعب وعودا جدية ، فمنذ سنة ١٧٧٠م وكعب في تحالف مع الشيخ ناصر[٥٥] حاكم بوشهر الذي يتمتع بحماية كريم خان وهم جميعا اداة في يده[٥٦] . ويبدو ان كعبا قدرت ما ستحصل عليه من غنائم من جراء مشاركتها في عملية غزو البصرة ، وان تعاونها مع كريم خان كفيل بوقوفه الى جانبها ضد اية محاولة يقوم بها العثمانيون لانتزاع اراضيها الممتدة على طول الحفار وشط العرب وهي اراضٍ تابعة للبصرة[٥٧] . زد على ذلك انها لم تنس تدخل الخان لحمايتها عندما شن الانجليز والعثمانيون هجوما عليها سنة ١٧٦٦ م .

وفي اوائل سنة ١٧٧٥ م (١١٨٩ هـ) اصبح الغزو الفارسي للبصرة ، والذي طالما هدد به كريم خان الزند ، قد نفذ عمليا . ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الفارسية تجتاح حدود العراق الشمالية ، كانت هناك قوات اخرى

---

(٥٥) ينتسب الشيخ ناصر الى قبيلة المطاريش العربية ، وهي قبيلة عمانية قدمت الى الساحل الشرقي من الخليج في اوائل القرن الثامن عشر واتخذت من بوشهر قاعدتها الرئيسية . ويعتبر الشيخ ناصر – الذي عينه كريم خان قائدا للاسطول الفارسي في الخليج العربي – اشهر زعماء هذه القبيلة ، وقد حكم بو شهر حوالي اربعين عاما حتى وفاته في سنة ١٧٨٩ . ولم تكن سيطرته مقصورة على بوشهر فحسب بل كانت له السيادة على جزر البحرين الى ان احتلها العتوب في سنة ١٧٨٢م .
Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, P. 273.
وفيه تفصيل عن عرب بوشهر .
ويقول لوريمر ان الشيخ ناصر استطاع بتأييد من كريم خان – الذي امتد نفوذه في الامور البحرية الى اعالي الخليج العربي – ان ينمي اسطوله باستمرار .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1822.

(٥٦) ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جـ١ ، ق١ ، ص ١٥٤ .

(٥٧) كانت كعب تدفع الضرائب السنوية الاميرية لخزانة البصرة . انظر تقرير درويش باشا ، البند الرابع .

كانون الثاني ١٧٧٥ م انباء من بوشهر تفيد بأن جيشا فارسيا كبيرا تحرك من شيراز يقوده صادق خان – شقيق كريم خان –، وانه يتقدم صوب البصرة[٥٨].

وقد اثار هذا النبأ فزع الاهلين في المدينة، وبدأ متسلمها سليمان أغا يعقد الاجتماعات مع القبودان باشا قائد الاسطول العثماني في البصرة، واعيان المدينة والوكيل الانجليزي هنري مور لكي يتدبر أمر الهجوم الفارسي المبيت[٥٩].

ولفت هنري مور نظر المتسلم الى ضعف تحصينات المدينة وضعف حاميتها ومدفعيتها[٦٠]، واكد على ضرورة ان ترسل بغداد تعزيزات سريعة تتراوح بين ثلاثةآلاف وأربعة آلاف رجل، وبأن تصدر الاوامر لقبيلة المنتفق[٦١] بأن تمنع الفرس من العبور الى الضفة اليمنى من شط العرب، ورد بحزم ووضوح على طلب اشتراك السفن الانجليزية نفسها في الدفاع قائلا انه يمثل جماعة من التجار في البصرة، وانه لذلك مضطر الى التزام الحياد التزاما تاما،وتعهد بألا يهجر البصرةطالما هي في ايدي العثمانيين،وذكر ان الطرادات الانجليزية قد ابقيت في ميناء البصرة فقط بهدف حمل بضائع الشركة اليها في حالة الضرورة[٦٢].

---

(٥٨) Parsons, A.: Op. Cit., P. 162.

(٥٩) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق، ص ٢٢٧، ابو حاكمة: تاريخ الكويت جـ١، ق١، ص ١٦٤.

(٦٠) يذكر لونكريك انه كان في الحامية وقتئذ خمسة عشر الف مقاتل، وان الجنود الاجراء وقوة القبائل لم تكن تبلغ عشر هذا المقدار، ومعظم المدافع غير قابلة للاستعمال، وان اقوال الانجليز بقيت غير مسموعة حتى انقلبت المخاوف الى اخطار محدقة (لونكريك: المصدر السابق، ص ٢٢٧).

(٦١) تنزل المنتفق في الجانب الغربي من مدينة البصرة. (سليمان فائق: تاريخ المنتفق، ص ٩).

(٦٢) Letter from the Agent at Basrah to the Court of Directors, dated 18th February 1775 (F.R.P.P.G., Vol 17).

وقد أبلغ متسلم البصرة باشا بغداد بالامر ، غير ان الباشا كان في موقف حرج لا يستطيع فيه ان يقدم اية مساعدة ، اذ كان يواجه ثورات عشائر الخزاعل والعبيد[٦٣] وعلى اي حال ، فقد بعث الباشا بطلب عاجل الى امام عمان احمد بن سعيد يطلب فيه اسطولا قويا لصد الفرس وحماية البصرة . وردا على هذا الطلب ، ارسل الامام خطابا اليه يعده فيه بارسال اسطول لمساعدة العثمانيين[٦٤] .

وقبل وصول الجيش الفارسي الى شط العرب ، بدأت كعب تقوم بأعمال استفزازية ضد البصرة ، القصد منها احداث الاضطراب في المدينة ، وتسهيل مهمة الجيش الزاحف . فقد عبر اسوار المدينة في ليلة السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٧٧٥م ثلاثمائة مسلح من كعب وهجموا على السوق الرئيسي في المدينة، وفتحوا المتاجر ونهبوها ، ثم عادوا الى سفنهم محملين بكميات كبيرة من المسروقات[٦٥] ، فأظهرت غزوتهم هذه ضعف تحصينات البصرة .

وفي السادس عشر من آذار تواردت الانباء بأن الجيش الفارسي قد وصل شط العرب ، واصبح بالقرب من مصب نهر السويب[٦٦] ، وانه يتقدم باتجاه البصرة ويبلغ تعداده ثلاثين ألفا ما بين فارس وراجل[٦٧] ، اضافة

---

(٦٣) كانت عشيرة العبيد عشيرة قوية تنزل في المنطقة الواقعة بين بغداد والموصل ، ومشيختها في ال الشاوي الذين ينتسبون الى حمير ، وكانوا مشهورين بعلو كعبهم في الادب وفي السياسة ، وذاع صيتهم منذ ذلك الوقت . انظر : عباس العزاوي : عشائر العراق ، جـ٣ ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٦٤) Miles, S.: Op. Cit., P. 272.

(٦٥) Parsons, A.: Op. Cit., P. 162.

(٦٦) احد روافد شط العرب على الضفة اليسرى من النهر الرئيسي ، وعلى بعد ٣٥ ميلا اعلى البصرة .

(٦٧) Parsons, A.: Op. Cit., P. 164.

الى اسطول يتألف من ثلاثين سفينة صغيرة الحجم[٦٨] ، كما افادت الانباء بأن من المتوقع وصول قائد الجيش الذي تصحبه المدفعية خلال يومين[٦٩] •

وقد وجد الفرس انفسهم في أول الامر يواجهون قوات عربية كبيرة من عشائر المنتفق بقيادة رئيسها الشيخ عبدالله السعدون ، معسكرة على الجانب الغربي من شط العرب • وكانت هذه القوات قد عسكرت هناك منذ عدة ايام لتمنع عبور الغزاة[٧٠] •

وبينما كانت البصرة تعيش في حالة قلق ورعب ، وصلها مبعوث من صادق خان يحمل رسائل لكل من المتسلم والوكيل الانجليزي والشيخ درويش[٧١] ، والي رؤساء طوائف الارمن واليهود ، يطلب فيها ارسال مندوبين عنهم للبحث بشأن افتداء المدينة • غير انه لم يلب طلبه احد • وبعد ذلك وصلت انباء مفادها ان الفرس بدأوا بالعبور نحو البلدة ، مستخدمين في عبورهم جلود الماعز المنفوخة ، وتمكنوا من الوصول الى الضفة الغربية من دون ان يلقوا اية مقاومة ، وذلك بعد ما ترك الشيخ عبدالله شيخ المنتفق وقواته مواقعهم[٧٢] •

ويبدو ان شيخ المنتفق كان يعلم جيدا انه لا يقوى على مواجهة هذه القوة العظيمة ، لذلك آثر الانسحاب على الاشتباك معها ، وبذلك سهل على الفرس عملية العبور •

---

(٦٨) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79.

(٦٩) Parsons, A.: Op. Cit., P. 164.

(٧٠) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1249.

(٧١) من اعيان البصرة واعظمهم منزلة ، ويقول بارسونز انه كان يعتبر «شيخ العرب في البصرة» Parsons, A.: Op. Cit., P. 170.

(٧٢) Parsons, A.: Op. Cit., P. 162, 164.
وانظر كذلك لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ ، Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1249.

وفي الحادي والعشرين من آذار استطاعت اربعة عشر غلافة تابعة لكعب ان تندفع في أعلى النهر شمالي المدينة دون ان تنتبه اليها السفن الحربية الانجليزية التي كانت ترابط في شط العرب بالقرب من البصرة [٧٣] .

ويظهر مما كتبه الرحالة الانجليزي بارسونز[٧٤] Parsons الذي كان شاهد عيان للحصار الفارسي ، وساهم في وضع مخططات الدفاع عن المدينة . اذ كانت له خبرته في السفن والملاحة ، حيث بدأ حياته بحارا ، انه كانت ترابط في ميناء البصرة عند بدء الغزو الفارسي ، سفينتان حربيتان من سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وهما السفينة « ايجل » Eagle المسلحة بستة عشر مدفعا ، والسفينة « سكس » Success المسلحة بأربعة عشر مدفعا ، اضافة الى سفينتين حربيتين هما « دجلة » و « الفرات » تابعتين لباشا بغداد وكل منهما مزودة بأربعة عشر مدفعا ، كانتا قد بُنيتا في بومباى[٧٥] ، وقد تولى قيادتهما انجليزيان يعملان في شركة الهند الشرقية ،

---

(٧٣) Parsons, A.: Op. Cit., P. 166.

(٧٤) كان في الاصل ضابطا بحريا ، وفي سنة ١٧٦٧م عينته الشركة التركية وهي شركة انجليزية كانت تعمل في التجارة في بلاد الدولة العثمانية على شاكلة شركة الهند الانجليزية ، قنصلا ووكيلا تجاريا لها في ميناء الاسكندرونة . غير ان بارسونز مالبث ان استقال من منصبه هذا بعد ان قضى فيه ستة اعوام ، ثم بدأ في القيام برحلته الاستطلاعية التي جاءت به الى البصرة التي تصادف وجوده فيها حين قام الفرس بحصارها انظر مقدمة رحلته .

(٧٥) كان باشا بغداد قد كتب الى حاكم بومباي في تشرين الثاني عام ١٧٧٢م راجيا منه بناء سفينتين كبيرتين له في الهند لتساعده على تأمين الملاحة في شط العرب والخليج وقد اشترط « ان تكون السفينتان جيدتين وقويتين تحمل كل منهما اربعة عشر مدفعا ولاتزيد قيمة الواحدة على خمسة واربعين الف روبية » . واستجاب حاكم بومباي لطلب الباشا وتم بناء السفينتين خلال عام ١٧٧٣م . وعندما عاد وكيل الشركة من بومباي الى البصرة في نهاية عام ١٧٧٣م ، جاء بهما معه وبعث بخطاب الى باشا بغداد جاء فيه :

« وانني لجد سعيد اذ احضرت السفينتين اللتين ارسلتني من اجلها... »

←

وغلافتين من غلافات الباشا تحت قيادة انجليزية ايضا ، تحمل كل منهما ثمانية مدافع وعدداً من الجنود يتراوح بين ثمانين ومائة جندي[٧٦] .

أما عن استحكامات البصرة الدفاعية ، فقد كانت المدينة محاطة بالاسوار وخندق واسع عميق ، ولا تحيط الاسوار بها من ناحية البر فقط ، بل تلتف حولها كذلك من ناحية الخليج . والبوابتان الكبيرتان اللتان تواجهان البر المحيط بالمدينة ، وهما بوابة « بغداد » وبوابة « الزبير » ، ليس حول ايهما خندق لحمايتها . وهناك ثمانية ابراج ، في كل برج ثمانية مدافع كبيرة واثنا عشر مدفعا صغيرا ، بالاضافة الى بعض المدافع المثبتة على سفينتين تواجهان الاسوار . وعلى مدخل الخليج من ناحية اليمين قلعة مزودة بثمانية مدافع ، وعلى الناحية المقابلة ثمانية مدافع اخرى[٧٧] .

وقد عملت القطع البحرية العثمانية والانجليزية جاهدة في سبيل عرقلة عملية الغزو الفارسي ، فتصدت السفينة الانجليزية « سكس » وسفينتا الباشا «دجلة» و «الفرات» لغلافات كعب التي اندفعت في شط العرب ، وتمكنت السفينة الانجليزية من اسر وحرق احداها وايقاع الاضرار بأخرى قبل ان تتمكن من الوصول الى المعسكر الفارسي الذي يقع على مسافة ستين ميلا من البصـــرة[٧٨] .

Letter from the Agent at Basrah to the Pasha of Bagdad, dated the 12th January 1774 (F.R.P.P.G., Vol. 17).

وانظر عبدالامير امين : القوى البحرية ، ص ٨٣ ،

Selections from State Papers, P. 281.

(٧٦) Parsons, A.: Op. Cit., P. 168.

وانظـــر :

Low, C.: Op. Cit., Vol. I, P. 166; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1250.

(٧٧) Parsons, A.: Op. Cit., P. 168; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, PP. 1249-50.

(٧٨) Parsons, A.: Op. Cit., PP. 166-7.

والجدير بالذكر ان بارسونز كانت لديه فرصة ممتازة لمراقبة حوادث

←

ويبدو ان مشاركة السفن الانجليزية في الدفاع عن البصرة ، بعد ان كان الوكيل الانجليزي هنرى مور قد اعلن في البداية انه سيلتزم بالحياد التام ، يعود الى ما عرف عن مور من كراهية للفرس ولكريم خان بصورة خاصة ، وهذا ما ورد في تقرير لحكومة بومباي عن الموقف في الخليج العربي ، حيث جاء في التقرير : « ان الموقف السيء لشئوننا في الخليج كان وما يزال ، بسبب الكراهية غير المعروف سببها التي يبدو ان الوكيل يحملها ضد كريم خان ، وان الخان نتيجة لهذا يبدو انه يحمل كراهية مشابهة لمستر مور »(٧٩) .

وفي الثالث والعشرين من آذار ١٧٧٥ م وصل البصرة رسولان من القائد الفارسي صادق خان ، قابلا المتسلم والوكيل الانجليزي ، وطالبا بدفع عشرين لكا(٨٠) من الروبيات لافتداء البصرة ، وقالا انه اذا لم يحصلا على هذا المبلغ ، فان القائد الفارسي سيتقدم لاحتلال المدينة في غضون خمسة أيام . ولما لم يحصلا على جواب عادا ادراجهما كما حدث في المرة السابقة(٨١) .

المعركة ، فقد عمل كملازم على ظهر السفينة «سكسس» مكان ضابط جرح في انفجار .

وورد في خطاب ارسله من بوشهر روبرت جاردن ، احد اعضاء ادارة الوكالة في بومباي ، مؤرخ في ٢٣ نيسان ١٧٧٥ م ، ان خمسة عشر غلافة تابعة لكعب هوجمت من قبل السفن الانجليزية ، وقد اسرت احداها واحرقت اخرى ، وفرت بقية الغلافات الى المعسكر الفارسي القريب من اعلى المدينة .

Robert Garden (Bushire Road) to the President and Governor, etc. (Selections from State Papers, P. 293).

(٧٩) Selections from State Pepers, P. 289.

يذكر ارنولدولسون ان موقف الانجليز في بداية الحصار كان محايدا على اتم الحياد ، ولكن ضغط الظروف جرهم الى النزاع . (ولسون : الخليج العربي ، ص ٣٠٨) .

(٨٠) اللك الواحد يساوي مائة الف روبية .

ويذكر لونكريك ان المبعوثين الفارسيين طلبا لكين (اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٧) .

(٨١) Parsons, A.: Op. Cit., P. 167.

ومما زاد من ثقة المدافعين انه تم اقامة حاجز يحول دون الملاحة في شط العرب لمنع وصول الامدادات الى الجيش الفارسي عن طريق النهر ، بالحد من عبور المزيد من السفن الفارسية الى شمال المدينة ، وكان ذلك من اقتراح الرحالة بارسونز ، والحاجز عبارة عن جسر من القوارب الكبيرة ربط بعضها ببعض بالسلاسل والحبال وتم حصرها في صدر نهر العشار(٨٢) .

كما وصلت من بغداد قوة مؤلفة من حوالي مائتي انكشاري ومعهم رسالة الى متسلم البصرة سليمان أغا ، يعده فيها والي بغداد بانه سيرسل المزيد من القوات لرد العدوان الفارسي(٨٣) . غير ان ذلك كان مجرد وعد ، اذ لم تصل مثل هذه القوات .

ويعتقد بارسونز انه كان بامكان والي بغداد ان يرسل جيشا تعداده عشرون ألفا لنجدة البصرة ، وان مثل هذا الجيش يكفي لمواجهة وطرد ستين الف جندي فارسي ، لان الفرس لا يملكون جيشا نظاميا منذ اغتيال نادر شاه ، وجيشهم وقتذاك يتألف من أفراد جدد يعوزهم الانضباط(٨٤) .

وفي السادس من نيسان اقتربت طلائع القوات الفارسية من المدينة ، وكانت تتألف من بضعة آلاف من الخيالة والمشاة ، وعسكرت بالقرب من المعقل على بعد خمسة أميال من البصرة(٨٥) .

---

(٨٢) Parsons, A.: Op. Cit., P. 168; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB. P. 1252.

وانظر لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٨ يتفرع نهر العشار من شط العرب عند مدينة البصرة ، وتقع عليه مدينة العشار التي تبعد عشرة كيلو مترات عن البصرة .

(٨٣) Parsons, A.: Op. Cit., P. 171.

(٨٤) Ibid, P. 165.

(٨٥) Parsons, A.: Op. Cit., PP. 171-2; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1253.

ووصلت في اليوم التالي مؤخرة القوات الفارسية ، واخذت مواقعها قرب تلك الطلائع ، وشرعت في محاصرة البصرة وتضييق الخناق عليها . غير ان السكان[٨٦] كانت معنوياتهم عالية ، وكان معظمهم يقضي الليل في حراسة أسوار المدينـــة[٨٧] .

ويمكننا القول بأن الفرس لم يكن ليتمكنوا من فرض حصارهم على البصرة ، لولا وقوف رؤساء القبائل العربية القاطنة في الساحل الشرقي من الخليج العربي الى جانبهم ، ووضع اساطيلهم تحت تصرفهم ، مما جعل الفرس يستفيدون منها الى جانب قواتهم البرية . وكان كريم خان الزند قد ناشدهم العون في هذا الغزو ، فاشتركت السفن الحربية التابعة للشيخ ناصر حاكم بوشهر – الذي عينه كريم خان قائدا لقوات الاسطول الفارسي في الخليج – في عملية التقدم نحو البصرة ، وفي مد الجيش الفارسي بما يحتاجه من مؤن وذخائر[٨٨] . وقدمت مشيخة بندرريق كل المساعدة للفرس حتى ان بعض سفنهم اعدت وجهزت في بندرريق[٨٩] . أما بنو كعب فقد كان لاسطولهم الاثر الأكبر في تمكين الغزاة الفرس من احتلال مدينة البصرة ، اذ التحقت سفنهم بالجيش الفارسي ، فاتاحت له التسهيلات التي كان بأمس الحاجـــة

---

(٨٦) يقول بارسونز ان عدد سكان البصرة في ذلك الوقت يتراوح بين ٨٠–٩٠ الف نسمة ، وكان من بينهم حوالي ٥٠ الف رجل وشاب قادر على حمل السلاح ، ويذكر ان عدد سكان البصرة قبل ان يحل وباء الطاعون فيها سنة ١٧٧٣م كان يبلغ ٣٠٠ الف نسمة .

Parsons, A.: Op. Cit., P. 173.

اما مالكولم فيقول ان عدد السكان كان اربعين الفا ، وتشكل الحامية حوالي ربع السكان .

Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 80.

(٨٧) Parsons, A.: Op. Cit., P. 172.

(٨٨) يذكر بارسونز انه عندما وصل الى بوشهر ، راى ان كل السفـــن الحربية الخاصة بشيخ بوشهر ، كانت غائبة تشترك في حصار البصرة وكذلك بعض سفنه التجارية الكبيرة.

Parsons, A.: Op. Cit., P. 188.

(٨٩) Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 79.

ان القائد الفارسي صادق خان عبر الى البصرة من اراضي بني كعب ، وعسكر في السويب(٩١) وهي من ممتلكاتهم(٩٢) ، حتى اليها(٩٠) .

وبعد ان اتخذ الفرس مواقعهم على بعد عدة أميال من البصرة ، وانبثت دورياتهم حول المدينة ، حاول ثلاثمائة فارسي الاقتراب من الاسوار للتعرف عليها ، غير ان طلقات المدافع سرعان ما انهالت عليهم . وفي نفس الوقت شوهدت ست عشرة غلافة تقترب من المدينة ، فتصدت لها السفينتان الانجليزيتان « ايجل » و « سكس » وسفينتا الباشا « دجلة » « الفرات »، وتمكنت من اجبارها على التراجع(٩٣) .

وفي ليلة حالكة الظلام ، قام الفرس بهجوم عنيف على القسم الشمالي من المدينة لتسلق الاسوار بين بوابتي الزبير وبغداد ، ولكنهم انهزموا وتكبدوا خسائر فادحة ، بسبب المقاومة التي جوبهوا بها من قبل رجال قبيلة المنتفق بقيادة الشيخ ثامر(٩٤) ، وما طلع النهار حتى شوهدت بعض رؤوس الفرس معلقة على بوابتي الزبير وبغداد(٩٥) .

وقد ظلت روح الدفاع عالية ، والعنصر الفعال فيه كان المتسلم الذي لم يكن يعرف الراحة ، اذ كان طوال يومه ممتطيا صهوة جواده يشحذ همم المدافعين وقد قام ـ ومعه بعض موظفيه والوكيل الانجليزي هنرى مور وجميع الاعضاء العاملين في الوكالة وبارسونز ـ بتفقد الاسوار ، ثم اتجهوا

---

(٩٠) Parsons, A.: Op. Cit., P. 162.

(٩١) السويب : قرية من قرى البصرة ، وهي الان ناحية تابعة لقضاء القرنة من محافظة البصرة .

(٩٢) ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جـ١ ، ق١ ، ص ١٦٦ .

(٩٣) Parsons, A.: Op. Cit., PP. 172-3.
وانظر : Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1254.

(٩٤) Selections from State Papers, P. 296.

(٩٥) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٨ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1255.

الى ناحية النهر واطمأنوا على وضع الاستحكامات . وابلغ المتسلم هنرى مور بأنه يستطيع القيام بمهمة الحماية البرية للمدينة ضد الفرس ، اذا استطاعت السفن الانجليزية حمايتها من الناحية النهرية[٩٦] .

ثم تقدم الجيش الفارسي قريبا جـدا من المدينـة ، وحدثت بعض المناوشات ولكن لم تكن في صالح الفرس[٩٧] ، وعندئـذ شـن الفرس هجوما عنيفا تمكنوا فيه من فتح ثغرات في السور في خمسة مواقع[٩٨] ، كما هوجم ليلا جسر القوارب الذي كان قد وضع في صدر العشار ، واحرق احداها[٩٩] . وعند وصول اسطول بوشهر[١٠٠] من اسفل البصرة للاشتراك مع اسطول كعب ، الذي كان قد اشرف فعلا على المدينة ، بدأت المخاوف تنتاب الوكيل الانجليزي[١٠١] .

وفي اليوم الحادي عشر من نيسان ١٧٧٥ م فوجـىء متسلم البصرة بانسحاب السفن الحربية الانجليزية من البصرة وعلى ظهرها الوكيل وموظفو الوكالة والرحالة بارسونز ومعهم غلافتان وسفينتان تابعة لباشا بغداد[١٠٢]، التي كانت تحت قيادة انجليزية بعد ان شاركوا في محاربة الفرس وكانوا الساعد الايمن للعثمانيين ، تاركين وراءهم جميع ممتلكات شركة الهند الشرقيـة الى قـدرها[١٠٣] .

---

(٩٦) Parsons, A.: Op. Cit., P. 173.

(٩٧) Selections from State Papers, P. 296.

(٩٨) Parsons, A.: Op. Cit., P. 174.

(٩٩) Selections from State Papers, P. 296.

(١٠٠) كان اسطول بوشهر يتكون من عشرين غلافة مسلحة تحمل كل منها من ثمانية الى عشرة مدافع ، وعدد من المراكب التجارية حمولتها من اربعين الى ثمانين طنـا وباستطاعتها ان تستعمل في اغراض الاسطول
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1822.

(١٠١) Ibid, Vol. I, Part. IA, P. 145.

(١٠٢) Parsons, A.: Op. Cit., P. 178.

(١٠٣) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1811.

وقد بذل قادة السفن جهودهـــم للحيلولـــة دون الالتقاء بالجيش من شمال المدينة[١٠٤] ، ولكنهم تعرضوا في توجههم الى شمال شط العرب الى قصف مدفعي من السفن الفارسية[١٠٥] ، واشتبكت قطع الاسطول الانجليزي في قتال جزئي عند مصب نهر كارون مع اســـطول بوشهر[١٠٦] الذي كان يقوده الشيخ ناصر ، واستمر اطلاق النار لعدة ساعات ، ومع هذا فلم تحدث خسائر مادية كبيرة للجانبين[١٠٧] .

ويذكر هنرى مور في خطاب بعثه من بوشهر الى حكومة بومباى ، ان الاسطول الفارسي كان يبغى من هجومه على السفن الانجليزية ان يجعلها محصورة بين الاسطول الكعبي وبينه ، وبذلك يحول دون سير الســـفن الانجليزية الى اسفل النهر . وعلى الرغم من هذا ، فقد كتب الشيخ ناصر الى اخيـه الشيخ سعـــدون في بوشهر يقـــول بأن السفن الانجليزية هي التي هاجمته في البداية[١٠٨] .

وعند وصول القطع البحرية التي انسحبت مـــن البصرة الى الخليج العربي ، أرسل الوكيل الانجليزي مور الغلافتين التابعتين لباشا بغـــداد الى الكويت وعليهما جميع العرب والاتراك ممن كانوا على ظهر سفينتي الباشا « دجلة » و « الفرات » .

---

(١٠٤) ولسون : الخليج العربي ، ص ٣٠٨ .

(١٠٥) لونكريك : اربعة قرون ، ص ٢٢٩ .

(١٠٦) يذكر بارسونز انه شاهد ورجال الوكالة (١٢) غلافة و (١٣) ترانكي تابعة لاسطول بوشهر متجهة الى البصرة ، وقد عرف فيما بعد انهـــا كانت محملة بالارز والمعدات للجيش الفارسي المحاصر للبصرة .

(١٠٧) Parsons, A.: Op. Cit., PP. 178-9.

(١٠٨) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1811.

Moore to the President and Governor, 22 April 1775 (F.R.P.P.G., Vol. 17).

أما سفينتا الباشا والسفن الانجليزية فقد أبحرت الى بوشهر ، ومن هناك الى الهند(١٠٩) . وبعث هنري مور بخطاب الى متسلم البصرة سليمان أغا ، علل فيه سبب اصطحابه السفينتين العثمانيتين معه الى الهند ، بأنه اقدم على ذلك بهدف انقاذهما من الوقوع في ايدي الفرس ، وطلب منه ان يفوضه في امر بيعهما لحسابه في بومباى لتعذر ارجاعهما ، اذ لا يمكن توفير طرادة لحمايتهما او توفير رجال لقيادتهما ، ثم قال :

« وسأظل دائما اذكر الشرف الذي احطتموني سموكم به في طلب مساعدتنا للدفاع عن البصرة ، وكنت اود ان يكون باستطاعتنا مساعدتكم بأكثر مما فعلنا ، ولكنني متأكد من انكم مقتنعون تماما بأن الظروف الكثيرة كانت مرهقة لنا بشكل جسيم ، وذلك قبل ومنذ ان رحلنا من البصرة ، وآمل ان تستمر صداقتك ورأيك الطيب في شخصي »(١١٠) .

ولقد جلب انسحاب الوكيل الانجليزي وتخليه عن مساعدة اهل البصرة نقمة هؤلاء الذين صاروا يلعنون الانجليز ويعتبرونهم السبب في تعرض البصرة للخطر الفارسي ومن ثم استيلاء الفرس عليها(١١١) . وقد كتب بارسونز بهذا الصدد يقول :

« وهكذا ترك اهل البصرة التعساء وحدهم ، وتخلى عنهم هؤلاء الذين كان من واجبهم ومن مصلحتهم ان يدافعوا عنهم ، ولو فعلوا هذا واستمروا في الوقوف معهم ، لما استطاعت كل جيوش بلاد فارس ان تدخل المدينة وتحتلها »(١١٢) .

---

(١٠٩) Parsons, A.: Op. Cit., P. 183; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1257.

(١١٠) Letter from Mr. Henry Moore to the Mussalim at Basrah, dated the 18th July 1775. (Selections from State Papers, PP. 297-8).

وانظر الخطاب في ملاحق الكتاب .

(١١١) Parsons, A.: Op. Cit., P. 176.

(١١٢) Ibid, P. 186.

ويظهر ان انسحاب الانجليز من البصرة ، رغم علمهم بعجزهـــا عن الصمود بحريا في وجه الخطر الفارسي الكبير ، انما يرجع الى عدة عوامل اهمها مايلي :

١ ـ ان حكومة بومباى لم تكن راضية منــــذ البداية عمـــا قام به الوكيل الانجليزي هنري مور في البصرة ، حيث اقحم نفسه طرفا في الحرب الى جانب العثمانيين ، على حين انها لم تكن تريد ان تزج بنفسها في مشاكل سياسية قد تفقدها في النهاية نفوذها التجاري في المنطقة • ولذلك أرسلت أوامر عاجلة الى مور بارجاع السفينتين الحربيتين « ايجل » و « سكس » خلال فترة لا تزيد على عشرة ايام من تسلمه تلك الاوامـــر ، واعتبرت اشتراكه في الحرب مجرد تصرف شخصي بسبب ما قيـــل عن عدائـــه لكريم خان الزند(١١٣) •

٢ ـ ان الانجليز كانوا يدركون جيدا امكانيات كريم خان الزنـــد العسكرية الضخمة والتي تتفوق على امكانيات متسلم البصرة ، وهذا مما يجعل انتصاره امرا مؤكدا •

٣ ـ ان استمرار الانجليز في المعركة سيؤدي في النهاية الى تدهـــور مصالحهم في الخليج العربي ، لا سيما وان هذا الهجوم الذي شنه كريم خان كان يشاركه فيه اساطيل القبائل العربية التي لها نفوذها في المنطقة ، ومعنى هذا جلب نقمة هؤلاء عليهم ايضا •

٤ ـ ان الانجليز ارادوا ان يتجنبوا تجربة حربهم الى جانب حكومة البصرة ضد بني كعب سنة ١٧٦٥ م ، والتي ادت الى تحملهم خسائر فادحة •

٥ ـ ان كريم خان الزند تعهد للانجليز في حالة انسحابهم من ميدان المعركة ، بحماية ممتلكاتهم في البصرة ، وترحيبه بعودة ممثلي شركـــة الهند

---

(١١٣) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1250, 1258.

الشرقية اليها بعد احتلالها من قبل جيوشه ، كما تعهد بعدم التعرض لتجارتهم وسفنهم(١١٤) .

وكان قد وصل الى بوشهر في السابع من نيسان سنة ١٧٧٥ م ، اى في نفس اليوم الذي بدأ فيه حصار الفرس لمدينة البصرة روبرت جاردن(١١٥) احد اعضاء ادارة الوكالة في بومباى ، وذلك في مهمة تستهدف استئناف العلاقات مع كريم خان الزند ، واستبدال السياسة العدوانية التي مارسها نحوه هنرى مور الذي بأمر منه حدثت مقاطعة من جانب السفن الانجليزية لموانىء بلاد فارس ، وفوضته حكومة بومباى بأن يعمل على استعادة الطمأنينة في الخليج باية وسيلة ، ويعيد انشاء مقيمية بوشهر(١١٦) .

وكانت حكومة بومباى قد تعبت كثيرا من الخلاف مع كريم خان ، ومن عواقبه المباشرة وغير المباشرة ، وعلى الأخص من مرابطة سفن الشركة المسلحة في الخليج بشكل متكرر ولمدة طويلة وبتكاليف باهظة(١١٧) .

وفي الحادي عشر من نيسان بعث جاردن بخطاب الى كريم خان شرح فيه مهمة بعثته ، وذكر انه لما كانت الصداقة التامة بين الانجليز والفرس موجودة منذ القدم ، فان حكومة بومباى تأمل في اعادة السفينة « تيجر » Tyger التي كانت قد اخذت على حين غرة من قبل بعض غلافاته في شط العرب ، وكذلك اطلاق سراح اثنين من موظفي الشركة ، هما بومونت وجرين(١١٨) كانا في السفينة ، ثم قال أن حكومة بومباي قد فوضته في تأسيس وكالة في

(١١٤) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, PP. 1257-8.

(١١٥) في سنة ١٧٥٤م عمل روبرت جاردن كموظف في وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة ثم نقل منها في نيسان ١٧٦١ م .
Selections from State Papers, Appendix, I.

(١١٦) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1258.

(١١٧) Ibid, Vol. I, Part. II, P. 1811.

(١١٨) كان جون بومونت وجورج جرين يعملان في معتمدية البصرة ، وفور اسرهما سنة ١٧٧٣م ارسلا الى شيراز (عاصمة كريم خان) حيث

للنفوذ(١١٩) .

ولم يتردد الشيخ سعدون – شقيق الشيخ ناصر حاكم بوشهر – والتجار الفرس في بوشهر ، في التأكيد لجاردن « بأن الخان ليس لديه شيء اكثر اهمية من تأسيس الوكالة الانجليزية في المناطق التابعة لنفوذه » . وفي محادثة للشيخ ناصر مع بومونت قبل رحيله بليلة ، أكد له بان عناد هنرى مور كان السبب في قيام الحرب الحالية : ولو أن العلم الانجليزي قد رفع في بوشهر ، لم تكن لتشن تلك الحملة(١٢٠) .

وعندما وصل هنرى مور الى بوشهر في الخامس عشر من نيسان ١٧٧٥م ومعه رجال الوكالة بعد ان انسحبوا من البصرة كتب جاردن ثانية الى كريم خان ، يطلب منه ان يأمر قائده في البصرة صادق خان ، بأن يأخذ كل الاحتياطات الممكنة ، للمحافظة على الممتلكات الانجليزية هناك ، وارسل في نفس الوقت خطابا بنفس المعنى للشيخ ناصر حاكم بوشهر ، الذي كان يقود الاسطول الفارسي أمام البصرة(١٢١) .

وقد تلقى روبرت جاردن ردا مرضيا من كريم خان يلقى فيه اللوم عن كل ما حدث من خلاف بينه وبين الانجليز على الوكيل الانجليزي في البصرة هنري مور ، ووعد باعادة السفينة «تيجر» عند عودتها من البصرة، حيث ارسلت الى هناك لتعمل ضدها ، وقال انه امر باطلاق سراح موظفي الشركة بومونت وجرين، وتعهد بحماية ممتلكات الوكالة الانجليزية في البصرة وبعدم التعرض

سجنا هناك ، ورفض الخان اطلاق سراحهما مالم يوقف الانجليز مقاطعتهم التجارية للساحل الفارسي ويقيموا لهم مقرا تجاريا في بوشهر . غير أن الانجليز رفضوا في ذلك الوقت الاذعان لمطالب الخان.

(١١٩) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1810.

(١٢٠) Selections from State Papers, P. 294.

(١٢١) Ibid; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1812.

Ibid, P. 295.

الى تجارة الانجليز وسفنهم ، وذكر انه ارسل اوامر بخصوص ذلك الى اخيه صادق خان القائد العام لجيشه الذي يحاصر البصرة ، ثم اعلن اخيرا عن ترحيبه بعودة ممثلي شركة الهند الشرقية الى المدينة عند احتلال جيوشه لها[١٢٢] .

سقوط البصرة في ايدي الفرس :

لم يجيء انسحاب الانجليز من ميدان الحرب ، للفرس في البداية الا نجاحا ضئيلا في عملياتهم الحربية ضد البصرة ، اذ كان للقبودان باشا عدد من السفن التي كانت قادرة على مشاغلة سفن الاسطول الكعبي بمقدار عددها هي[١٢٣] ، كما ان مدفعية الفرس لم تستطع ان تحقق اي نجاح في مواجهة استحكامات العثمانيين[١٢٤] وكان متسلم البصرة سليمان أغا قائدا شجاعا ، وقد بذل جهودا جبارة في تقوية التحصينات الدفاعية[١٢٥] ، ووقف الى جانبه رجال قبيلة المنتفق وبنو خالد[١٢٦] ، الذين عملوا على تمكين قوافل المؤن من الوصول الى المدينة المحاصرة[١٢٧] .

---

(١٢٢) Selections from State Papers, P. 295, 297; Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1812.

وانظر عبدالامير محمد امين : القوى البحرية ، ص ٧١

وفي السادس والعشرين من نيسان ١٧٧٥ م عاد العلم الانجليزي يرفرف مرة اخرى على الوكالة الانجليزية في بوشهر ، واصبح جون بومونت الذي اطلق سراحه هو المسؤل عنها .

(١٢٣) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٩ .

(١٢٤) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1259.

(١٢٥) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٤-١٥٥ ، فائق : تاريخ بغداد ، ص ١٥ ، Olivier, G.: Op. Cit., Vol. IV, PP. 343-4.

(١٢٦) كانت قبيلة بني خالد هي اقوى القبائل العربية في شرقي الجزيرة خلال العقود الخمسة الاولى من القرن الثامن عشر ، وكان سلطانها يمتد من الكويت شمالا حتى قطر جنوبا .

نور الدين عبدالله حميد السالمي : تحفة الاعيان في سيرة اهل عمان جا ص ١١ - ١٢ .

وصلت معونة اكثر نفعا للعثمانيين ، من امام عمان احمد بن سعيد[١٢٨] كان على صلات ودية وقوية معهم ، حيث تقدم بأسطوله في شهر آب ١٧٧٥ م لنجدة البصرة التي يعتمد رخاء مسقط على حركتها التجارية معها . وكان الامام مدينا للعثمانيين الذين مدوا يد المساعدة لعمان اثناء الغزو الفارسي لها سنة ١٧٤٢ م ، وكذلك ردا لجميل المتسلم حين رفض سنة ١٧٦٩ م التعاون مع كريم خان ضده ، وحتى يسدد ضربة للفرس الذين كان في حالة حرب معهم[١٢٩] .

وفي أوائل تشرين الاول رسا اسطول عمان ، عند مدخل شط العرب ، بعد ان حطم السلسلة التي وضعها الفرس لعرقلة تقدمه ، وشتت السفن الفارسية التي كان يقودها الشيخ ناصر حاكم بوشهر ، الامر الذي سهل وصول الامدادات الى المدينة المحاصرة التي كانت في مسيس الحاجة للمؤن والذخيرة[١٣٠] وكان الاسطول العماني يتألف من السفينة المسماة « رحماني » التي كان على ظهرها الامام نفسه ، ومن تسع سفن اخرى شراعية

للاطلاع على تفاصيل اصل بني خالد ونفوذهم راجع :
عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، لمع الشهاب لمؤلف مجهول تحقيق الدكتور احمد ابو حاكمة ، فوءاد حمزة : قلب جزيرة العرب .

(١٢٧) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(١٢٨) يعد احمد بن سعيد محرر عمان من الفرس ، وقد اخذ البيعة بالامامة سنة ١٧٤١م وامتد حكمه الى سنة ١٧٨٣م ، واستطاع ان يكون اسرة حاكمة في عمان هي اسرة البوسعيد التي مازالت حتى الوقت الحاضر تحكم في مسقط .
للمزيد من التفاصيل ، انظر جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا .

(١٢٩) Parsons, A.: Op. Cit., PP. 206-7; Miles, S.: Op. Cit., P. 273.

(١٣٠) Miles, S.: Op. Cit., P. 273.

مربعة الشكل ، وسبعين غلافة وترانكي ، اضافة الى خمسين داو[١٣١] ملىء بالرجال[١٣٢] .

ولكن امام عمان اصيب بالخيبة عندما وجد ما عليه العثمانيين من ضعف بحري ، بينما وجد لدى الفرس من القوة اكثر مما كان يتوقعه ، وقد حاول بدون جدوى ان يتوسط من اجل السلام بين القوتين ، وفكر في ارسال ابنه الثاني سعيد[١٣٣] الى كريم خان الزند للتباحث في السلام بينه وبين العثمانيين ولنفسه ايضا . غير انه وجد ان الظروف غير مشجعة للقيام بمثل هذه المهمة . وفي نهاية سنة ١٧٧٥ م عاد الامام احمد باسطوله الى مسقط[١٣٤] . ويبدو انه انسحب بعد ان بدا له انه لا يمكن عمل شيء سوى القليل ، واحتمال قيام بلاد فارس بتوجيه ضربة الى عمان نفسها .

وقد اشاد السلطان العثماني عبدالحميد الاول بالمعونة التي قدمها العمانيون واصدر فرمانا سلطانيا يقضى بدفع معونة مالية سنوية الى امام عمان ، ومنح التجار العمانيين حرية التجارة في العراق ، ورفع الرسوم التي كانت قد فرضت على البن العماني[١٣٥] .

---

(١٣١) الداو : مركب شراعي مألوف في شواطىء الجزيرة العربية وشرق افريقيا .

(١٣٢) Miles, S.: Op. Cit., P. 273.

(١٣٣) كان للامام احمد خمسة اولاد انشأهم لتولى مراكز المسؤولية ، اما في الحكومة المركزية او كولاة على المدن المهمة ومايتبعها من مقاطعات ، ومنح كلا منهم لقب (سيد) ، وعندما توفي احمد في سنة ١٧٨٣م انتخب سعيد الذي ولاه ابوه على (نزوة) للامامة وهو يعتبر اخر امام منتخب بل واخر حاكم لعمان يقيم في الرستاق .
انظر صالح العابد : دور القواسم في الخليج العربي ، ص ٩٦و٩٨

(١٣٤) Miles, S.: Op. Cit., P. 273.

(١٣٥) محمود علي الداود : التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، ص ٢٢ و٢٦ وانظر : Miles, S.: Op. Cit., P. 274.
وفي سنة ١٧٩٨ ثم في سنة ١٨٢٦ توترت العلاقات بين العثمانيين وبين سلطان عمان، بسبب مطالبة الاخير لهم بان يدفعوا التزاماتهم المالية في مقابل ←

وعلى الرغم من ان الحصار استمر حثيثا ، فان الجيش الفارسي اصاب تقدما ، واستمرت مقاومة البصريين عدة اشهر اخرى ، ولكن الضيق الذي اصابهم بسبب الحصار كان آخذا بالاشتداد ، ولم يبق في قوس الصبر منزع ، فقد استهلكت الذخائر والمؤن ونفذت الحيوية داخل المدينة المحاصرة ، وبدا لهم ان المقاومة اصبحت من غير جدوى ، وانها مؤدية لهلاك المئات من نفوس الجائعين[١٣٦] ، لا سيما بعد ان يئسوا تماما من وصول امدادات لهم من بغداد ، فقد ورد كتاب من والي بغداد مصطفى باشا الاسبيناقجي الى متسلم البصرة سليمان أغا يعلمه بتعذر امداده بالقوات ، وبأن من الافضل له ولاهل البصرة الاستسلام للفرس ، وعندئذ تداول المتسلم مع أعيان المدينة ووجهائها بشأن ما جاء في كتاب والي بغداد ، فقرروا الاستسلام ، على ان يتعهد القائد الفارسي صادق خان بعدم التعرض للسكان[١٣٧] ، وقد اوفد الى مخيم الخان من يعلمه بذلك[١٣٨] .

الخدمات البحرية التي قدمها والده لهم اثناء حصار البصرة والتي اوقفها باشا بغداد بعد ذلك ، بحيث وصل الامر بسلطان عمان الى ان يعد العدة لمحاصرة البصرة ولكن الطرفين استطاعا اخيرا التوصل الى عقد اتفاقية بينهما ، ووجد باشا بغداد نفسه مرغما على دفع مبلغ من متأخرات تلك المعونة المالية . وكانت المتأخرات التي يطالب بها سلطان عمان حوالي عشر الاف جنيه انكليزي .

Lorimer J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 180, 208, Part. IB, P. 1287, 1320, 1331.

(١٣٦) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٠ .
ويذكر الشيخ رسول الكركوكلي ان المواد الغذائية نفدت ، واضطر الناس الى اكل لحوم الحيوانات المحرمة وكل وماوصلت اليه ايديهم (دوحة الوزراء ص ١٥٥) وانظر كذلك ابن الفملاس : ولاة البصرة ومتسلموها ، ص ٦٧ ومحمد خليفة النبهاني : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٢٨٧ .

(١٣٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٥ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص٤٦ ابن الغملاس : ولاة البصرة ومتسلموها ، ص ٦٧ .

(١٣٨) لونكريك : اربعة قرون ، ص ٢٣٠ .

وفي السادس عشر من نيسان ١٧٧٦ م تم استيلاء الفرس على البصرة ، فقد دخلت المدينة قوة مؤلفة من ستة آلاف جندي ، ارسلها صادق خان تحت قيادة ابنه علي نقي خان وعلي محمد خان ليتسلما المدينة(١٣٩) ، بعد حصار دام اكثر من عـام(١٤٠) .

ولم يلبث ان دخل صادق خان مدينة البصرة في ٢١ نيسان دخولا رسميا تصحبه قوات كبيرة ، احدثت الفوضى وهي تبحث عن مسـاكن تنزل بها ، الامر الذي ارغم العديد من السكان على اخلاء بيوتهم ومغادرتها(١٤١) . ولم يحترم الفرس تعهدهم ، فآذوا السكان واستباحوا الحـرمات(١٤٢) ، واسروا المتسلم ورجال حكومته وارسلوهم الى شيراز(١٤٣) .

وقد اطنب المؤرخ البصري ابن سند في ذكر المظالم التي انزلها صادق خان في البصرة ، حيث قال عنه ما نصه :

« ... فدخل البصرة بعسكره وهتكها وفضحها ، ولم يبق ماثما الا ارتكبه هو وقومه ، ولم يف بشى مما وعد به من العهود ، وما ترك نوعا من الظلم الا تجشمه ، افعال ولا افعال التتار »(١٤٤) .

---

(١٣٩) Selections from State Papers, P. 298.

(١٤٠) يخطىء الكركوكلي حين يقول ان مدة الحصار كانت اربعة عشر شهرا. (دوحة الوزراء : ص ١٥٤ـ١٥٥)

(١٤١) Selections from State Papers, P. 298-9.
اما لونكريك فيقول : ان الفرس دخلوا البصرة بكل انتظام ، ولم يسمع حصول أي عنف ولا فوضوية عند الدخول . (اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٠)

(١٤٢) يقول برسي سايكس ان الفرس عاملوا السكان بعدل .
Sykes, P.: Op. Cit., II, P. 281.

(١٤٣) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٥ ، بن الغملاس : ولاة البصرة ، ص ٦٧ ، تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٦ .

(١٤٤) عثمان بن سند البصري الوائلي : مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود ، مخطوط ورقة ٢٦ . وقد اختصره امين بن حسن الحلوانـي المدني بعنوان «خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق » القاهرة ١٣٧١هـ

وفيما يتعلق بممتلكات شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فان القائد صادق خان لم يتعرض لها ، وكان كريم خان الزند قد تعهد بحمايتها .

الفارسي وصل الى البصرة وليم لاتوش William Latouche الذي كان احد اعضاء مجلس الوكالة الانجليزية فيها ، ليشغل منصب الوكيل الانجليزي في البصرة ، ومعه بقية جهاز الوكالة ، حاملين معهم هدايا لصادق خان وللشيخ ناصر حاكم بوشهر ، الذي بقي في البصرة مع اسطوله(١٤٥) . وكان ادوارد جالي ـ احد الموظفين بشركة الهند الشرقية ـ والذي كان يرعى مصالح الشركة في البصرة ، قد اوصاهم في رسالة خاصة بضرورة جلب هدية لصادق خان ، واخرى الى الشيخ ناصر ، منوها بأن تلك هي الخطوة الوحيدة التي تحفظ املاك الشركة والبضائع الانجليزية هناك(١٤٦) .

وبعد ما تم الاحتلال واحكمت سيطرة الفرس على المدينة ، غادر القائد الفارسي صادق خان البصرة عائدا الى شيراز ، بعد ان اناب عنه في القيادة على محمد خان احد قواده ، تاركا معه قوة تقدر بأثنى عشر ألف جندي(١٤٧) .

الدولة العثمانية تعلن الحرب رسميا على بلاد فارس :

وكان لسقوط البصرة في ايدي الفرس صدى قويا في القسطنطينية ، وقرر المجلس العام للدولة اعلان الحرب على بلاد فارس ، وصدرت فتوى بذلك من دار المشيخة الاسلامية(١٤٨) . لكن اعلان الحرب لم يكن له اي تأثير على الموقف ، فالدولة العثمانية كانت تواجه مشاكل خطيرة في اوربا ، بالاضافة الى اضطراب الاوضاع في العراق ، ذلك الاضطراب الذي كان سببا مهما في بقاء البصرة بأيدي الفرس زهاء ثلاثة أعوام (١٧٧٦ ـ ١٧٧٩) .

---

(١٤٥) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1813.

(١٤٦) Selections from State Papers, PP. 298-9.

(١٤٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٥و١٦٧ ، بن الفملاس : ولاة البصرة ومتسلموها ، ص ٦٧ .

(١٤٨) قدمت الحكومة العثمانية استفتاء الى شيخ الاسلام على الشكل الاتي: «لقد ادعى زند الشقي حقه في وكالة الحكم على الاعجام وكون لــه

وكانت سياسة الباب العالي ازاء مشاكل العراق ، قد اثارت القوى المحلية في بغداد فان تعيين باشوات عثمانيين لا يثق بهم البغداديون لكفيل بثورة الاهالي وبثورة المماليك الذين ادركوا بعد مقتل زعيمهم عمر باشا والي بغداد، نيات الدولة العثمانية في القضاء على حكمهم في العراق، فاندلعت ثورة مملوكية بزعامة عبدالله أغا الكهية[149] ، الذي سيطر على اواسط العراق جميعه ، واخذت قواته تحاصر بغداد[150] ، وفشل الباشا العثماني مصطفى الاسبيناقجي في اخماد الثورة ، كما فشل في انقاذ البصرة من الفرس ، مما جعل الباب العالي يصدر فرمانا بعزله ، فهرب الى ديار بكر ، وهناك اعدم بأمر السلطان بعد ان وردت عنه الى الباب العالي تقارير عديدة تثبت تسببه في ضياع البصرة بتواطئه مع الفرس[151] .

وازاء الوضع المتدهور في العراق ، تخلى الباب العالي عن فكرة القضاء على الحكم المملوكي ، وصدر فرمان باسناد باشوية بغداد الى عبدالله أغا ، الشخصية المملوكية التي تزعمت الثورة ، والتي يجمع عليها المماليك واولو الرأي من علماء واعيان بغداد[152] .

عصابة من اللصوص والمجرمين . وشرع يهاجم بلاد المسلمين واستولى على احدى القلاع الاسلامية وفتك بارواح اهلها ، وخرج على طاعة حضرة الباد شاه (السلطان) مما جعله تحت طائلة العقاب بموجب الاية الكريمة (فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله) وعليه فبموجب هذا النص الكريم الا يكون قتاله فرضا واستخلاص الاهلين من جوره وبغيه ؟ الجواب نعم وينصر الله سلطان الدولة على اعداء الاسلام» .

انظر تاريخ جودت : جـ٢ ، ص ٤٦ والملحق ٣ في الصفحة ٢٤١ .

(١٤٩) كهية — (تركية) تحريف كلمة كتخدا الفارسية . وتعني بوجه عام الموظف الكبير ، ثم اصبحت تعني الوزير الاول في حكومة الولاية التي يحكم فيها باشا من الباشوات .

انظر لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٥ .

(١٥٠) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٦ ، تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٦ لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(١٥١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٦ .

(١٥٢) تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٤٦ .

وقد انتقد والي طرابزون في تقرير كتبه سنة ١٧٧٦ م (١١٩٠ هـ) وسماه (تذكرة التاريخ) ما كانت تفكر به الدولة العثمانية تجاه مماليك العراق من محاولة ابعادهم عن الحكم واحلال الاتراك محلهم ، فهو يرى ان خطــورة الاوضاع التي يعيشها العراق تتطلب حشد كل الطاقات العثمانية والمملوكية ، فهناك جيش اجنبي يحتل البصرة ، وهناك ثورات عشائرية عربية وكردية[١٥٣] .

ولكن من تولى باشوية بغداد ، بعد الاسبيناقجي ، حتى سنة ١٧٧٩ م (١١٩٣ هـ) حيث تخلى الفرس عن البصرة ، لم يعمل اى منهم على انقاذ هذه البلدة ، رغم الاوامر التي كانت تتوارد اليهم من القسطنطينية ، وذلك بسبب انصراف كل واحد منهم الى تعزيز مركزه ومحاربة منافسيه[١٥٤] .

لقد كانت الخطة العسكرية للدولة العثمانية تستهدف فتح جبهة حربية على حدود العراق الشمالية ، بغية اشغال الفرس وتوجيه قواتهم اليها لغرض تسهيل مهمة انقاذ البصرة ، ولهذا اصدرت اوامرها الى حسن باشا[١٥٥] والي كركوك بأن يتولى جبهة كردستان ، واوعزت الى عبدالله باشا والي بغــداد بوجوب القيام بمهمة اخراج الفرس من البصرة اثناء ذلك[١٥٦] . واهاب الباب العالي بكل منهما ببذل اقصى الجهود للدفاع عن العراق وطرد الجيش الفارسي المحتل ، وارسل اليهما خمسمائة كيس[١٥٧] من النقود لسد نفقات الحرب ، وصدرت الاوامر بتجهيز بغداد باللوازم العسكرية الضرورية[١٥٨] .

---

(١٥٣) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، ص ٥٦ـ٥٨ .
(١٥٤) للتفاصيل ، انظر الكركوكلي : المصدر السابق ص ١٥٠ـ١٦٢ .
(١٥٥) كان حسن باشا من المماليك ، وقد شغل منصب كتخدا بغداد خلال الفترة (١٧٥٠ ـ ١٧٦٢م) .
(١٥٦) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٧ .
(١٥٧) الكيس : وحدة مالية تساوي خمسمائة قرش فضة ، لكن هذا السعر غير ثابت لكثرة تغيير قيمة العملة من وقت لاخر .
العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، ص ١٣٩ .
(١٥٨) يورد جودت التفصيلات التامة عن الجيش الكبير الذي صدرت الاوامر بتشكيله وجمعه لهذا الغرض ، لكن هذا الجيش لم يجمع منه شيء على مايبدو .
(تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٤٧ ـ ٤٨) .

وقد شرع حسن باشا والي كركوك بتنفيذ هذه الاوامر ، وبدأت المصادمات مع القوات الفارسية المرابطة على حدد العراق الشرقية ، وتم دحرها عدة مرات[159] ، وعندئذ سير كريم خان الزند جيشا نحو كردستان تولى قيادته خسرو خان حاكم اردلان ، وعند وصوله موقع يقال له (سطرنجان) بين الحدود العراقية الفارسية ، نشبت معركة عنيفة ، اسفرت عن هزيمة القوات الفارسية وتكبدها خسائر فادحة في الارواح والمعدات[160] .

ولما بلغ كريم خان الزند خبر اندحار قواته ، جهز حملة قوامها اثنا عشر الفا بقيادة علي خان اللري ، لمواصلة القتال في كردستان . وعند توغل القوات الفارسية في الاراضي العراقية ، تقهقرت القوات العثمانية التي وجدت نفسها عاجزة عن مقابلة هذه القوات الضخمة ، وعجل والي كركوك قائد جبهة كردستان بطلب النجدة من بغداد فلم يلتفت الى طلبه ، ثم اقترح علي باشا بغداد ان يوعز الى كتخداه اسماعيل أغا - الذي كان معسكرا في اطراف مندلي -ان يتقدم بقواته الى كردستان للاستعانة بها في صد القوات الفارسية الزاحفة فتلكأ عن ذلك[161] .

ولما لم يجد الفرس أمامهم ما يحول دون مواصلة زحفهم على كردستان ، تقدموا وامعنوا في ضرب القرى والمناطق الكردية واسر اهلها ، فتصدى الاكراد البابانيون لهم وارغموهم على الانسحاب[162] .

(١٥٩) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٥٧-١٥٨ ، عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ورقة ٣٢ .
(١٦٠) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٨ .
(١٦١) نفس المصدر ، تاريخ جودت ، جـ٢ ص ٥٥ .
(١٦٢) نفس المصدر ، ص ١٥٨-١٥٩ ، محمد امين زكي : تاريخ السليمانية، ص ٨٥ - ٨٦ .

وبالرغم من اندلاع الحرب في جبهة العراق الشمالية ، وانشغال القوات الفارسية هناك ، فان باشا بغداد تلكأ في تنفيذ الخطة المقررة[١٦٣] ، ونسى الواجب الذي ألقى على عاتقه ، وهو واجب انقاذ البصرة من الاحتلال الفارسي ، ويبدو ان معتمد الولاية الخزنة دار محمد بك[١٦٤] ، العجمي الاصل ، هو الذي اشار عليه بالتريث ، وكان هذا يعد المستشار الخاص له ، وقد ظهر بعدئذ ان هناك اتصالات سرية بينه وبين الفرس[١٦٥] لا يعلم بها الباشا لانصرافه الى اللهو والملذات[١٦٦] .

وقد كتب عنه رسول الكركوكلي ، وهو رجل عاصر هذه الاحداث ، يقول : « عندما وصل عبدالله باشا الى بغداد كان الاعتقاد السائد لدى الخاص والعام بأن هذا الرجل هو الذي سينقذ البصرة من ايدي الاعجام ، ولكن

---

(١٦٣) تاريخ جودت ، جـ٢ ، ص ٥٥ ، عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٣٢ .

(١٦٤) كان محمد بك الذي عرف بين البغداديين باسم (عجم محمد) قد جاء الى بغداد في ايام ولاية سليمان باشا ابي ليلة (١٧٥٠–١٧٦٢م) ، وكان اذ ذاك شابا امرد ، جميل الصورة تصحبه امه واختاه اللتان كانتا على جانب عظيم من الجمال . فالف عجم محمد جوقا موسيقيا منه ومن اسرته ، فكانت اختاه ترقصان وامه تنقر الدف وهو يغني ، فراجت في بغداد بضاعته وافتتن الناس بجمال اختيه لاسيما كبار رجال الحكومة ، وصار يتوسط للناس في قضاياهم ، وبمرور الايام استطاع ان يستحوذ على الوالي عمر الباشا حتى غدا نفوذه ممتازا فعينه دويدارا (حامل الدواة) في حكومة الولاية . ولما قتل عمر باشا وتولى مصطفى باشا الولاية من بعده ، تمكن عجم محمد بدهائه من السيطرة عليه ، واصبح موضع ثقته ، ثم ولاة منصب الخزنة دار . وفي عهد الوالي عبدالله باشا جمع ثروة كبيرة مستغلا منصبه امينا للصندوق ، ثم اخذ يطمح اولا لمنصب الكتخدائية ، ومن بعد ذلك كان يرى نفسه سيد الباشوية نفسها .
عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٣٤–٣٩ .

(١٦٥) نفس المصدر ، ورقة ٣٨ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢٢١ .

(١٦٦) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٩ .

الموما اليه بالنظر لجبلته الميالة الى الانس والطرب فقد انغمس في الملذات بشجيع من معتمد الولاية محمد بك العجمي ، ونسى المهمة المكلف بها »[١٦٧].

لقد استاء الباب العالي من تدهور الاوضاع في العراق ، وبقاء البصرة في ايدي الفرس ، فأرسل مبعوثا الى بغداد هو سليم سري افندي ـ احد رجال السلطان ـ الذي وعد بانقاذ البصرة . اما اهالي بغداد ، الذين سئموا حكم الباشوات الضعفاء ، فقد تلقوا نبأ قدوم مبعوث الباب العالي بكل سرور[١٦٨]، الا ان الامال التي علقت على قدومه سرعان ما تلاشت . فقد كان هو الاخر مولعا باللهو ، ووقع تحت تأثير باشا بغداد ومعتمد الولاية اللذين لم يستسيغا الحرب[١٦٩] .

وفي اجتماع عقد في بغداد ترأسه الوالي والمبعوث العثماني ، وحضره اعيان بغداد ووجهاؤها للتداول في أمر الحرب مع الفرس ، تقرر السعي سلميا لانهاء الاحتلال الفارسي للبصرة ، وتم ايفاد محمد بك الشاوي[١٧٠] الى العاصمة الفارسية ، للتباحث مع كريم خان الزند حول اخلاء البصرة من قواته[١٧١] .

غير ان الباشا قد ادركته المنية وقامت بعد وفاته حرب اهلية بسبب التنافس على كرسي الباشوية[١٧٢] . وعندما عاد محمد بك الشاوي من شيراز،

---

(١٦٧) دوحة الوزراء ، ص ١٥٩ .

(١٦٨) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢١ .

(١٦٩) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ـ١٦٠ .

(١٧٠) كان محمد بك الشاوي يشغل منصب (رئيس باب العرب) اي الموظف العربي في ديوان الوالي الذي تراجعه العشائر في شؤونها مع الحكومة وكثيرا ما كان يشغل هذا المنصب افراد من اسرة الشاوي . انظر : تراجم الشاوية ، مخطوط ورقة ٢و٣ .

(١٧١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٥٩ ، عثمان بن سند : مطالع السعود ، ورقة ٤١ .

(١٧٢) تنافس على الحكم عجم محمد والكتخدا اسماعيل اغا ، وراح كل منهما يسعى لجمع الاصحاب والاشياع ، وقد وقفت محلات الميدان ←

الى معه رسول فارسي هو حيدر خان مبعوثا من كريم خان الزند(١٧٣) وحاملا كتابا موجها الى باشا بغداد(١٧٤) . غير ان وفاة هذا الباشا وخلو كرسي الباشوية ممن يشغله ، ادى الى افشال مهمة حيدر خان ، خصوصا وان البلد اصبحت في حرب اهلية دامت خمسة اشهر(١٧٥) ، وبقيت البصرة بايدي الفرس .

وفي خضم هذه الاحداث، اسند الباب العالي ولاية بغداد الى حسن باشا والي كركوك ، الذي كان قد ارسل الى القسطنطينية تقريرا مفصلا شرح فيه الفوضى الضاربة أطنابها في بغداد ، ومبديا استعداده للقضاء عليها(١٧٦) .

وقد تمكن الباشا الجديد الذي تولى مسئولياته في مايس ١٧٧٨ م(١٧٧) (١١٩٢ هـ) ، من تهدئة الحالة ، الا ان الفوضى سرعان ما عادت من جديد ، ليس في بغداد فحسب ، بل في كردستان ايضا بسبب تنازع امرائها(١٧٨) . واخذ مركز الباشا يزداد تقلقلا يوما بعد آخر ، بعد ان ظهر الخصوم في الميدان(١٧٩) . أما المبعوث السلطاني سليم سري افندي ــ الذي سئم الشغب ــ فقد غادر

والهدية والقراغول والفضل ورؤساء الانكشارية الى جانب عجم محمد بينما وقفت محلات رأس القرية وباب الشيخ والشورجة وماجاورها ومعظم المماليك الى جانب اسماعيل اغا . الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ١٦٠ .

ويقول لونكريك ان القوات المحلية ايضا قد اتبعت من كان يدفع لها مالا اكثر من الثاني . (لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٢) .

(١٧٣) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(١٧٤) تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٨٩ ، لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٢٢١

(١٧٥) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(١٧٦) الكركوكلي دوحة الوزراء ص ١٦٣ ، وانظر عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ورقة ٤٨ .

(١٧٧) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٢ .

(١٧٨) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ، تاريخ جودت ، ج٢، ص٨٩ .

(١٧٩) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٢٣ .

بغداد قاصدا القسطنطينية ، ولدى وصوله ديار بكر وجد امرا من السلطان في انتظاره ، وكان يقضي بحبسه فقبض عليه وسجن ، ثم جاء أمر السلطان باعدامه فنفذ الامر به[١٨٠] ٠

وهكذا ساهمت الاوضاع المتردية في العراق مساهمة فعالة في تمكين الفرس من تشديد قبضتهم على البصرة ، لا سيما وانهم لم يجدوا في العراق حكومة قوية حازمة تفكر في اخراجهم منها ٠

لقد كانت البصرة ، في الوقت الذي يتنافس فيه المتنافسون على تولي السلطة في بغداد ، تذوق الامرين من وطأة الاحتلال الفارسي ٠ ولو لم يكن اهلها منحطي القوى وخائري العزائم لحدثت ثورة تقضي على الحكم الفارسي، فقد يأس الجميع من أمل النجدة التي كانوا يتوقعونها من بغداد ، ومن اشاعات الصلح المعقود مع بلاد فارس ٠ وعلى هذا لم يبق في نفوس اهل البصرة الا بصيص أمل كان معلقا بالقبائل المجاورة ٠

وكانت المنتفق في هذه الاثناء تقف بالمرصاد لضعف او وهن تستغلها في الفرس وقد ادى بغض الشيخ ثامر شيخ المنتفق للفرس ومقته لهم ، وليس ولاؤه للعثمانيين ، الى اقدامه على تدبير الخطط وحبكها لتحرير البصرة[١٨١]، وبدأت المننتفق تسبب المتاعب للغاصبين ، مما حملهم على التهيوء والاستعداد لغزو العشيرة المذكورة[١٨٢] ٠

وفي سنة ١٧٧٧ م (١١٩١ هـ) توغلت قوات فارسية في بلاد المنتفق وشنت هجوما عليها فتصدى لها رجال المنتفق ، ودارت معركة عنيفة في مكان يقال له (الفضيلة) غرب نهر الفرات ، اسفرت عن اندحار الفرس وتكبدهم خسائر فادحة[١٨٣] ٠

(١٨٠) عثمان بن سند : المصدر السابق ، مخطوط ورقة ٥٤ ٠
(١٨١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣١-٢٣٢ ٠
(١٨٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦٧ ٠
(١٨٣) عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٢٧ ٠

واذ ذاك قام الفرس في اوائل سنة ١٧٧٨م بشن هجوم واسع عنيف على مدينة الزبير ، التي تبعد حوالي ثمانية عشر كيلو مترا عن البصرة ، فاحرقوا بيوتها وذبحوا عددا كبيرا من اهلها ، ثم تقدموا الى قرى كويبدة - على بعد عدة كيلو مترات من الزبير على طريق القوافل الى حلب - ففعلوا بها الشيء نفسه[١٨٤] .

وانذر القائد الفارسي علي محمد خان ، شيخ المنتفق ثامر السعدون ، بأن ينزل على طاعته ويذعن لاوامره ، ولكن الشيخ المذكور أبى كل الاباء واعلن استعداده لمحاربته . وعندئذ تحركت من البصرة قوة فارسية كبيرة[١٨٥] يقودها علي محمد خان مع ثمانية عشر زورقا تحمل المدافع ، للهجوم على المنتفق ، تاركا احد قواده وهو محمد حسين خان السستاني محافظا في البصرة مع الفي جندي[١٨٦] .

وعند (أبى حلانه) على بعد سبعة وعشرين كيلو مترا من البصرة ، حيث كان عدد ضخم من رجال المنتفق بانتظار وصول القوة الفارسية ، دارت معركة عنيفة بين الطرفين ، اضاع فيها القائد الفارسي حياته وجيشه بأجمعه

---

(١٨٤) Capper, J.: Observations on the Passage to India, through Egypt, and a Cross the great desert, PP. 81-3.
كان كبر قد مر بالزبير سنة ١٧٧٨م وقد اعطى وصفا لما اصابها من الدمار .

(١٨٥) يذكر الكركوكلي ان تعداد القوة الفارسية كان عشرة الاف جندي . (دوحة الوزراء ، ص ١٦٧) .
اما لونكريك فيقول ان القوة الفارسية كانت تتكون من ستة الاف جندي (اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٢) .

(١٨٦) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص٩١
لونكريك المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

تقريبا[187] . ويعلق الكولونيل جيمس كابر Capper الذي كان موجودا في البصرة آنذاك[188] ، على هذه الاحداث بقوله :

« من هذه الحوادث نستطيع ان نفهم ان الفرس لم تكن لهم اية سيطرة خارج اسوار مدينة البصرة »[189] .

الانسحاب الفارسي من البصرة عام ١٧٧٩م :

لقد كان لابادة الجيش الفارسي في هذه الموقعة اثرها الكبير على الاخوين كريم خان الزند وصادق خان ، فما ان وصلت الاخبار الى شيراز حتى اذهلتهما ، ودفعت بصادق خان الى الاسراع في اعداد قوة كبيرة اتجه على راسها نحو البصرة[190] . وعند وصوله حاول فتح باب المفاوضة مع المنتفكيين ، ولكن لم يجب بشيء[191] .

وفي الثاني من آذار ١٧٧٩ م (١٣ صفر ١١٩٣ هـ) توفي كريم خان الزند ، فسادت الفوضى بلاد فارس ، ونشبت حرب اهلية فيها ، الامر الذي اضطر صادق خان ، وقد بان أمامه شبح النزاع على العرش ، الى سحب جميع

---

(١٨٧) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦٧ ، عثمان بن سند : مطالع السعود ، مخطوط ، ورقة ٣١ .
ويذكر لونكريك ماوقع بين الجيش الفارسي والمنتفق بصورة مربكة فيورد هزيمة الفرس ومقتل قائدهم محمد علي خان في ابي حلانة على انها احداث معركة الفضيلة ، بينما معركة الفضيلة حدثت قبل ابي حلانة ، ولم تكن حوادثها كما سردها بل ان ماسرده من معلومات عن مقتل محمد علي خان وفناء الجيش الفارسي ، هو ماحدث في ابي حلانة في نهاية سنة ١٧٧٨م .
(لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٢)

(١٨٨) كان كابر قد وصل البصرة من حلب في كانون الاول سنة١٧٧٨م ،وتلقي يومياته بعض الضوء على علاقة الفرس - اثناء احتلالهم البصرة - بكل من اهل المدينة انفسهم وبالعرب فيما جاورها .

(١٨٩) Capper, J.: Op. Cit., P. 85.

(١٩٠) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦٨ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٩١

(١٩١) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٢ .

البصرة والتخلي عنها[192] . وارسل الى الشيخ درويش والملا احمد - نوابه من متسلم البصرة السابق - يبلغهما بانه مضطر ، بالنظر لموت كريم خان ، الى مغادرة البصرة الى شيراز ومعه الحامية الفارسية كلها ، ووعدهما بتسريح المتسلم سليمان أغا[193] ، وكان قد اخذ اسيرا الى شيراز كما سبق القول .

وفي التاسع عشر من آذار غادر صادق خان البصرة مع آخر جزء من قواته ، وعبر الى الضفة الشمالية لشط العرب ، وفي اليوم التالي غادرت سفن الاسطول الفارسي ميناء البصرة عائدة الى موانيها[194] .

وبذلك انتهى الاحتلال الفارسي للبصرة ، الذي كان مهينا للعثمانيين ، واستعادت الدولة العثمانية - بدون بذل اي مجهود - واحدة من اكثر ولاياتها اهمية .

وعلى اثر الانسحاب الفارسي ، امر زكي خان ، شقيق كريم خان لاحد والديه ، والذي تولى الحكم من بعده[195] ، باطلاق سراح متسلم البصرة سليمان أغا وزملائه الاسرى الموجودين في شيراز ، وعينه حاكما للبصرة[196] كما لو كانت هذه المدينة من ممتلكاته .

غير ان الشيخ ثامر ، شيخ عشائر المنتفق ، الذي فرض سيطرته على مدينة البصرة بعد انسحاب الفرس منها ، عارض في اعادة سليمان أغا الى حكم البصرة ، بسبب ما كان بينهما من تنافر . وعندئذ بعث سليمان أغا بخطاب الى باشا بغداد يخبره باطلاق سراحه ويلتمس منه ان يعيده متسلما للبصرة

---

(192) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦٨ ،
Malcolm, J.: Op. Cit., Vol. II, P. 81.
(193) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1269.
(194) Ibid.
(195) يخطىء ياسين العمري حين يقول ان الذي تولى الحكم بعد كريم خان الزند هو ولده (رحمان خان) وهو الذي اطلق سراح سليمان اغا متسلم البصرة السابق .
(غاية المرام ، ص ١٨٨)
وانظر لنفس المؤلف ، زبدة الاثار الجلية ، ص ٢٤٠ .
(196) الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ص ١٦٨ ، لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٢٣٤ .

كالسابق[١٩٧] ، كما كتب الى السلطان مذكرا اياه بما قاساه في الاسـر من الشدائد والمحن[١٩٨] .ولما كانت لعشائر المنتفق سطوتها في منطقة البصرة ، فقد رفض الباشا التماس سليمان اغا[١٩٩] .

وفي هذه الاثناء وقعت الحرب بين قبيلتي المنتفق والخزاعل ، وقتل خلالها الشيخ ثامر ، وتولى المشيخة بعده ثويني العبدالله ، الذي كان صديقا لسليمان اغا ، فطلب تعينه متسلما للبصرة[٢٠٠] . وقـد ورد الفرمان السلطاني مـن القسطنطينية باسناد البصرة اليه[٢٠١] ، وقيل ان القنصل البريطاني في شيراز قد توسط له ايضا[٢٠٢] .

الاثار المترتبة على الاحتلال الفارسي للبصرة :

وعندما انتهى الاحتلال الفارسي ، كانت البصرة تبدو وكأنها مدينـة خربة ، وقد اقفرت من سكانها وخمدت الحياة التجارية فيها ، بعد ان كانت تعتز بكونها مدينة ثرية مكتظة بالسكان ، وبكونها ميناء بحريا مزدهرا بسبب ما تتمتع به من موقع جغرافي ممتاز له اهميته التجارية[٢٠٣] .

---

(١٩٧) الكوكولي : دوحة الوزراء ، ص ١٦٨ ، تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ٩٣ منصوري زادة : نتائج الوقوعات ج٤ ، ص ١٦ .

(١٩٨) عثمان بن سند : مطالع السعود ، ورقة ٦٤ ، ابن الغملاس : ولاة البصرة ومتسلموها ص ٦٩ .

(١٩٩) الكركوكلي : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٢٠٠) الكركوكلي دوحة الوزراء ، ص ١٦٩ .

(٢٠١) عثمان بن سند : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ ، تاريخ جودت ج٢ ، ص ٩٣ . نص الفرمان على ان يكون سليمان اغا خاضعا للباب العالـي مباشرة لا لباشوية بغـداد .

Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1271.

(٢٠٢) سليمان فائق : تاريخ بغداد ص ١٧ ، تاريخ المماليك ص ٣١ .

(٢٠٣) Report on the Commece of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harford Jones, 15 August, 1790, (Selections from State Papers, Appendix F. PP. 404-434).

كان صاموئيل مونستي يشغل منصب المقيم البريطاني في البصرة ، ويشاركه في المقيمية هارفورد جونز الذي تولى في سنة ١٧٩٨م وظيفة المعتمد البريطاني في بغـداد .

ويذكر الكولونيل كابر، الذي وصل البصرة في الثامن عشر من كانون الاول ١٧٧٨ م، انه وجد البصرة يخيم عليها الوجوم، وخيل اليه ان عدد سكانها لا يزيد على ستة آلاف نسمة بما فيهم القوات الفارسية والشوارع الرئيسية اشبه بالمدافن(٢٠٤).

وقد كان للاحداث السيئة التي تعرضت لها خلال الفترة ١٧٧٥ - ١٧٧٩ م، اثرها في انكماش تجارتها وفي وضعها التجاري. فقد شل الحصار الذي ضربه الفرس حولها الحياة الاقتصادية فيها، وبعد استيلاء الفرس عليها تلقت تجارتها اكبر الضرر، من جراء الظلم الغاشم والابتزاز التي قام به الفرس، والذي ادى الى فرار الكثيرين من التجار وقسم كبير من الاهلين الى مختلف الجهات. ونتيجة لهذه الحالة، كانت البصرة في عامي ١٧٧٩ و ١٧٨٠ تبدو وكأنها قرية كبيرة لا مدينة غنية ناشطة ولا ميناء بحريا مزدهرا، وهي التي كانت تزهو من قبل بأنها احق المدن بذلك اللقب دون منازع(٢٠٥).

وكان لتدهور التجارة البصرية الاثر السيء على تجارة بغداد التي تعتمد اعتمادا كبيرا على تجارة البصرة نفسها(٢٠٦)، فقد انقطعت الصلات بينها وبين انحاء العراق طيلة فترة الحصار والاحتلال، وتوقف سير القوافل التجارية الكبيرة التي كانت تخرج منها الى سوريا وبغداد، واخذت الكويت والزبارة(٢٠٧) محل البصرة في هذا الشأن، فأصبحت الكويت محطة رئيسية للقوافل التي تعبر الصحراء(٢٠٨)، وتركزت في الزبارة - الى حد كبير - تجارة

---

(٢٠٤) Capper, J.: Op. Cit., P. 85.

(٢٠٥) Report on the Commerce of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harford Jones, 15 August, 1790.

(٢٠٦) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1243.

(٢٠٧) الزبارة : ميناء بحري على الساحل الغربي من الخليج، وهو في يد عرب من قبيلة بني عتبة.

(٢٠٨) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IA, P. 147; Part. IB, P. 1001, 1003-4.

عبدالامير امين القوى البحرية ص ٧٤ .

اللؤلؤ وتجارة شرق الجزيرة مع الهند بشكل عام(٢٠٩) • كما ان البضائع المشحونة لحساب شركة الهند الشرقية من الهند الى حلب ، والتي كان من الممكن ان تنقل الى بوشهر فالبصرة ، اصبحت في ذلك الوقت تفرغ في الزبارة او في الكويت ومنها تحملها القوافل الى حلب متجنبة البصرة(٢١٠) • ومع كل ذلك ، فان موقع البصرة العظيم جعلها تسترد مكانتها مرة اخرى خلال بضعة سنوات ، وعادت الى ما كانت عليه من ازدهار اقتصادي •

ومنذ سنة ١٧٨٠ م اخذت البصرة في الانتعاش فازداد عدد سكانها تدريجيا ، وعاد اليها بعض التجار الذين هجروها ايام الحصار والاحتلال ، وبدأ كثير من تجارها يقومون بعمليات الاستيراد • واخذت السفن الانجليزية ، وتلك التي يملكها التجار الهنود ، تتردد عليها مرة اخرى ، كما اخذ تجار القسطنطينية ودمشق وحلب واورفه وديار بكر والموصل وبغداد يرتادونها ، فرفعت التجارة رأسها المنكس(٢١١) •

وقد كشفت النكبات التي حلت بالبصرة ، وتضافرت عليها لتخريبها ، عن اهمية بناء قوة بحرية رادعة تتناسب واهمية البصرة كميناء بحري ، ذلك ان اى ميناء لا يمكن ان يصبح ذا اهمية الا اذا كانت الحكومة فيه معوانا لاهل التجارة • وهو ما تنبه اليه باشوات بغداد بعد عملية الغزو الفارسي للبصرة ، وخصوصا بعد ان تخلى الانجليز عن مساعدتهم البحرية • فقد كانت قوة البصرة البحرية لا تتعدى اسطول صغير يتولى قيادته على الاكثر البحارة الاوربيون •

---

(٢٠٩) Ibid, Vol. I, Part. IB, P. 787.

(٢١٠) ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جا ، ق١ ، ص ١٧٠ ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص ١٢٨ .

(٢١١) Report on the Commerce of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harford Jones, 15 August, 1790.

وقد بذل سليمان باشا الكبير الذي تولى باشوية بغـــداد (١٧٨٠ – ١٨٠٢) جهودا كبيرة في بناء قوة بحرية فعالة ، اذ كان متسلما للبصرة ابان الغزو الفارسي لها ، فهو بطبيعة الحال اكثر ادراكا ممن سبقه من الباشوات لاهمية القوة البحرية . فتقدم في سنة ١٧٧٩ م بطلب الى حكومة بومباي للحصول على بعض السلاح والعتاد ، وقد تسلم خـــلال ١٧٨٢ – ١٧٨٣ ، (١٢٠٠) قطعة من السلاح وكمية كبيرة من البارود والذخيرة وقنابـــل المدافع . كما سلمت اليه في البصرة ست سفن حربيـــة صغيرة صممت في بومباي . كما امدته حكومـــة بومبـــاي في سنتي ١٧٩٨ و ١٧٩٩ بكثير من الاسلحة والذخيرة ، واجيب طلبه بارسال بعض رجال المدفعية ، حيث ارسل له مدربين اثنين وصلا البصرة في آب ١٧٩٩ م(٢١٢) .

وواصل باشوات بغداد من بعده ، الجهود في دعم القوة البحرية ، غير ان الصعوبات التي كانت تواجههم في هذا المجال حالت دون تمكنهم مـــن تكوين اسطول قادر على ان يلعب دورا في الخليج العربي وفي حماية الملاحة في شط العـــرب .

فقد رفض الانجليز الاستمرار في دعم قوة العراق العسكرية ، بعد ان ظهر ولاة لم يتقبلوا ما وصل اليه الانجليز من نفوذ في البلاد . فقد رفضت حكومة بومباي عدة طلبات تقدم بها داود باشا والي بغداد لتزويده ببعض الضباط المتخصصين في مختلف المجالات العسكرية والحربية ، وكذلك صنع ثلاث سفن من احجام مختلفة تبلغ حمولة كبراهن ٦٠٠ طن وعليهـــا ٤٨ مدفعا ، وتزويده بالعتاد اللازم لثلاثة آلاف جندي من المشاة(٢١٣) .

---

(٢١٢) Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1276, 1292.

(٢١٣) Ibid, P. 1317.

وانظر كذلك لونكريك اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ص ٢١٣ – ٢١٤

وكان باشا بغداد قد اعلن عن استعداده لدفع تكاليف هذه الصفقة الضخمة حالا وصرف أجور مرتفعة لهؤلاء الضباط والخبراء اثناء عملهم • وقد بني الرفض على اساس احتمال ان يستغل الباشا هذه الصفة للتمرد على السلطان(٢١٤) • والواقع ان حكومة بومباي كانت ترى في ازدياد قوة باشا بغداد ما يهدد المصالح الانجليزية في العراق •

الحكم القاجاري في بلاد فارس :

وعلى اثر وفاة كريم خان الزند ، بدأ صراع عنيف حول العرش بين افراد الاسرة الزندية(٢١٥) ، الامر الذي اضعفها ومهد للقارجابين – الذين كانوا خصما للزنديين – للوصول الى السلطة • فقد اخذ الزعيم القاجاري أغا محمد خان(٢١٦) يشن هجماته على الزنديين ، وتمكن خلال فترة الفوضى التي عمت بلاد فارس مدة عشر سنوات (١٧٧٩ – ١٧٨٩) من الاستيلاء على الاقاليم الشمالية والشمالية الغربية(٢١٧) • وفي سنة ١٧٩١ م (١٢٠٦ هـ) استولى على شيراز مقر السلطة الزندية ، فكان ذلك ايذانا بانتهاء حكم الزند في بلاد فارس ، التي اصبحت بأسرها سنة ١٧٩٥ م (١٢١٠ هـ) في حوزة القاجار(٢١٨) ، فكان هذا بداية حكمهم لها الذي استمر حتى ما بعد الحرب العالميـــة الاولى •

---

(٢١٤) Ibid.

(٢١٥) عن هذا لصراع انظر :
Waring, E.: Atour To Sheeraz, PP. 261-5.
تاريخ جودت ، ج٢ ، ص ص٩١–٩٢ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1833-46.

(٢١٦) كان اغا محمد خـــان سجينـــا سياسيا في العاصمة الفارسية شيراز وعند وفاة كريم خان هرب الى شمالي البلاد ومعه سبعه عشر من اتباعه ونجح في السيطرة على الاقاليم القزوينية وجعل طهران عاصمته .
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 1857-8.

(٢١٧) للتفاصيل انظر : Ibid, PP. 1839 - 1846.

(٢١٨) Ibid, P. 1858; Waring, E.: Op. Cit., P. 265.
وانظر ولســـون : الخليج العربي ، ص٣١٣ •

وخلال فترة الفوضى التي مرت بها بلاد فارس ، والتي انتهت بتولي القاجار الحكم فيها ، لم تك تلك البلاد متفرغة للاهتمام بشؤون العراق . ولكن أغا محمد خان الذي أسس الاسرة القاجارية ، كان يرمق العراق بعيون مستطلعة[219] ، الا أنه لم يكن بوسعه أن يحرك ساكنا بسبب انشغاله في تهدئة الاحوال في بلاده وقيام الروس بتهديد حدوده الشمالية[220] .
كما أن فتح علي شاه الذي خلفه في سنة ١٧٩٧م (١٢١٢ هـ) كان معروفا بميله أكثر من سلفه للاستفادة من أوضاع العراق المضطربة ، فقد هدد بأحتلال بغداد بعد الهجوم الذي شنه الوهابيون على كربلاء[221] ، اذا لم تقم حكومة بغداد بالانتقام من الوهابيين ، وأرسل اليها احتجاجا شديد اللهجة القى فيه تبعة ما حدث على عاتقها لتقصيرها في أمر الدفاع عن المدينة وتركها بدون حامية[222] . ولم يتمكن والي بغداد من الرد عليه لمرضه ، كما أن الشاه فوجيء بهجوم روسي على حدود بلاده الشمالية فشغل به عن الانتقام[223] .

---

(٢١٩) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص٢٩١ .

(٢٢٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٦٥٧ ،
Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 1859.

(٢٢١) كانت غزوة كربلاء اعنف ماشنه الوهابيون من غزوات على العراق وقد حدثت في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ الموافق الثاني والعشرين من نيسان سنة ١٠٨٢م ، وقد اخذ سلاح الوهابيين من اهل كربلاء مأخذة كبيرة ، وتناول حتى الذين لاذوا بضريح الامام الحسين ، ابي طالب خان : رحلة ابي طالب خان الى العراق وأوروبا سنة ١٢١٣هـ ١٧٩٩م ، ص ص٣٨٤ـ٣٨٥ ، لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٢٢٢) تاريخ جودت ، جـ٧ ، ص ١٣٩ .
يذكر الرحالة الهندي مرزا ابو طالب خان الذي كان قد وصل كربلاء بعد سبعة اشهر من هجوم الوهابيين عليها ، ان الناس كانوا يتهمون عمر اغا حاكم البلاد بانه كان متواطئا مع الوهابيين ولم يعمل شيئا لحماية البلدة ، وانه ما ان علم بالخطر حتى هرب الى قرية قريبة من كربلاء بدلا من ان يعمل على مقاومتهم ، وقد امر والي بغداد سليمان باشا فيما بعد باعدامه فاعدم . (رحلة ابي طالب خان ، ص ٣٨٦) .

(٢٢٣) تاريخ جودت ، جـ٧ ، ص ١٤٠

الخاتمة

الخاتمة

قدر للعراق منذ ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس في مطلع القرن السادس عشر ، أن يكون ميدانا للصراع بين الفرس والاتراك العثمانيين ، اذ تطلعت الدولة الصفوية الى العراق كمجال لتوسعها ، لما فيه من ثروات دفينة ، ولما يتمتع به من موقع جغرافي هام •

وقد أدى دخول العراق في حوزة العرش الصفوي سنة ١٥٠٨ م ، الى صراع عثماني – فارسي حاد ، ذلك ان الدولة العثمانية وجدت في تعاظم قوة الدولة الصفوية ومتاخمتها لها من ناحية العراق خطرا عليها •

واذاكان العثمانيون قد أستطاعوا أنتزاع العراق من سلطان الدولة الصفوية سنة ١٥٣٤ م ، الا أن ذلك ما كان ليحول دون استمرار الصراع بينهما ، فقد بقى الفرس يتطلعون الى العراق ويعملون للاستيلاء عليه ، الامر الذي جعله ميدان صراع لا يهدأ ، وأصبحت مشاكله بعيدة الغور لكل من يتولى الحكم فيه •

وبالرغم من سلسلة المعاهدات التي عقدت بين الدولتين العثمانية والصفوية ، والتي أستهدفت التعايش السلمي ، الا انه لم يكن لها أي تأثير في أنهاء صراعهما ، وذلك بسبب ما يعتورها من ملابسات وأطماع • ومن الممكن القول بأن الصلح الطويل الذي بدأ بين هاتين الدولتين بالمعاهدة التي عقدت في سنة ١٦٣٩ م ، والتي عرفت بـ « معاهدة زهاب » ، قد أملته ظروفهما الداخلية والخارجية •